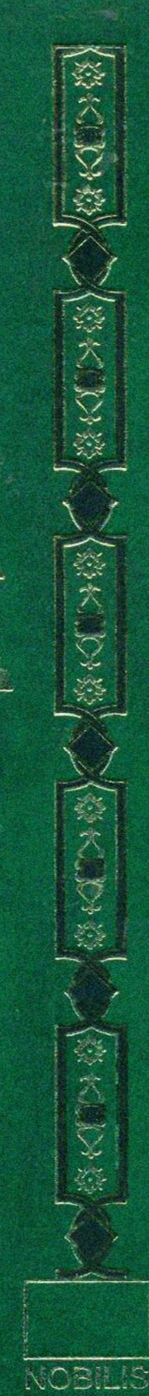
موسوعة

عالم علم النفس



NOBILIS

الموسوعة النفسية

2

علم النفس والطب النفسي في حياتنا اليومية

إسم الموسوعة : موسوعة عالم علم النفس

إسم المؤلف : الدكتور عبد المنعم الحفني

إعداد : قسم الدراسات في دار نوبليس

بإشراف الأستاذ غسّان شديد

قياس الكتاب : 27.5 × 19.5 سم

عدد صفحات الجزء : 328

عدد صفحات المجموعة : 6436

إسم الكتاب : الموسوعة النفسية – علم النفس والطب النفسي في حياتنا اليومية - مجلد (2)

مكان النشر : بيروت – لبنان

دار النشر والتوزيع : دار نوبليس

تلفاكس : 961 1 583475

تلفون : 961 1 581121

961 3 581121

الطبعة الأولى : 2005

عالم عِلم النفس

2

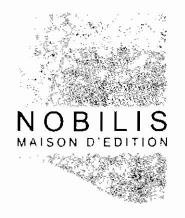
الدكتور عبد المنعم الحفني

الموسوعة النفسيّة

عِلم النفس والطب النفسي

في حياتنا اليوميّة

المجلّد الثاني



NOBILIS
MAISON D'EDITION

جـمـيـع الـحـقـوق مـحـفـوظـة لـلـنـاشـر
© 2005

الموسوعة النفسية

علم النفس والطب النفسي في حياتنا اليومية

في التعليم، والتربية، والتجارة، والصناعة، والأدب، والفن، والحرب، والسلام، وفي الصحة والمرض، والعلاج النفسي، وفي البيت، والمصنع، والشارع، والزواج، والغرائز، والحب، وفي التخيل، والقيم، والمعايير، وفي الموضة، والبغاء، والقمار، والمرور، واللعب، والجنس، والنوم، والعادات، والتحيل والإنجاز، وفي النوم واليقظة والأحلام، وفي الحسد والخرافة، والسحر، والدين، وفي الجريمة والعقاب والثواب، والإعلان والدعاية والإعلام إلخ، والاختبارات والاستبيانات والمقاييس المستخدمة في ذلك...

الباب الرابع

علم النفس والطب النفسي
في خدمة الحروب



- ١ -
سيكولوجية الحرب

أنواع الحروب. فلسفة الحرب. أصول الحرب دائماً نفسية. الحرب الايديولوجية والنفسية وحرب الأعصاب. غسيل المخ والحرب. الحرب الإعلامية. حرب الكُتب والسينما والمسرح. حرب الإذاعات والفضائيات والصحافة اليومية. الدعاية والحرب. الإشاعات والحروب.



الحرب بالمعنى المتعارف عليه صدامٌ بين جماعات سياسية، أو بين دول ذات سيادة، وقد تكون الحرب ديبلوماسية، أو بممارسة الضغوط الاقتصادية، أو بالدعاية، أو باستخدام الجيوش. والحروب لها مقدمات نفسية غالباً، وعلى أساسها تكون المماحكات والتحرّشات الديبلوماسية والاقتصادية وغيرها، وحتى الخلافات الإيديولوجية أساسها في التحليل النهائي نفسي غالباً. ولكي تقوم الحرب عسكرياً لا بد من تنامي العداوة والعداء بين حكومتين أو أكثر، ويحاول كل فريق أن يمهّد لها داخلياً في بلده وفي البلد الآخر. والحرب في تعريف هوجو جروتيوس Grotius (١٥٨٣ - ١٦٤٥): حالة تُناقِض السلم، وتتميز بأن السلوك الذي يُجرَّم في حالة السلم لا يُجرَّم في حالة الحرب. والحرب تُستخدم مجازاً لأنماط من الصراعات أو المنافسات، فيقال مثلاً حرب الكلمات War of words، والحرب النفسية Psychological warfare، وحرب الإرادات Will war، والحرب العرقية Racial war، والحرب الباردة Cold war، والحرب السياسية أو الديبلوماسية Political diplomatic war، وحرب الطبقات Class war، وحروب البقاء Survival wars، والحرب بين الجنسين Sex war، والحرب بين الأجيال War between generations، والحرب ضد الفقر War against poverty، وضد المرض War against diseases، وضد الجريمة War against crime، والحرب ضد الحرب نفسها War against war. وفي جميع هذه الحروب قد يَسفُر العداء

ويأتيه الأفراد والجماعات شعورياً، وقد يُضمَر ويكون تنافساً أو نقداً. وقد يبرر البعض الحرب بأنها ضرورية نفسياً، لأنها تثير الهمم، وتوقظ الغفلان، وتستثير القريحة والاختراع، ويموت فيها الضعفاء ويبقى الأقوياء القادرين على استمرار الحياة واستنهاض التقدم. وكان جامبلوفيس Gamplovics، وراتسينهوفر Ratzenhofer، وتريتشكه Treitischke، وستاينمتس Steinmets، وإرنست رينان Ranan من المؤيدين لهذا الرأي، فالحرب عندهم بمثابة التطهّر النفسي Psychological purgation وهي ابتلاء Ordeal من الله، وبدون الحروب يكون التدهور المعنوي Moral degeneration. والغالبية ضد الحرب لآثارها السلبية المدمرة، ومن هؤلاء سبنسر Spencer، ووالتر باجوت Bagehot، ويعقوب نوفكوف Novkov.

وتاريخ الحرب مرّ بخمس مراحل كبرى هي: حرب الحيوانات Animal war، والحرب البدائية Primitive war، والحرب التمدينة Civilized war، والحرب الحديثة Modern war، والحرب الحالية Recent war. والحرب الأولى: هي الحرب على المستوى الحيواني في أمان كانت أجناس الحيوانات تملأ الأرض، وتدور الصراعات بينها على البقاء. ودراسة السلوك العدواني للحيوانات يفيد في دراسة السلوك العدواني للإنسان، ويتشابه مثلاً سلوك القردة وسلوك الأطفال، وقد يحتدم العراك بين هؤلاء وهؤلاء كنوع من المنافسة، ومن السلوك العدواني الجماعي مثلاً سلوك جماعة العصابة أو الشلة. والمرحلة الثانية: هي مرحلة الحرب البدائية التي كانت تقوم بالعصي والحجارة بسبب سرقة الإناث، أو الإعتداء على الحياض، أو الاستيلاء على غنيمة، وكانت لهذه الحروب ميزة أنها وحّدت بين الجماعات المتماثلة، ومايزتها بتقاليدها وعاداتها ومؤسساتها، وضامنت بين أفرادها باعتبارهم جماعة داخلية In-group، كمقابل لغيرهم، وهم الجماعة الخارجية Out-group. ولما تحقّقت الكتابة صارت المجتمعات تمدينة، ومن ثم صارت الحروب تمدينة، وأُعدت لها الجيوش المتخصّصة، وصارت لها أسباب إقتصادية أو سياسية

أو إيديولوجية أو دينية، وتميّز العصر البطولي Heroic age في هذه المرحلة بأنه عصر قلاقل كبرى. وكانت هناك ثماني حروب كبرى في تاريخ العالم قبل الحربين العالميتين الأخيرتين، واللتين تختص بهما المرحلة الحديثة. ومع أن لهذه الحروب أسبابها التوسعية أو الاقتصادية أو السياسية، إلخ، إلا أن الواضح أن السبب النفسي كان وراءها جميعاً، وهو سبب عِرقي أو أجناسي، فيه البُغض لبعض الأجناس، والإحساس بالتفوّق من بعضها، وبدافع العلو في الأرض من بعضها. ولقد أجمل كوينسي رايت Wright الحروب في العالم حتى الحرب العالمية الثانية في ٢٧٨ حرباً، منها ١٨٧ حرباً بين شعوب أوروبا، و٩١ حرباً شنّتها أوروبا على شعوب من خارجها، و١٣٥ حرباً دخلتها الشعوب لنيل استقلالها، و٧٨ حرباً أهلية لأسباب إيديولوجية، أو للمطالبة بالحكم الذاتي، أو لفرض الوحدة الوطنية، و٦٥ حرباً بدعوى حماية مدنية الرجل الأبيض، أو للتبشير، أو لأسباب دينية.

وبعد الحرب العالمية الثانية كانت هناك العشرات من الحروب المحدودة، منها حرب الاستقلال للمستعمرات، والحروب بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، ونحن الآن بصدد حروب دينية تشنها روسيا وبريطانيا وصربيا واستراليا والهند وأمريكا وإسرائيل والصين ضد الدول الإسلامية، وحروب عرقية ضد العرب في كل مكان. وكلّفتنا الحروب الإسرائيلية العربية مليون شهيد بين عسكريين ومدنيين، وكلّفت حرب الاستقلال عن فرنسا الجزائريين مليون شهيد، والحرب الأفغانية أكثر من المليون، وكذلك الحرب العراقية الإيرانية، ثم الحرب العراقية الأميركية. وفي الحرب العالمية الثانية استشهد ١٧ مليون جندي و٣٤ مليون مدني.

وفي كل الحروب يكاد ينعقد الإجماع على أن مسألة الحرب هي مسألة نفسية، سواء في قيامها، أو في إدارتها، أو في عقابيلها. ومن الذين أكّدوا على الخلاف في الرأي كسبب لاندلاع الحرب جابرييل ألموند Almond، وكارل دويتش Deutsch، وبيرنارد بيريلسون Berelson. وممن أبرزوا عنصر التوتر والصراع في

الحروب جورج سيميل Simmel. وهاردلي كانتريل Cantril، وأوتو كلينيبرج Klineberg، وفريدريك دن Dunn، وكينيث بولدنج Boulding. وقال البعض بأن الحروب من اختصاص علم النفس السياسي Political psychology، من أمثال هارولد لاسويل Lasswell، وداقيد رايزمان Riesman، وتشارلز أوزجودOsgood، وأناتول رابوبورت Rapoport. وراينارد ويست West. وأدلى علماء التحليل النفسي بدلوهم أيضاً في الحرب، ومن هؤلاء فرانز ألكسندر Alexander، وإيريك فروم Fromm، وروبرت ويلدر Waelder. وهؤلاء جميعاً أكّدوا على مقولات نفسية، كازدواج المشاعر، والإزاحة، وكبش الفداء، والإحباط، والتعيّن، والإسقاط، والأفكار المغلوطة عن النفس. وكانوا يسمونه في الحرب العالمية الأولى صدمة القذائف Sheel-shock، ثم أطلقوا عليها إجهاد المعركة Cambat fatigue في الحرب العالمية الثانية، ويصاب الجندي المريض به بالخوف الشديد، وسرعة ضربات القلب، والخناق، والقلق والصراعات والتعطل الجزئي للشخصية وتسلط الأفكار. والحروب لها اضطراباتها النفسية مثل عصاب القتال Combat neurosis، وهو من الأعصبة الصادمة Traumatic ns.، ومع أن الحرب لها مبرراتها الظاهرة إلا أن من بيدهم قرار إعلان الحرب أو إنهائها، لهم دوافعهم اللاشعورية أيضاً. ويؤكّد هؤلاء العلماء على دور البحث والتعليم والتربية كوسيلة لدعم التفاهم بين الشعوب.

والحرب في الاصطلاح النفسي أقرب لمصطلح الحرب النفسية Psychological warfare. والحرب النفسية هي ذلك النوع من الحروب الذي تشنّه الجماعات بالدعاية Propaganda والإشاعة Rumours، وتستخدم فيه كل وسائل الإعلام بقصد إثارة القلق والتوتر لدى العدو، بالشتائم تارة، وبالافتراءات والأكاذيب تارة أخرى، لتزعزع الإيمان بالمبادئ، والأهداف ببيان استحالة تحقيقها، وإضعاف الجبهة الداخلية، بإظهار عجز النظام عن تحقيق آماله، وتشجيع البعض على مقاومة أهداف السلطة، وتشكيك الجماهير في قياداتها

السياسية والعسكرية. والتفرقة بين فئات الشعب، والدسّ والوقيعة بين الطوائف، وبين الحكومات المتحالفة، وتفتيت الجبهة القومية، أو العالمية المعادية، وبثّ اليأس في نفوس الجنود على الجبهة وفي الميدان. وإشاعة الذعر بينهم بالمبالغة في وصف القوة واستعراضها، والتهوين من انتصارات العدو. وحرب هذه شأنها لا يمكن إلا أن تكون أبشع في نتائجها من الحرب التقليدية Classical or traditional war، لأنها تقصد إلى الإنسان نفسه، فتحطم شخصيته وتشيع فيها التحلل. ليضطرب سلوكه كالمريض النفسي سواء بسواء، فيتبلبل فكره، ويتملكه القلق والخوف. وتضعف إرادته. والحرب النفسية حرب معنوية، وحرب إرادات، وحرب تستهدف شخصية المقاتل وشخصية الأمة، وغايتها تغيير سلوك الأفراد والجماعة فيكون تداعيها وتحللها واستسلامها، ومن ثم تسهل السيطرة عليها. وخطورة الحرب النفسية أن أسلحتها أفتك من كل سلاح، فالخوف والذعر والقلق والتوتر والترقّب والتشكيك والريبة. كل ذلك من شأنه أن يُعدي

الناس كالوباء. والدعاية والإشاعة اللتان تستعين بهما الحرب النفسية وسائل نشر تنقل وباء الانهزامية وتقوّض الروح المعنوية Moral spirit، وتغيّر الأفكار والاتجاهات والقيم والمعتقدات والرأي والسلوك. ومن مصطلحات هذه الحرب غسيل المخ Brainwashing، وهو من أخطر ما تلجأ إليه الحرب النفسية من سلاح، لأنه عملية تطويع للمخ، وإعادة تشكيل للفكر. وتغيير للتوجّهات والمعتقدات، وتستخدم فيها كل وسائل الدعاية والإعلام لتخريب العقول والنفوس وكُفرها بكل المبادئ والناس والقيم، ثم دفعها إلى الإيمان بنقيضها. وكانت الصين تستخدم غسيل المخ في الحرب الكورية، وتطبّقه على الأسرى بعزلهم وتجويعهم، لتضعف إراداتهم وليصيبهم الاكتئاب، فيضطرب توجههم، وتصطرع فيهم الرغبات، وتستبد بهم المخاوف وينشدون الخلاص بأي شكل ومن أي طريق، فيسهل قيادهم وإقناعهم بفساد أنظمتهم وصواب أنظمة العدو، ويردّدون ذلك ويكرّرونه إلى أن تتغير مفاهيمهم، وتمّحى المفاهيم القديمة،

وتتلبسهم الأفكار الجديدة والمعايير السلوكية المعادية، ويقبلوا أن تكون لهم أدوار جديدة وشخصيات جديدة متعاونة، فيمكن إستخدامهم كطابور خامس Fifth column إذا عادوا إلى بلادهم.

وخطورة الحرب النفسية أنها حرب مستمرة، فهي في وقت السلم حرب باردة Cold war بلا مدافع ولا سيوف، وحرب أفكار War of ideas، أو حرب إيديولوجية Ideological w. تصطرع فيها الفكرة مع الفكرة، وتقتتل من خلالها الإيديولوجيات، وهي في وقت الحرب والسلم حرب أعصاب War of nerves، وحرب دعائية أو إعلامية، وحروب إذاعات وفضائيات وصحافة، وحرب سياسية أو ديبلوماسية.

والحرب النفسية تمهد للحرب الفعلية وتواكبها وتستمر بعدها. وهي حرب قد تتحصل لها نتائج الحروب دون أن تُطلَق فيها رصاصة، لأن القصد من أي حرب هو تحقيق الاستسلام، والحرب النفسية قد تبلغ هذا الهدف فعلاً بما تستحدثه في نفوس السياسيين والعسكريين والمدنيين والأفراد والجماعات من تخريب معنوي، وتغيير للأفكار والتوجهات والسلوك، وهو ما حقّقته أميركا والمعسكر الغربي مع الاتحاد السوفييتي إلى أن حلّ نفسه بلا حرب فعلية، وبالحرب النفسية والاقتصادية وحدهما.

والحرب النفسية قد تكون دفاعية كما قد تكون هجومية، فإذا كانت وسيلة الحرب النفسية الدعاية والإشاعة والتجسّس وإشاعة التحلل والانهزامية، فإن من يشنّها يتوقع أيضاً أن تُشَنّ عليه، ومن ثم يكون تصدّيه لها بالدعاية المضادة Counter-propaganda، ومقاومة الإشاعة والتجسّس.

والحرب النفسية إصطلاح حديث نسبياً إلا أن مضمون هذه الحروب عرفه الأقدمون، وفي التوراة قصص كثيرة فيها هذا النوع من الحرب بالمعنى لا بالمبنى، فهناك الإيعاز، والإيهام، والتمويه، والخداع، والسبّ، والشّتم، والتقبيح، والتشهير، والتفرقة، والإيقاع، والنميمة، وإذكاء الخلافات، ونشر الدعايات والإشاعات، والتجسّس، والرشوة، واستمالة النفوس الضعيفة بالجنس والمال، وإنشاء الطابور الخامس من

أفراد الجماعة المعادية لتقويض الجبهة الداخلية، بإشاعة الذعر والخوف والقلق، ولتخريب الاقتصاد، بجمع الأقوات وتخزينها، فيكون الجوع، وتعمّ الفوضى، وتعلو الأصوات، ويشيع التمرد.

ويُذكَر أن اصطلاح الحرب النفسية قال به لأول مرة محلّل عسكري بريطاني يدعى فوللر Fuller، أورده في كتاب له بعنوان «Tanks in the War» ، أي «الدبابات في الحرب»، وذلك أنهم في الحرب العالمية الأولى نزعوا المدافع من الدبابات وركّبوا بدلاً منها أبواقاً، وكانوا يذيعون منها نداءات على جنود العدو للاستسلام، ويذكرون لهم أسباباً، منها أن زوجاتهم في الجبهة الداخلية قد بلغ بهن تدهور الأحوال الاقتصادية أنهن صرن يمارسن البغاء، وأن الأمراض السرية تحوّلت إلى أمراض عادية بين الأولاد، وكانوا يشتمون الجنود بأقذع أنواع السباب، ويستخدمون مختلف المعلومات عن الجبهة الداخلية ليطعّموا بها إشاعاتهم وأكاذيبهم. واستخدموا الأسرى للنداء على جنود وحداتهم، وكانوا ينادون الجنود بأسمائهم، ولعله لهذا أُطلق على الحرب النفسية من هذا النوع إسم حرب الأبواق War by horns. وكذلك كانوا يُسقطون المنشورات Pamphlets على الجبهة الداخلية يشككون الناس في صمود قواتهم وإخلاص زعمائهم، وهذا أيضاً هو سبب تسمية هذا النوع باسم حرب المنشورات.

ويبدو أنه مع التقدم الهائل في تكنولوجيا إرسال الأخبار والمعلومات تحولت الحرب النفسية إلى حرب الإذاعات Broadcasting war أو الميكروفونات War by microphones، أو الحرب بالفضائيات التليفزيونية، وبالإنترنت، والأفلام السينمائية. وبالنظر إلى التوزيع الهائل للصحف وخطورة نقل الأنباء عن طريق الوكالات الصحفية، وسهولة تضمين المعلومات في الأفلام التليفزيونية والسينمائية فإن الحرب النفسية صارت حرب إعلامية شاملة. وتقتني الجيوش الحديثة وحدات إذاعية ووحدات بث تليفزيوني خاصة بها ويشمل تنقلها ويمكن من خلالها أن توجّه الإذاعات وتُقدّم البرامج التي تخدم أغراضها النفسية في المعركة. وللمعارك

سيكولوجيتها التي تتطلب دائماً فداء المقاتل وتضحيته وصبر المدنيين وارتفاع معنوياتهم، وإيمان الجميع بالأهداف التي كانت الحرب من أجلها. ومع استمرار القتال يكون شحن الأفراد والجماعات معنوياً ورفع روحهم القتالية والاهتمام بالترفيه. وتأتي التعبئة النفسية Psychological mobilization للحرب قبل وقوع الحرب ذاتها لتكون لدى الجماعة والأفراد صلابة الإرادة وصدق العزيمة، وليكتسبوا المناعة ضد الدعاية والإشاعة بتثقيفهم الثقافة التي تحصّنهم من آثارها، وذلك عمل قسم التوجيه المعنوي Moral-guidance department في الجيش، وهو الذي يقوم بربط الجيش بالشعب والتحام الجميع لتنمية الوعي الديني والشعور بالواجب الوطني. وأما التجسّس والتخريب المعنوي داخل صفوف الأعداء فيوكل لأجهزة المخابرات، وهي التي يناط بها جمع المعلومات عن الجبهات الداخلية، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وفحص خطب وتصريحات المسؤولين وتفريغها مما تحتويه من أخبار ووقائع وأرقام، وتحليل ذلك كله وما يتكون في الرأي العام من إتجاهات ومواقف، واستغلاله في أنواع الدعاية والإشاعة والقصص الملفقة والنكت. والنكتة والكاريكتير في الحرب النفسية سلاحان خطيران فهما يوهنان العزم ويشوشان القصد، ويخربان النفوس ويكرسان الشقاق والفرقة، وإن لمن أعظم البلاء أن يسخر الشعب من نفسه وأن يستهدف بالسخرية قياداته.

والدعاية التي تخصّ الحرب النفسية هي الدعاية التي تخدم المجهود الحربي، وتدعّم الجبهة الداخلية، وتزيد النفوس ثقة، وتوضح الأهداف، وهذه هي الدعاية الدفاعية Defensive propaganda، فأما الهجومية Agressive p. فهي التي تقصد إلى التأثير على عقول الأعداء وعواطفهم، أو التي تكون بها استمالة المحايدين وتقوية صداقة الأصدقاء. وتستخدم الدعاية تكتيك القتال، فهي تهاجم في مكان، وتنسحب منه ليكون هجومها في مكان آخر، وتستخدم كل أجهزة الإعلام لتبلغ مرامها وتحقّق مقصدها في التمويه والخداع. والدعاية قد تكون ستراتيجية Strategic p. ضد

العدو، أو تكتيكية .Tactical p ضد الجيوش المعادية، أو خاصة .Private p موجهة للجماعات المحايدة تكسبهم إلى صفها، أو بيضاء .White p في خدمة الدول وتصدر عنها صراحة وعلناً، أو سوداء .Black p تتسلل خفية ولا تظهر علناً، أو رمادية .Grey p تكون بين العلن والسرّ مجهولة المصدر والقصد.

وأما الإشاعة في الحرب النفسية فهي خبر يتناقله الناس ويصعب مقاومة تصديقه، وليس من دليل عليه سوى أن به من الوقائع ما يجعل الناس يتردّدون إزاءه ويكتفون بتناقله، وخاصة إذا كان هناك من الموضوعات ما يستوجب أن يستنيروا بخصوصها إعلامياً وتعوزهم عنها الأخبار الصحيحة. ويكثر ذلك وقت الأزمات. ومروّج الإشاعة إنسان متهافت الشخصية غالباً، شديد الاستهوائية، على قدر ضئيل من الثقافة. والإشاعات تروج لذلك خصوصاً في أوساط المثقفين والطبقات الدنيا المتدنية الوعي بالمسائل الوطنية. والإشاعة عندما يصنعها الصانع فإنه يضع في اعتباره موضوعها ويصوغها بحيث يمكن أن تروج بالطريقة التي يحسب أنها لا بد أن يكون رواجها من خلال، ومن ذلك أن الإشاعة يمكن أن يأتي تناقلها بطيئاً وهذه هي الإشاعة الحابية .Creeping r، وقد تقصد إلى إثارة الفُرقة (الإشاعة المُفرّقة .Divisive r)، أو إثارة الشغب (إشاعة الشغب .Riot r)، أو إثارة الفضول (إشاعة الفضول .Curiosity r)، أو إثارة الأعصاب (إشاعة مهيّجة .Agitating r)، وقد يكون محتواها مروعاً (إشاعة مروعة .Bogy r)، أو هدّاماً (إشاعة هدّامة .Damaging r)، أو فظيعاً (إشاعة الفظائع .Atrocity r)، أو معبّراً عن تمنيات معيّنة (إشاعة الأماني r. of wishful thinking). (أنظر سيكولوجية الإشاعة ضمن هذا الباب الرابع).



مراجع

- W. Daugberty: Psychological Warfare Casebook.
- Farago et al: German Psychological Warfare.
- Grotius, Hugo: De Jure belli ac Pacis.



- ٢ -

سيكولوجية التعصب

التعصب وأنواعه. التعصب في السلم والحرب. التعصب العرقي. التعصب القَبَلي. التعصب القومي. التعصب الديني. الجاهلية والتعصب. اللغة والتعصب. مشاعر النقص والتعصب. التعصب وباء نفسي إجتماعي. التعصب والشخصية. علاج التعصب...



التعصّب Prejudice يعني التحيّز والتحامل، من العُصبة بمعنى أهل الرجل وعشيرته، والاصطلاح في العربية ينصرف إلى معنى أكبر من المعنى الذي تنصرف إليه معانيه بالإفرنجية، حيث يُشتق المعنى العربي من العَصَب، وجمعه أعصاب، وهو الذي يكون به الحسّ والحركة في الجسم، والموصّل بينه وبين المخ، وشدّة العصب تعني الصحة؛ وعُصبة الرجل هي عترته التي تشدّ أزره؛ والمتعصّب Prejudiced هو شديد التحيّز والتحامل. وأما صحيح المصطلح بالإفرنجية فإنه يعني الحكم المسبق Prejudice بالإنجليزية، وPréjugé (بالفرنسية) أو هو الفكرة المسبقة Vorurteil بالألمانية، وPreconceito (بالبرتغالية) التي لا تستند إلى واقع موضوعي أو منطق سليم، وتكون لدى المرء بحكم وجودها بين من ينتمي إليهم، وتنتقل منهم إليه، فيكره أو يحب من تنسحب عليه الفكرة أو الحكم، أو ما يتصل به من أشياء أو موضوعات، دون سابق معرفة أو تجربة، ومن ثم فالتعصّب هَوَى بالنفس أو إتجاه نفسي، وهو أظهر في مجال العلاقات الاجتماعية، ويُشتَهر منه ما نُطلق عليه أحياناً اسم التعصّب القبلي Tribal يكون للقبيلة، كتعصب قريش زمن الرسول (ﷺ)، والتعصّب الأجناسي Racial prejudice، يكون لجنس ضد جنس، كالتعصّب الآري Aryan ضد السامية، والتعصّب الصليبي Crusade p. ضد الإسلام أو نطلق عليه أحياناً أخرى إسم التعصّب العِرقي Ethnic p.، كالتعصّب الأميركي - الأوروبي ضد العرب. وهذا التعصّب من مباحث علم

النفس الاجتماعي ويدرّس فيه ضمن الدراسات على الاتجاهات النفسية الاجتماعية، وهو لهذا له بُعدان، واحد إجتماعي وآخر نفساني، فأما الاجتماعي فهو أن تكون للتعصّب أسبابه الاجتماعية، كأن تكون لجماعة من الناس علاقات وخبرات بجماعة أخرى، ربما كانت تاريخية تروي عنها الكتب، وخاصة الكتب الدينية كما في التوراة عن الشعب الفلسطيني، والشعب المصري، والشعوب من غير بني اسرائيل، حيث تتحزّب التوراة لليهود وتجعلهم شعباً أرقى من غيرهم وفوق الشعوب، فيرين في التفكير الجمعي لهم أنهم الشعب المختار، وأن غيرهم من الجوييم أو العامة، أو الأميين فقسّموا الناس إلى يهود وغير يهود، وغير اليهود هم الأميون كما يرد في القرآن في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ (الجمعة ٢)، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران ٧٥)، وفي التوراة لا عهد لليهود للفلسطينيين (الخروج ١٢/٣٤)، والنهي عن الزواج من غير اليهود، لا يعطونهم بناتهم، ولا يأخذون بناتهم لبنيهم (عزرا ١٢/٩). ومن دأب الأفراد والجماعات التعميم للتجربة بحيث تنصرف إلى كل جنس من ينتمي إليه الشخص أو الطرف الآخر للتجربة، فلو أني كانت لي تجربة صادمة في إيطاليا، تُبيّن لي أن الأفراد الذين التقيت بهم من الشعب الإيطالي يميلون إلى المغالطة والاحتيال، فلربما أخرُج بهذا الانطباع المعمّم: أن الشعب الإيطالي جماعة من اللصوص. وتشتهر هذه التعميمات لمختلف الشعوب، كالقول بأن الإنجليز باردون، وأن الروس أغبياء، وأن الألمان أذكياء، وأن اليابانيين شعب نشيط، والمصريين فلاحون! والتعصّب دليل تخلُّف حضاري، والرسول (ﷺ) سمّاه «جاهلية» فقال: «أفبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»؟ - يعني بدعوى التعصّب، ووصف أبا ذرّ فقال: «إنك امرئ بك جاهلية» يعني بالجاهلية التعصّب.

وللغة دورها في تغليب التعصّب كاتجاه نفسي إجتماعي، كأن تكون من صور التعبير عن القبح أو الشر أن نقول مثلاً إنّ وجهه قد اسودّ غيظاً، أو امتلأ قلبه

بالسواد، فيُكرَه السواد، وتُعمّم الكراهية على كل ما هو أسود حتى ولو كان إنساناً، وذلك من مصاعب اللغة التي تواجه الأدباء الأفارقة، والتي ذكرها الشاعر الزنجي ليوبولد سنجور. وقد تكون للتعصّب جذوره الثقافية المميّزة للأجناس بحسب أدوارها في التاريخ، وقد برز ما يسمّى بدور الرجل الأبيض في تحضير الشعوب المستعمَرة، وقيل دائماً إن لفرنسا رسالة حضارية، وما تزال أمثال هذه المصطلحات مستخدمة حتى الآن، ولو أن ما استوجبها قد زال وانتهى بانحسار الاستعمار وزوال العبودية والقضاء على سوق النخاسة، إلا أن التعالي العنصري ما انفك نلتقي به هنا وهناك، وما يزال الاستعلاء الديني الذي تصنّف بمقتضاه الشعوب إلى كافرة ومؤمنة هو الذي يلهم الكثير من التعصّب. وقد تبين بالبحوث أنه حيثما كان التطرف الديني كان التعصّب. والتطرف Extremism عموماً صنو التعصّب، سواء كان عرقياً أو دينياً أو قومياً، وهو في مجال القوميات يمارس على نطاق واسع، ومن ذلك قول هكسلي Huxley (١٩٥٢): «إن الأمة تُعرّف بأنها مجتمع يقوم على فكرة خاطئة من جهة أصله ونشأته، وينهض على كراهية يشترك فيها الجميع لكل جيرانهم من المجتمعات أو الأمم الأخرى». وفي الإنجيل: إن المسيح رفض علاج ابنة المرأة الكنعانية أو اليونانية لأنها ليست إسرائيلية وقال لها كلمة لا أحسب إلا أنها مزوّرة لأنها تنضح بالعنصرية - قال تبريراً لرفضه: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُلقى إلى الكلاب!! - يعني ما سوى اليهود من الشعوب هم كلاب! (مرقس ٢٧/٧). وهذه الكراهية العامة قد تتوجه لكل ما يمت للأقوام الأخرى بصلة كاللغة أو الدين أو الفنون أو الآداب أو المنتجات الحرفية. وقد يعوز الأمة أن تظهر هويتها كوسيلة لإذكاء التضامن بين أفرادها، إلا أن ذلك يدفعهم إلى التفاخر بأصولهم على حساب قوميات وأمم أخرى. وقيل إن كل إحساس وطني أو قومي هو انتماء، وفرط الإحساس بالانتماء يتّجه بالأفراد إلى أن يكونوا عدوانيين، والعدوانية لن تتجه - كاتجاه عام في المجتمع أو الأمة - لأفرادها،

وإنما لأفراد المجتمعات والأمم المغايرة. وهذه المغايرة من الأسباب النفسية الدافعة للكراهية والمستوجبة للنفور، وإنه لأمر في طبيعة كل الكائنات أنها تخاف المغاير والغريب، وعندما يشتد ذلك بالبعض منا فقد يتحول إلى فوبيا أو رهاب نطلق عليه إسم رهاب الأغراب Exenophobia، وقد ينصرف هذا الرهاب إلى خوف مرضي من شعوب بعينها أو أجناس دون غيرها، ومن ذلك رهاب الزنوج Negrophobia. وهذا الرهاب قد يكون عاماً كالوباء العقلي فيظهر في شكل التعصّب المقيت الذي ربما يتوجه لشعب أو لطبقة أو لدين على حساب الأغيار، ومن ذلك مثلاً التعصب ضد الإسلام Anti-islamism، ورهاب الإسلام Islamphobia، وتعصُّب اليهود ضد العرب Anti-arabism. ولا بد أن يكون التعصّب كسلوك مجزياً لصاحبه، سواء كان فرداً أو جماعة، بمعنى أن يكون له مردود من المكاسب، وقد تكون المكاسب نفسية، وربما إجتماعية، وفي كثير من الأحيان تكون المكاسب مادية أو إقتصادية. ويذهب اليهود والرأسماليون إلى أن المكاسب الوحيدة الجديدة بالبحث في التعصّب هي المكاسب الاقتصادية. والتعصّب يجعل في مقدرة المتعصّب أو المتعصّبين الذين لهم السيطرة والسيادة في مجتمعاتهم أن يميّزوا أنفسهم فيها، وأن يفرزوا غيرهم بحيث يستبقونهم تابعين لهم وخاضعين لسيطرتهم وسيادتهم، وبذلك يستمر استغلالهم لهم واستخدامهم كعبيد وأرقاء جُدُد. وتقوم دولة بكاملها مثل الولايات المتّحدة على التفرقة العنصرية Racial discrimination، كي يستبقي البيض الأقليات من الزنوج والعرب وبقية الأجناس غير الأوروبية من المهاجرين، في وضع تابع لها. وقد تلحق مكاسب أخرى غير إقتصادية بالمكاسب الاقتصادية. وكما هو معروف فإن من يملك يحكم، وتصدر القوانين من قِبَل البيض لتكرس الوضع العبودي، وتذكّي التعصّب ضد الأقليات. ومن مكاسب التعصّب أن المتعصَّب يجعل المتعصِّب ضدّه إحتياطياً إجتماعياً له، ينسب إليه كل المفاسد، ويُرجع بسببه كل المصائب. وربما تكون المكاسب جنسية وتتمثل في إباحة الزواج من نساء الشعب الواقع عليه

التعصُّب، وتحريم زواج ذكوره من نساء الشعب المستعلِي.

وهناك دائماً مبرّرات للتعصّب، ولن يعدم المتعصِّب أن يجد سبباً لتعصّبه ولكنها أسباب تدرّس ضمن علم المنطق باب «الأغاليط Fallacies»، وليس لها أية مبرّرات منطقية.

وقيل إن التعصّب وباء نفسي إجتماعي Psycho-social epidemic لا يختلف عن الأوبئة العقلية Mental epidemics التي تصيب المجتمعات. ويميل علماء الطب النفسي إلى دراسة التعصّب ضمن الاضطرابات النفسية باعتباره مرضاً أو اضطراباً، ويبرّرون ذلك بأن التعصّب لا يمكن أن يكون إلا اضطراباً خطيراً كالبارانويا، طالما أن ضحاياه بالملايين، عايناهم في الحروب العنصرية في الماضي، وفي الحربين العالميتين، وما نزال نعاينهم بالآلاف في حروب الشرق الأوسط والخليج، وفي البوسنة والشيشان وأفغانستان، وبين مختلف الأجناس، بدعاوى عنصرية محضة سامية وفارسية وعربية وكردية وإسلامية ونصرانية ويهودية، إلخ.

ويتوجّه التعصّب في المجتمع الواحد من الأغلبية إلى الأقلية، واضطهاد الأقلية Minority persecution إصطلاح شائع وكثير التداول، وتفسير ذلك من الناحية النفسية الاجتماعية أن بعض المجتمعات تقوم على اعتبار تماسكها في جماعة واحدة داخلية Ingroup، وتطلق على الأقلية أو ما دونها إسم الجماعة الخارجية Outgroup، وكثيراً ما يقوم الصراع بين الجماعتين، حيث تمثّل قيم ومعايير وأنماط السلوك للجماعة الخارجية تهديداً لتماسك الجماعة الداخلية.

وقيل إن المتعصِّب له تنشئة نفسية إجتماعية خاصة، وهو ينحدر من أسرة الأب فيها مسيطر، ومن شأن ذلك أن تتراوح في الابن مشاعر حبّ وكراهية للأب وبدائله، ويستدمج الابن صورة الأب المنجزئة على نفسها، ويقسّم العالم من بعد قسمين: أحدهما محبوب والآخر مكروه، ويوجّه محبّته لجماعته الداخلية، بينما يتوجّه بكراهيته للجماعة الخارجية. ومن أسباب هذا التوجّه المنجزئ، أن الأفراد يتفاعلون إجتماعياً

بهدف إحراز التوافق الاجتماعي Social adjustment ومن ثم التوافق النفسي Psychological a.، وهذان التوافقان يدفعان إلى التوائم والتكيّف مع المجتمع ومعاييره، وقيمه وأنماط سلوكه. وتهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحصيل هذا التوافق بالانتماء، والمتعصّب كما قلنا منتمٍ إلا أنه «متطرف في انتمائه»، أي يبدي تآلفه مع معايير مجتمعه الداخلي بمغالاة، وكذلك يغالي في كراهيته لمعايير المجتمعات الخارجية. والتعصّب كاتجاه نفسي إجتماعي يتأصّل بالتنشئة ويتنامى بالتطبيع الاجتماعي، ومن ثم فهو اعتقاد أو اتجاه مكتسب بالتعلّم، إلا أنه يُكتَسب مبكراً، وهناك بحوث على أنه يكتسب من الوالدين في نحو سن الثانية، واكتسابه يكون من بعد ذلك من المدرسة، ومن الممارسات اليومية ووسائل الإعلام بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة. وقيل إن التعصّب يكون بُعداً من أبعاد الشخصية النمطية الجامدة المتسلّطة، ومن ثم فلا وجود لغريزة تعصّب وإنما هناك استعداد للتعصّب، يوجد مع التنشئة ويتوجّه نحو جماعة أو موضوع معيّن، والدليل على ذلك أن الأولاد قبل أن يدركوا مضمون التعصّب يلعبون مع بعضهم البعض زنوجاً وبيضاً، عمالاً وفلاحين وأبناء ذوات، ثم يلاحظ الطفل تباعدَ أفراد جماعته عن أفراد الجماعات الأخرى، ووصْفَهم لهم بالنقائص والانحطاط والدونية، ونسبتَهم كل المصائب إليهم فيُعدَى بالتعصّب، ويقلّد سلوكهم عليه. ويأتي استدماج الطفل لمعايير جماعته وأنماط سلوكها في التعصّب بالتدريج. وليس من الضروري لانتقال هذه المعايير إليه أن يصاحبها الاحتكاك اليومي المباشر بأفراد الجماعة الأخرى، بل يكفي ما يسمعه أو يراه، فإذا صاحبت ذلك الخبرة اليومية، فإن التعصّب يقوى ويشتد بعمليات الشحن الانفعالي المستمرة. وقد تبين أن بعض الأفراد لا يلزم لكي يكونوا متعصبين أن يتعلموا التعصّب مباشرة من جماعتهم أو بطريقة غير مباشرة، وإنما يناسب التعصّب تكوينهم الشخصي. ويذهب بعض أهل الرأي إلى أن الشخصية المعصّبة من دأبها أن تُذعن لاتجاهات جماعتها وتتبنى هذه

الاتجاهات، ويناسبها منها خصوصاً الاتجاهات السلبية التي تنفّس فيها عن المكبوت عندها من مشاعر الكراهية والعدوانية والإحباط، وتطرح فيها عُقَدها الخاصة بالتفوق، وتمارس مع جماعتها الاضطهاد للجماعات من الأقلية والفئات المضطهدة. وإنه لأمر ذو بال أن الشخصية المتسلّطة Authoritative personality التي تنحو إلى هذا الاتجاه ربما تكون أيضاً من بين الجماعة الواقع عليها الاضطهاد، بمعنى أن الشخص المتسلط من الأقلية قد يتبنّى الاتجاهات المتسلطة نفسها عند الأغلبية ويمارس التسلط والتعصّب على أفراد جماعته. وربما يترتب هذا السلوك عند أمثال هذا الشخص من رغبة لاشعورية عنده أن يتعيّن بجماعة الأغلبية، أو ربما يولّد التعصّب الواقع عليه مشاعر كراهية وعدوانية لا يجد المنصرف لها إلا على أفراد جماعته المستضعَفة، وربما يلمس هذا الشخص حقيقة النقد الموجّه لجماعته ويتبين صدقه، فينزع إلى أن يتحلل من صفات جماعته ويتنصّل منها، ويتبين عادات وتقاليد وطرق تفكير وأنماط سلوك الجماعة الأخرى.

ويذهب علماء النفس إلى ردّ بعض أسباب التعصّب إلى «مشاعر نقص» في المتعصِّب تجعله يغالي في الانتساب لقيم ومعايير جماعته ليقوَى بها، ويجد متنفّساً لصرف مشاعر النقص عنده على أفراد الأقلية. ويتميّز المتعصِّب عادة بضيق الأفق وضحالة التفكير وسطحية المعرفة وضآلة الشأن، ويستشعر لذلك إحباطاً للشخص يفجّر فيه طاقات عدوانية قد يستسهل تصريفها إجتماعياً فيما تنصرف فيه عدوانية أفراد جماعته وهو التعصّب ضد الأقلية، فيحقّق لنفسه تصريف عدوانيته، ويستشعر أنه منتمٍ لجماعته، ولا يجد من ثم تثريباً عليه فيما يقوم به من أذى أو ضرر ضد هذه الأقلية.

ويأخذ التعصّب أشكالاً عدّة، منها أن يكون باللسان لغةً وتعبيراً، وأن يكون باعتزال من يقع عليهم التعصّب، والتعالي عليهم وتحقيرهم وحرمانهم إجتماعياً ووظيفياً، والاعتداء عليهم في أبدانهم أو أملاكهم، وقد يتوجّه إلى إبادتهم. والنكت البذيئة المحقّرة للأقلية مَثَلٌ من أمثلة التعصّب باللغة، ومن

الممكن أن لا تُلاحَظ النكت إذا لم تقترن باعتزال المتعصّب لهم. واعتزالهم قد يعني الرفض أن يساكنهم الحيّ أو البناية أو الفندق، ويحرمهم أنواع من التعليم، وقد لا ينالون النوع نفسه من الرعاية الصحية. والاعتداء أو الإبادة من السلوكيات المشهورة عن المتعصبين، ومن ذلك الاغتيالات التي توصف أحياناً بأنها اغتيالات سياسية، والغارات الأجناسية كالتي يقوم بها اليهود على أحياء العرب في فلسطين المحتلة، ومن ذلك أيضاً مختلف صنوف المعاملة المميّزة التي من شأنها أن تدفع الأقلية المضطهدة إلى الهرب بنفسها من جحيم التعصّب، كما يحدث الآن في فلسطين. وييسر عملية وقوع التعصّب سهولة التعرّف على أفراد الجماعة المتعصَّب ضدها، كأن يحملون شارات معيّنة، أو يرتدون ملابس خاصة، أو يكون لهم سمتٌ يفرزهم، أو يتحدثون بلغة مختلفة، أو لهم لونهم، أو الحيّ الذي يسكنونه أو القرية. ومن الممكن تصنيف التعصّب من وجهة أخرى بحسب الصور النمطية المعمّمة عن المتعصَّب عليهم. وهذا الصور المعمّمة Stereotypes لها شكلان، ولو كانت صوراً حقيقية لما كان السلوك المترتب عليها تعصباً، إلا أنها صور غير حقيقية، والشكل الأول: هو صورة للجماعة الأخرى باعتبار أفرادها من الكفّار الملعونين المستوجبين للتعذيب في الدنيا والآخرة، والمستحقين للقتل باعتبارهم كفاراً، أو باعتبار أنهم نَجَس، لاختلاف طقوسهم وعاداتهم وتقاليدهم، وفي ذلك تروى الحكايات عن قذارتهم وإجرامهم وحقارتهم، والقذارة التي عليها مساكنهم وأحياؤهم، تبريراً لاعتزالهم والامتناع عن التعامل معهم. والشكل الآخر: هو أن يُقال إنهم جنسٌ أحط عقلياً ونفسياً، تبريراً لاستبعادهم عن السلطة والمناصب الفكرية. ولقد ثبت أن هناك أنماطاً من الشخصية المتعصّبة أُطلق عليها إسم الشخصية العنصرية Ethnocentric personality، تجد المتنفَّس عن أوجه النقص فيها بالمغالاة في الانتماء لجماعتها، والانقياد لقياداتها، وإظهار العداء الشديد لأعدائها، والعالم عندها إما أقوياء أو ضعفاء، وهي تكره الضعف لأنه فيها هي

نفسها، ولكنها تُسقطه على الآخرين، وتتطرف في الإساءة للضعفاء والمستضعفين والأقليات.

والتعصّب إذن كظاهرة نفسية إجتماعية قد تكون له أشكال عدّة بحسب شخصية المتعصِّب. وتختلف الاتجاهات النفسية والاجتماعية التي يقوم عليها التعصّب بحسب ما إذا كانت هذه الاتجاهات ضمن بناء الشخصية. وقد يكون التعصّب سمة من السمات المتأصلة في الشخصية، بحيث تكون له فيها طبيعة مرضية. وربما قد يتأتى نتيجة خبرة صادمة، وربما يكون غالباً نتيجة تواؤم وتلاؤم مع المعايير الاجتماعية السائدة. وقد ذهب البعض في تعريف التعصّب إلى جوانب ثلاثة تظهر فيه، هي جوانبه الفكرية من حيث أنه يمثّل فكرة، وجوانبه الوجدانية من حيث أنه انفعال، وجوانبه النزوعية من حيث أنه سلوك. وتأثير التعصّب ينصرف إلى كل ذلك، ويعزّز الصفات والأوضاع التي فيها المضطَهدون، فيستمر فقرهم، أو تستمر أحوالهم المتردّية. ومن ناحية أخرى فإن ممارسة التعصّب عليهم وتنشئة أطفالهم على هذه الممارسات، يجعل الأطفال ينزعون إلى تمنّي أن يكونوا من غير هذا الجنس أو تلك الفئة، ويعمل ذلك على تحلّل شخصياتهم وانفراط عقدها، ويذكّي تحقير النفس، ويقوّض احترام الذات، حتى أنه في أحد البحوث الأمريكية أن أطفال الزنوج كانوا يطلبون دُمَى يلعبون بها تمثّل الجنس الأبيض، ويرفضون الدمى السوداء. وهناك تعبير لذلك هو كراهية الذات Self-hatred، من حيث أن الأطفال ينشأون على كراهية وَضْعهم وأنفسهم، حتى قد يكرهون كل ما يذكّرهم بجماعاتهم، ويعافونها، وربما يأتون من السلوك ما هو معادٍ للجماعة. وهذه العدوانية التي يفجّرها الإحباط قد لا تنصرف إلى أنفسهم فقط، ولا إلى جماعتهم وحدها، وإنما قد يعاني منها المجتمع ككل، ويتصدّع بها أمنُه وتماسكه. وليس انتشار الجريمة ووقوع أعمال العنف الشديدة في الأحياء الفقيرة والعمالية ومساكن الأقليات إلا بناءً على شدّة هذه العدوانية فيهم. وإذا كان الإدراك السليم للواقع من مظاهر الصحة النفسيّة والعقليّة، فإن تشوّه

إدراك المتعصِّب وجماعته لحاجات المضطَهدين وأمانيهم، وعدم الوعي بها، وتدنّي الإحساس بمشاعرهم، لهو دليل على اضطراب نفسي وعقلي يدفع إلى التعصّب في الجماعة والأفراد المتعصّبين.

وعلاج التعصّب باعتباره سلوكاً متعلّماً يحتاج للكثير من الوقت والجهد. وهو كاتجاه Attitude لا بد لتغييره من وسائل تغيير الاتجاهات، بالإقناع والدعاية من خلال وسائل الإعلام والتثقيف. وطالما أن هناك عنصراً فكرياً في التعصب فإن الدعاية المضادة Anti-propaganda له قد تحقّق بعض النجاح في علاجه، إلا أن بعض المجتمعات تكون أسرى التعصّب، بحيث قد يضيع أثر الإعلام فيها، بما يغلب عليها من ممارسات يومية تجعل هناك ازدواجية متناقضة Double bind، فيكون الإعلام في وادٍ والتطبيق في وادٍ آخر، أو تجعل من الإعلام حرثاً في الماء، ولذلك قيل إن الإعلام لا بد أن يؤكّد على الجوانب الإيجابية عند الأقلية، وأوجه الشبه بينها وبين هذه الجوانب عند الأغلبية، بدلاً من علاج السلبيات والدعوة إلى نقضها. وللتعليم دور إيجابي من حيث أن تعليم الأقلية يقرّب المسافة الاجتماعية بين الجماعتين. وأيضاً للوعظ الديني دوره إن لم يكن من شأن هذا الوعظ إذكاء العداء بين الجماعات الدينية، كما يحدث بين الشيعة والسنة، أو بين اليهود والمسيحيين، أو بينهما والمسلمين، فكل جماعة تكفّر الأخرى ويعيش أفرادها في تعصّب مقيت. وإذا أمكن عقد اللقاءات بين الجماعات المختلفة في شكل ندوات فكرية ولقاءات كشفية ومباريات رياضية فإن التقريب بينها قد ثبت إمكانه، كما ثبت إمكان تغيير الأفكار التي يقوم عليها التعصّب بإيجاد أعمال ومشاريع مشتركة بين الجماعات السابقة، يكون بها احتكاكهم اليومي واطّلاع بعضهم على حقيقة أفكار الآخر ومشاعره وإمكاناته. وتبيّن فائدة اتّباع بعض أنواع العلاجات والقياسات الاجتماعية السوسيومترية في حالات صراع الجماعات، ومن بينها أن نطلب من كل جماعة أن تتخيّل نفسها في دور الجماعة

الأخرى، وأن تحاول أن ترى الأمور من وجهة نظرها. وقد يفيد العلاج النفسي والتحليل النفسي في الحالات المتطرفة، إلا أن المتطرّف لا يعترف بمرضه ولا يطلب العلاج، ومن ثم يتوجّب الانصراف إلى التعليم العام وخاصة في الطفولة، لتنشئة المواطن تنشئة صالحة صحيّة من جميع الوجوه، وخلق ضمير جماعي يقاوم التعصّب ويتصدّى له، وهو أمر قد ثبت إمكانه بهذه الطرق. وتدل إحصائية التعصّب في بلاد كالولايات المتّحدة إشتهرت به على تدنّي ممارساته إلى أكثر من النصف خلال ربع قرن. ففي سنة ١٩٤٢ مثلاً لم يؤيّد التفرقة بين الزنوج والبيض ٣٠٪ من السكان في الشمال، وفي سنة ١٩٥٦ لم يؤيدها ٥٠٪، وفي سنة ١٩٦٣ إرتفعت النسبة إلى ٨٠٪، وفي الجنوب لم يؤيدها سوى ٢٪ سنة ٤٢، ثم ١٤٪ سنة ٥٦، وارتفعت النسبة إلى ٣٠ سنة ١٩٦٣.

❖ ❖ ❖

مراجع:

- Adorno et al: The Authoritarian Personality.
- Allport: The Nature of Prejudice.
- K. Clark: The Dark Ghetto.
- Saenger G.: The Social Psychology of Prejudice.
- B. Olson: Faith and Prejudice.
- Dollard et al: Frustration and Aggression.



- ٣ -
سيكولوجية الجماعة

أنواع الجماعات وسلوكياتها ووعيها، والجماعة المرجعية. الأنا الأعلى للجماعة. القوة المرجعية للجماعة. جماعة القرناء والجناح فيها، وثقافة المراهقين من أعضائها. حدود الجماعة وتماسكها وتضامنها. مناخ الجماعة ومعنوياتها. التعين بالجماعة. الجماعة المغلقة والحراك الاجتماعي...



قد يجتمع عدد من الناس ويكون بينهم تفاعل من نوع ما، ويتوخون باجتماعاتهم هدفاً، وتتحدد لهم من خلال تفاعلهم أدوار إجتماعية، وتكون لسلوكهم ضوابط من المعايير والقيم الخاصة، فنقول إنّ هؤلاء الناس يؤلفون جماعة إجتماعية a social group، وهي الوسط الاجتماعي الذي يقوم بالتنشئة الاجتماعية لأفراده وتطبيعهم إجتماعياً، ويكتسبون منه اتجاهاتهم مع استمرار انتمائهم له، وتكيفهم مع مقتضيات ظروفه وأحواله، فيتعدل سلوكهم ويتقوم، ويتعلمون إجتماعياً فتنمو مهاراتهم. والجماعة هي التي تشبع حاجاتهم، ويستشعرون فيها الأمن والأمان، وتتحقق لهم من خلالها المكانة الاجتماعية، ومن ثم يكون اعتزازهم بها وولاؤهم لها.

والجماعات أنواع، بحسب تفاعلاتها الاجتماعية وتأثيراتها على سلوك أفرادها وأدوارهم الاجتماعية، وتبعاً للمقومات التي تصنعها. وتفيد دراسة الجماعات في التعرف على ماهياتها وبنائها وتماسكها وأهدافها، ومن ثم نستطيع بناءً على هذه الدراسة توجيهها الوجهة المطلوبة. ويهتم علم النفس الاجتماعي بهذه الدراسة، بدءاً من الجماعة الصغيرة التي قوامها شخصان، وانتهاءً بالجماعات الكبيرة وأخصها الأمم. والجماعة - كتنظيم إجتماعي - موجودة في عوالم الحيوان والطيور والحشرات، كما أنها عند الإنسان. وتصنف الجماعات بحسب الدليل الذي ينهض عليه التصنيف، ويكون الاهتمام بها باعتبارات تكون الجماعة g. formation من حيث حجمها، وتفاعلاتها الاجتماعية، وتشكيلها لأدوار الأفراد فيها، وأهدافها، وإنجازاتها، وتماسكها، واستمراريتها، وتركيباتها الطبقية، أو الأجناسية، أو الثقافية، أو الدينية، وأعمار الأفراد فيها. والأسرة جماعة أولية primary group، بل هي أولى الجماعات، والتفاعلات بين أفرادها مباشرة وشخصية وتسمى لذلك جماعة متواجهة face-to-face group، بينما المدرسة جماعية ثانوية secondary group، ومن ناحية أخرى فإنّ الأسرة جماعة غير رسمية informal group، بينما المدرسة جماعة رسمية formal group،

والتفرقة بين الجماعتين من هذه الزاوية هي تفرقة من حيث النظام. فإذا شئنا التفرقة بين الجماعات من حيث المنفعة الاجتماعية، فإننا نجد أنّ الأسرة والمدرسة جماعتان إجتماعيتان، بينما العصابة gang جماعة لا إجتماعية anti-social group أي ضد المجتمع. والجماعة الانتقالية transitional g. هي التي تتألف بشكل مؤقت لغرض ما. وجماعة النحن we-g. هي التي يشعر الفرد من أعضائها بتوحد مع الجماعة في مقابل جماعة الهم they-g.، وهم أية جماعة بخلاف جماعة الفرد. والجماعة الرأسية vertical g. هي التي تتوسط جماعتين أو طبقتين وتجذب أفراداً من هذه وتلك على السواء. والجماعة الاجتماعية social g. هي التي لا وحدة لها أو كلية من نوع ما.

والجماعة قد يكون اجتماعها بالاختيار، ويُطلق عليها إسم الجماعة الاختيارية voluntary group، أو بالإجبار وتسمى الجماعة الجبرية involuntary group. وقد تكون جماعة مغلقة closed group، لا تقبل آخرين فيها، كشأن المجتمع اليهودي فإنه جماعة مغلقة، وعكسها الجماعة المفتوحة open group. والجماعة الداخلية in-group، نقيضها الجماعة الخارجية out-group وتسمى أيضاً الجماعة المستمرة continuous g. لأنها تقبل فيها أعضاءً جدداً دائماً. كما قد تكون الجماعة طارئة contingent group، أو مؤقتة temporary group ، أو دائمة permanent group. والجماعة الصغيرة small group تقابلها الجماعة الكبيرة big group؛ وجماعة الأغلبيةmajority group نقيضها جماعة الأقلية minority group؛ والجماعة منها المتجانسة homogenous group ، والمتغايرة ؛ وقد تكون الجماعة مفروضة imposed group، كما قد تكون بالانتخاب voted group. وإطلاقية الجماعة.g absolutism هي اعتقاد أفرادها أنهم وحدهم على حق وغيرهم على باطل. والجماعة التي لا هوية لها blanket g. هي التي يجتمع أفرادها على لا شيء، وإسم blanket يعني الغطاء أو الدثار، فهي جماعة مغطاة، يعني غير معروفة الهوية، وهي جماعة كل أحد، وكل شيء.

وسلوك الجماعة group behavior هو

السلوك الجمعي للجماعة كما يتمثل في سلوك أفرادها، أو هو سلوكها ككل متجاوزاً سلوك الأفراد. وعقل الجماعة group mind هو أفكارها الجمعية، أو إيديولوجيتها التي تصدر عنها رأياً واعتقاداً. ووعي الجماعة group consciousness هو الوعي العام الذي يكون لها، وهو ما تعيه من خبرات تؤثر على سلوك أفرادها، ومجموع الأفكار التي تميزها وتكوّن لها عقلاً جماعياً. والأنا الأعلى للجماعة group superego، أو الأنا الأعلى الجمعي، هو ضمير الأمة أو الجماعة، وهو مُثُلها العليا نتيجة تمثل الجماعة للقيم والمعايير الجمعية، من خلال الأسرة، والجماعة المرجعية، وجماعة الأنداد (أنظر فيما بعد).

والجماعة المرجعية reference group هي الجماعة التي يرجع إليها الفرد في تقويم سلوكه الاجتماعي، وهو يتأثر بما تأخذ به الجماعة نفسها من إتجاهات وأهداف ومعايير وأنماط سلوك، وينتسب لها، أو يأمل أن يتحقق له هذا الانتساب ويعول عليه في تصرفاته. وقد يتشكك البعض في حقيقة وجود أمثال هذه الجماعة، بالنظر إلى أنّ الأفراد في الكثير من الأحيان ينتمون إلى جماعات لا إلى جماعة واحدة، إلاّ أنّ الانتماء إلى أكثر من جماعة هو انتماء متفاوت أو متردد أو غير مخلص. وكانت البحوث في مجال الانتماء الجماعي هي التي أظهرت أنّ من الممكن أن نكون أعضاء في جماعة، وتكون انتماءاتنا الفكرية والوجدانية والخلقية مع جماعة أخرى. ومن مآثر الجماعة المرجعية أننا قد صارت لدينا المعرفة بأنّ البعض يمكن أن ينتسبوا لأكثر من جماعة، وأن يكون لهم بالتبعية أكثر من مثال أخلاقي للاهتداء به، وأكثر من تصور للوضع الاجتماعي الذي يمكن أن يسعوا إليه، إلاّ أنه لا بد في كل الأحوال أن يتغلب نمط على نمط، ومعيار على معيار g. norm، مهما تعددت المعايير المتباينة والأنماط المختلفة للجماعات التي يمكن أن يندرج تحتها الفرد أو يحب أن يندرج إسمه ضمن أعضائها.

واصطلاح الجماعة المرجعية قال به لأول مرة هيربرت هيمان Hyman سنة ١٩٤٢، في كتابه «سيكولوجية المكانة

Psychology of Status» أثناء بحثه عن الأطر المرجعية frames of reference التي يصوغ الناس أنفسهم عليها ويصدرون عنها، وعن الأشخاص المرجعيين الذين يتخذون منهم مثلاً وقدوة، ويقتدون بهم ويتمثلون سلوكهم. ولئن كان الاصطلاح جديداً إلاّ أنّ الفكرة نفسها ليست جديدة في بحوث علم النفس الاجتماعي، فلقد قال بها - أو بشيء منها - علماء أجلاء من أمثال نيوكومب Newcomb، وهارتلي Hartley، وشريف Sherif، وستوفر Stouffer، وسومنر Sumner، وكولي Cooley، إلاّ أنّ هيمان كان موفقاً غاية التوفيق حيث قال بهذا الاصطلاح الذي قيض له الشهرة حتى صار من الاصطلاحات الشعبية في مجال علم النفس الاجتماعي.

ويتميز في بحوث الجماعة المرجعية أكثر من تصنيف، فقيل مثلاً إنّ الفرد عندما يقارن سلوكه بغيره، ليعرف إن كان يفعل ما يفعله الناس فيرضى عن نفسه، فإنه يرجع إلى ما يسمى الجماعة المرجعية المقارنة comparative reference group، وإذا كان رجوعه إلى الجماعة ليأخذ عنها المعايير والقيم فإنّ الجماعة التي يأخذ عنها تسمى الجماعة المرجعية المعيارية normative reference group. وقد تكون عضوية الفرد لجماعة تجتمع فيها هاتان الخاصيتان، من حيث أنه يقارن سلوكه بسلوكها، ويصدر في معاييره عن معاييرها. ويبدو أنّ أغلب البحوث توجهت إلى الجماعة المرجعية وليس إلى الأشخاص المرجعيين reference individuals، بالرغم من تأكيد بعض العلماء على أهمية الدور النموذج role-model الذي يقيس الأفراد أدوارهم إليه، وعلى التأثير الشخصي للزعامات وتوجيهها للرأي العام، وهو ما حدا بالبعض إلى التنبيه بشدة إلى أنّ الشخص المرجعي هو أكثر من تتمثل فيه معايير الجماعة، وقيمها، واتجاهاتها، وأهدافها، وأنّ الأفراد العاديين - وهم يتمثلون الشخص المرجعي - إنما ينشدون تجسيداً مادياً لقيم الجماعة ومعاييرها في سلوك شخص وتفكيره ومشاعره، بحيث يتيسر لهم محاكاته ومتابعته عليها.

ويتمايز في الجماعة المرجعية

المعيارية نوعان، أحدهما جماعة مرجعية إيجابية positive r. g. ، أي أنّ تأثيرها على أعضائها بالإيجاب، والآخر جماعة مرجعية سلبية negative r. g.، بمعنى أنّ الفرد يشكل سلوكه على عكس ما تذهب إليه. وكثيراً ما نصادف أشخاصاً يغالون في التناقض مع جماعات بعينها حتى لينضموا إلى الجماعات المناوئة لها أو التي تناصبها العداء وتعارضها كل المعارضة.

وقيل باصطلاح القوة المرجعية referent power، أي القوة التي يمكن أن تكون لجماعة مرجعية على أفراد ليسوا من أعضائها، ولكنها بهذه القوة أو النفوذ الذي لها تشدهم إلى مبادئها ومعاييرها بأكثر مما تفعل الجماعة المرجعية التي هم منها. وقد تسلك الجماعة المرجعية أحياناً بعنف مع أعضائها، وتمارس إزاءهم قوة تغصبهم على أن تكون معاييرهم وأفرادهم هي معاييرها وأفكارها. والإحاطة بكل ذلك تنيرنا بخصوص ديناميات الجماعة وعملياتها، ومصادر التبعية فيها ولدى أعضائها، وحقيقة إنتماءاتهم، وما تلجأ إليه الجماعة من وسائل التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية. ولعله لهذا السبب يقول البعض بما يسمى الجماعة المرجعية المأمولة aspired reference group، أي التي يأمل الفرد أن تكون جماعته برغم أنه غير عضو فيها، إلاّ أنه يصدر عنها في سلوكه، وتحكمه معاييرها واتجاهاتها. ولعله لهذا أيضاً قيل بما يُسمى التنشئة التوقعية anticipative socialization، وهو أن تستهوي قيم جماعة بعض الأفراد ممن لا ينتمون إليها، فتكون لهم بذلك الأفكار عن اتجاهاتها ولكن لا يكون لهم سلوكها، إلاّ أنّ التزامهم بأفكارها قد ينتهي بهم غالباً إلى أن يكونوا أعضاء بهذه الجماعة ويمارسوا معاييرها.

وتبين نظرية الجماعة المرجعية أنّ الأفراد الذي لهم أكثر من جماعة مرجعية إنما يصدرون عن مقدرة إجتماعية تخيلية imaginative sociability، أي أنهم قادرون على تصور أنفسهم في أدوار عديدة، وعلى أن يتخيلوا متطلبات هذه الأدوار، وأن يروا أنها تناسبهم. ومن ثم فإنّ الشخص الذي تكثر الجماعات

المرجعية التي يرجع إليها لا يتناقض مع نفسه، ويشعر بالعكس بثراء شخصي يعطيه القدرة على النهوض بدعاوى كل جماعة وإن تنافرت. ونحن عبر سنوات العمر سندخل جماعات، ونتجاوز أخرى، وستمضي بنا التجارب إلى الانتماء إلى جماعات سنذكرها من بعد ضمن ما نذكر من خبرات الماضي، وذلك شيء ضروري ولا بد منه في الحراك الاجتماعي، حيث ينمو الأفراد دائماً إلى التحرك إجتماعياً إلى أعلى، وإلى تغيير أوضاعهم باستمرار إلى الأحسن، والجماعة المرجعية الفعلية الآن تصبح في خبر كان من بعد، في حين أنّ الجماعة المرجعية المأمولة قد تصبح جماعة مرجعية فعلية actual r. g.. والمعول عليه في اختيار الجماعة المرجعية دائماً هو الدافع إلى الاختيار، ولا بد أنّ الأشخاص يدفعهم إلى اختيار جماعاتهم أفضلية هذه الجماعات على غيرها، أو أنها الجماعات التي بانتمائهم لها يجدون أنهم أقدر على فهم البيئة والتعامل معها بما تقدمه من معايير وقيم وتفسيرات وأفكار. ولربما يكون الدافع إلى الانتساب إلى هذه الجماعات أنّ هؤلاء الأشخاص ينظرون إلى أنفسهم نظرات لا يتواءم معها إلاّ أن يكونوا أعضاء ضمن هذه الجماعات، أو قد يكون الدافع أنّ الجماعة المرجعية هي حماية للشخص ولذاته من اعتسافات الجماعات الأخرى وأفرادها. والبعض قد ينتمي إلى جماعة بتأثير من مبدأ اللذة pleasure principle، باعتبارها الجماعة التي توفر لهم إشباع حاجاتهم، أو بتأثير من مبدأ الواقع reality p. عندما يقارنون بين ما توفره لهم هذه الجماعة وما قد يوفره غيرها، فيختارون بموضوعية شديدة وواقعية بعيدة عن الهوى ما يناسبهم من الجماعات. وقيل بمبدأ ثالث هو مبدأ المشابهة similarity principle، يحكم المفاضلات بين الجماعات، فنختار منها ما تتشابه معاييره مع ما نتمثله لأنفسنا من معايير، أو مع ما يتناسب مع قدراتنا على الأخذ بهذه المعايير، وذلك مبدأ آخر يحكم الاختيار يطلقون عليه إسم مبدأ التناسب relevance principle.

والفرد الذي يرجع إلى الجماعة في

معاييره وقيمه وسلوكه قد يكون على وعي بما يفعل، وقد لا يكون لديه هذا الوعي، وربما أيضاً قد يكون وعيه محدوداً وإدراكه لمعايير الجماعة مبتسراً، أو قد يظن أنّ تلك هي معايير الجماعة مع أنها ليست كذلك، فيكون انتماؤه عن سوء فهم، ومن ثم يكون الارتداد الذي كثيراً ما نسمع عنه، ويأتيه أفراد يدعون أنهم كانوا في الجماعة في غفلة من الوعي، أو غيبة منه، وأنه قد صارت لهم يقظة من بعد.

وجماعة القرناء peer group هي جماعة مرجعية، وقد يطلق عليها أيضاً جماعة الأنداد، أو جماعة النظراء - والقرين والنظير والند بمعنى واحد، وعادة ما يتحلق الأفراد من العمر نفسه، ولهم ميول متشابهة، وينحدرون من العمر نفسه، ولهم ميول متشابهة، وينحدرون من طبقات اجتماعية واحدة - يتحلقون في جماعات لها أهدافها الواحدة - وتقوم بتمثيل أفرادها. وفي حالة تكوين هذه الجماعة من الأطفال فإنّ دورها يكون أهم، ويكاد ينافس دور الأسرة والمدرسة في تنشئة الطفل وتطبيعه إجتماعياً وتشكيل سلوكه. ويخضع الطفل في حياته الباكرة لتأثير الأسرة وتفاعلاتها، ولكنه عندما يذهب إلى المدرسة يبدأ تأثره بالمدرسين وبجماعات الأطفال من عمره، ويكون استقطاب الأطفال في مجموعات بمثابة الشلة أو الصحبة أو الرفقة، ويكوّنون معاً قواعدهم السلوكية، وتكون لهم مصطلحاتهم وثقافاتهم الفرعية، ويدين الأطفال فيها بالولاء للجماعة، ويصبح انتماؤهم لبعضهم أهم أحياناً من انتمائهم لأسرهم. والناس عموماً سواء كانوا راشدين أو أطفالاً يخضعون لتأثير الجماعات من القرناء التي ينتمون إليها بحسب ميولهم وشخصياتهم. ويبدو أنّ هناك أنماطاً ثلاثة بهذا الخصوص: فنمط توجهه التقاليد ويخضع في سلوكه للمعايير الاجتماعية؛ ونمط إنضباطه داخلي والمعايير التي تتحكم في سلوكه شخصية؛ ونمط إستهوائي يجد نفسه في قيم الآخرين وأن يوجهوه إلى ما ينبغي أن يكون عليه سلوكه. ونحن في بداية حياتنا قد تطبعنا التنشئة الأولى في الأسرة، وقد نكبر ونحن نميل إلى الاعتماد على الغير، وأن يفكروا لنا ويسنوا القواعد ويوجهونا،

أو ننشأ على الاستقلالية والاعتماد على النفس بحسب ما يأخذنا به الأبوان، وبحسب علاقاتنا بهما. والطفل الذي ينشأ على الانصياع قد يعاني من الخوف من العزلة وأن ينبذه الآخرون. وبعض الأطفال قد يغالي في طلب الرفاق حتى ليبدي كامل الانصياع والطاعة لجماعتهم. وتمد هذه الجماعة الأطفال بالمعلومات التي لا يتوفر تعلمها في المدرسة ولا يزود الأبوان أطفالهما بها. ويظهر تأثير الجماعة إبتداءً من سن الحادية عشرة، حيث تكون هذه السن تقريباً هي سن التحول المتدرج بعيداً عن اتجاهات الآباء في الكثير من المسائل الخاصة بالجنس، والولاء الاجتماعي، والانتماء للأسرة أو المدرسة، والميول والاهتمامات. وتأثير الجماعة على البنات أقل من تأثيرها على الصبيان. ويمارس العنف كثيراً في جماعات الصبيان، بينما تغلب النميمة والشائعات في جماعات البنات. والقبول الاجتماعي الذي يمكن أن يحظى به الطفل في جماعته أو أي جماعة، قد يكون له أكبر الأثر في توجهات الطفل في الدراسة والحياة عموماً. والطفل قد يتعلم من الجماعة التمرد والانحراف، وقد ينشأ فيها جانحاً، ويكثر الجناح delinquency في جماعات الأطفال التي ينحدر أفرادها من طبقات كادحة أو محرومة إجتماعياً. ويبدو أنّ أهم سمة يمكن أن تكون لجماعة القرناء هي معارضتها لبعض القيم الاجتماعية عند الراشدين، وهي المعارضة التي توجه إلى مجتمع الراشدين كنوع من الاحتجاج على أوضاع الطبقات التي ينحدر منها أطفال الجماعة. ويعتبر سلوك الجناح عند الكثير من أطفال هذه الجماعات نوعاً من التعويض لهم عن الفرص المحرومين منها إجتماعياً. وبالنظر إلى التشابه الذي لجماعة القرناء بالمراهقين فإنّ البعض يجب أن يطلق على نوع الثقافة الخاصة التي تنتشر بينهم ويعلمونها لبعضهم إسم ثقافة المراهقين adolescent culture، ومن ذلك ما نقرأ عنه من آراء واتجاهات وميول واهتمامات خاصة بالهيبيز hippies، وما يطلق عليه أحياناً إسم أدب العبث أو اللامعقول absurd literature. وبالنظر إلى التأثير

الهائل الذي يرصده الملاحظ لجماعة القرناء على سلوك، أفرادها فإنّ المشتغلين بعلم النفس العلاجي يتجهون إلى اصطناع هذه الجماعات من بين المتماثلين في الاضطرابات النفسية، بحيث يتطارحون في اجتماعاتهم مشاكلهم وخبراتهم وشكاواهم بتوجيه وإشراف المعالج النفسي، وهي طريقة في العلاج يُطلق عليها إجمالاً إسم العلاج النفسي الجماعي psycho- group therapy، أو العلاج الجماعي g. therapy.

وحدود الجماعة group boundary قد تكون مكانية، وقد تكون حدوداً مغلقة أو مفتوحة تصنع منها جماعة مغلقة أو جماعة مفتوحة. والانغلاق والانفتاح يكون بالنسبة لتقبل الجماعة لأعضاء جدد أو معايير وقيم وافدة. وتماسك الجماعة group cohesion هو قدرتها على أن يلتحم أفرادها معاً فلا ينحلون إلى جماعات متشرذمة. وصلابة الجماعة group rigidity هي المدى الذي يمكن أن يبلغه تماسكها ويكون به صمودها أمام المؤثرات الخارجية وعوامل الانحلال والتفسخ. وتضامن الجماعة group solidarity تكون به وحدتها ويتحقق تماسكها. وجو الجماعة group atmosphere أو المناخ الجمعي group climate هو الحالة العامة التي ترين عليها وتسود بين أفرادها، والتي تميز العلاقات التي تحكم أفرادها وتؤثر على اتخاذهم القرار. وقرار الجماعة group decision هو ما يقرره الأفراد كمجموعة، أو يستقر عليه رأيهم، أو ينصرف إليه تفكيرهم. والفروق بين الجماعات group differences كدراسة الفوارق بين الجماعة المستبدة، والجماعة الديمقراطية، والجماعة الفوضوية. والجماعة الطبيعية natural group d، يكون تكوينها تلقائياً ويتحقق من داخل الجماعة دون ضغوط من خارجها، ونقيضها الجماعة المصطنعة artificial group، ومن الأخيرة مثلاً الجماعة التجريبية experimental group، والجماعة الضابطة control group، ويطلق عليهما أيضاً أنهما جماعة مختارة selected group. والجماعة المتعاونة co- acting group وهي جماعة متكافئة shoulder-to-shoulder group، غير أنّ

المتكافئة جماعة مواجهة، بينما المتعاونة قد لا تكون كذلك. وجماعة الأعضاء membership group هي مجموعة من الأفراد أعضاء في ناد أو جمعية أو حزب، إلخ، لهم شروط خاصة ينبغي أن تتوفر لهم كي يكونوا محل قبول من الجماعة. وقبول الجماعة group acceptance يعني أنّ الجماعة توافق على عضوية فرد جديد ينضم إليها وتوكِل إليه دوراً جماعياً وبذلك يشغل فيها مكانة status. والتعين بالجماعة group identification هو أن يتمثل الفرد معايير الجماعة وقيمها، وتكون له أنماطها السلوكية وأهدافها واتجاهاتها. ومعنوية الجماعة group morale هي روحها المعنوية esprit de corps، وما تبديه من صلابة وتماسك إجتماعيين، وما تكون عليه من تضامن وهي مثابرة الجماعة واستمرارها على أهدافها، واحتفاظها بوحدتها في وجه المؤثرات المعادية والظروف غير المؤاتية. وتكامل الجماعة group integration هو اندماجها عاطفياً وفكرياً. وحركة الجماعة group locomotion هو سعيها الدائب نحو تحقيق هدف أو اقترابها من بلوغ قرار، أو هو تكرار تفاعل أفرادها لحل مشكلة عامة، أو تحقيق هدف مشترك يدعو إلى التعاون بينهم. وهذا التعاون أو التضافر في الجهود هو الذي يمايز أدوار الأفراد والعلاقات الاجتماعية بينهم.

ويتكون بناء الجماعة group structure من المراكز المتميزة فيها، والترتيب الذي تكون عليه هذه المراكز من حيث الوضع الاجتماعي والنفوذ. ويهتم علم النفس الاجتماعي ببناء الجماعة وتنظيمه، من حيث أنّ الهدف من أي تنظيم هو أن يؤدي إلى أقصى ما يمكن من الكفاءة، وبذلك تتحدد الوظائف وتبين المراكز وتتضح مسؤولياتها نحو غيرها وطرق الاتصال بينها في شبكة الاتصال الاجتماعي. ويقوم بناء الجماعة أيضاً نتيجة اختلاف أفرادها في دوافعهم وتكويناتهم الشخصية، فبينما ينهمك البعض في السعي إلى مراكز القيادة فقد يفضل آخرون أن يكونوا تابعين، ولذلك فإنّ الدراسات السوسيومترية لبناء الجماعة تفيد في التعرف على النجوم stars في الجماعة - أي أكثر أفرادها

شعبية، والمرفوضين فيها rejected، والمعزولين isolated، والجماعات الفرعية sub-groups داخلها، والجماعات الهامشية marginal groups - أي التي تعيش على هامش ثقافة الجماعة، والجماعات الأجناسية ethnic groups - أي المختلفة من حيث الأصل أو السلالة. وتفيد هذه الدراسات أيضاً في التعرف على بناء الاتصال الاجتماعي للجماعة، من خلال تحديد شبكة الاتصال أو نظامه بين المراكز المختلفة للجماعة، فنعرف من ثم «الزمن» الذي يمكن أن تستغرقه الجماعة في أداء عمل ما أو حل مشكلة. ويؤثر نظام الاتصال بين الجماعة في سلوكها الأدائي، ورضا أعضائها عن عملهم، وظهور القيادات بينهم، ودوام الجماعة كجماعة. وللجماعة «قوة إجتماعية»، ودراسة بناء هذه القوة يعني التعرف على السلطات النسبية للأدوار الاجتماعية فيها، ومدى تأثير كل فرد في الآخرين، وغالباً ما يكون أقوى الأفراد تأثيراً هم أيضاً النماذج التي يقلدها الآخرون - سلوكياً - باعتبارهم ممثلين لمعايير الجماعة، وكذلك يكون سلوك الأدنى إجتماعياً تجاه الأعلى، ودفاعياً أيضاً - بحيث يترضون الأعلى ويستميلونهم دائماً، ويُقبلون على صحبتهم ومتابعتهم والاستماع إليهم والاقتداء بهم. ويميل الأفراد إلى أن ينصبوا عليهم في مراكز القيادة أشخاصاً بسمات متفردة أو متميزة. وتسمى إمكانية انتقال الأفراد من مركز إلى مركز آخر باسم الحراك الاجتماعي social mobility، وبناء الحراك الاجتماعي من العوامل المؤثرة في بناء الجماعة، من حيث أنّ بعض المراكز الاجتماعية قد تشد إليها الأفراد بما تتضمنه من عناصر القوة الاجتماعية، فإذا كان الانتقال من المراكز الدنيا إلى المراكز العليا متاحاً إجتماعياً، فإنّ ذلك قد يرفع الروح المعنوية للجماعة، لأنه يعني إمكانية تغيير الأدوار الاجتماعية والطبقة التي ينتمي إليها الفرد. وفي الجماعات المفتوحة يكون الحراك الاجتماعي ميسراً، بينما يشق كثيراً في الجماعات المغلقة. والانغلاق الاجتماعي هو أن يتوقف الحراك الاجتماعي الرأسي أي من الأدنى إلى الأعلى. ويزداد تماسك

الجماعة كلما اتصف الحراك الاجتماعي بالمرونة والسيولة. وهذا التماسك ممكن فقط كلما زادت مكانة الأفراد في الجماعة وشعروا بأنّ حاجاتهم يمكن إشباعها، وكلما كان تعاونهم ممكناً فيزيد تفاعلهم. وكلما زادت متانة البناء الاجتماعي كلما تحقق تماسك الجماعة، والتماسك هو قوة الجذب في الجماعة التي تشد الأفراد إليها. ويقاس تماسك الجماعة بسؤال أفرادها إلى أي حد يحبون بقية الأفراد أو يتمنون البقاء أعضاء في الجماعة؟ وكلما زاد حديث الأفراد عن أنفسهم بصيغة «نحن»، وقلت لديهم صيغة «أنا»، كان ذلك انعكاساً لتماسكهم، وكذلك كلما زاد الأصدقاء بين الجماعة عكس ذلك الرضا عن الجماعة والتمسك بها، وقوة العلاقات الاجتماعية فيها. والجماعات الديمقراطية democratic gs.، وكذلك المنظمة organized gs. تكون أكثر انعكاساً وأقل عرضة للتفسخ من الجماعات المستبدة authoritative gs. والفوضوية anarchistic gs.. وترتبط الحالة الانفعالية لأفراد الجماعة بالحالة الانفعالية للجماعة، وعندما تقل مشاركة الأعضاء في اتخاذ القرارات فإنّ ذلك أدعى إلى إثارة السخط بينهم. وفي الجماعات التي لا يرضى عنها الأعضاء يزيد تغيبهم ويقل بالتالي تماسكهم. وتزيد الأحداث من خارج الجماعة تماسكها، ويزداد هذا التماسك بما تدخله من خبرات سارة، وما يكون لها من خصائص محببة، وبتأثير من سهولة الاتصال بين الأعضاء والمراكز المختلفة، وعندما تكون أهداف الجماعة واضحة. ومن شأن هذه الأهداف أنها تحرك التفاعل الاجتماعي. ولكل جماعة أهداف وربما هدف واحد، وأهداف الجماعة group goals تستثير طاقات أفرادها عندما تتوافق ولا تتعارض، وقد تكون الأهداف في وعي الجماعة المباشر، وربما هي دوافع جماعية لا يعونها بهذا الاعتبار، وإدراك لأهدافها يؤثر في تفاعل الجماعة، وبقدر ما تتفق الأهداف مع حاجات الأعضاء بقدر ما يكون تمسكهم بها وسعيهم لتحقيقها. ويعمل الفرد للجماعة بدافع من المنافسة مع الجماعات الأخرى أكثر مما يعمل

بمفرده، وربما تترتب على التنافس بين الجماعات نتائج أفضل، وقد تكون النتائج أقل. وعندما يكون العمل الجماعي فيه مكسب للفرد أو مشبعاً لحاجاته، فإنه يندفع إلى القيام به، وفي العمل التعاوني لا يهم من يقوم بالعمل بقدر ما يهم إنهاء أو إنجاز العمل نفسه، أما إذا كان العمل فيه ذاتية أكثر فإنّ كل فرد يهمه أن يقوم بعمله بنفسه.

وأداء الجماعة group performance أو إنجازها مبحث من المباحث الجديدة فرضته التطورات الصناعية والتكنولوجية الهائلة. وتدور معظم الدراسات الميدانية حول أسئلة بعينها، مثل الكيفية التي يمكن بها زيادة إنتاجية جماعات العمال، وتأثير وجود العامل أو الموظف في التجمعات العمالية الكبيرة، ومتى تكون للجماعات فاعلية تتجاوز حاصل جمع جهد الأفراد الداخلين فيها. وتتوجه البحوث في أداء الجماعة إلى دراسة الفوارق بين الجماعات في سرعة الأداء ونوعيته وكميته وفاعلية وحدات الإنتاج فيها. ويتركز إهتمام بعض الدراسات في سلوكيات الأفراد وإنتاجاتهم، أو تشابه هذه السلوكيات وتلك الإنتاجات مقارنة بسلوكياتهم وإنتاجياتهم عندما يعملون منفردين وليسوا كجماعة. ولقد تبين أنّ الجماعة عندما تجمع على إنجاز عمل من الأعمال فإنّ أفرادها يتولد لديهم الدافع لأن تحقق الجماعة هذا الهدف، فإذا قوطع مجهود الجماعة نشأ التوتر، غير انّ هذا التوتر لا ينشأ إذا كان توقف الجماعة صادراً بقرار منها، فإذا قررت الجماعة الاستمرار في العمل يخف التوتر. ويستشعر الفرد واجباً نحو الجماعة إذا كانت متعاونة - الجماعة المتعاونة co-operative g.، ويكون دافعه أقوى لإكمال العمل إذا كان هناك توزيع له يتفق مع قدرات كل فرد، وإذا نسقت القيادة بين مختلف المجهودات، وخلقت جواً من التفاؤل يكون فيه التفاهم أكبر بين الأفراد وتدور فيه المناقشات بحيث يكون لكل رأيه الحر، مع غلبة روح الود. وتزيد الإنتاجية للفرد في الجماعة المتعاونة عنها في الجماعة المتنافسة competitive g.. والتنافس في الجماعة يخلق التصادم بين أفرادها ويشيع جواً معادياً، على عكس التعاون الذي يزيد من الدافع لتحقيق

هدف الجماعة، فإذا قل هذا الدافع فمعنى ذلك أنّ الإنتاج يقل، وأنّ الأفراد لا يشعرون بالرضا عن اتحادهم، ولا عن القرارات التي يتخذونها، ولا القيادات التي تتولى تنفيذها، وحينئذ قد يشتد الصراع بينهم. والجماعة الاجتماعية social g. تتجاوز مجموع أفرادها، وللجماعة عقل وسلوك وروح ومعنويات ليست حاصل جمع أفرادها، بدليل أنّ ذلك كله يختلف عندما تكون الجماعة أفراداً بذواتهم وليسوا جماعة. ويقال في الاصطلاح إنّ الجماعة كل دينامي a dynamic whole، بمعنى أنها مجموع الأفراد بالإضافة إلى تفاعلاتهم وما تستحدثه التفاعلات من تغييرات في علاقات القوة بين الأعضاء. وديناميات الجماعة group dynamics من الموضوعات الهامة التي تعالجها مباحث علم النفس الاجتماعي، وعلم النفس الصناعي، والعلاج النفسي، وعلم النفس التربوي. والاسم من وضع عالم النفس الكبير كورت ليفين Lewin (١٩٣٦). ومن مظاهر دينامية الجماعة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، والتكامل الاجتماعي الذي أساسه التعاون والتضافر والتكامل، والتغير الاجتماعي. وتحاول نظريات ديناميات الجماعة تفسير التغييرات الاجتماعية أو المقاومة التي تلقاها، والتصدي للتأثيرات والضغوط الاجتماعية بالتحليل، وتفسير القهر الاجتماعي، والقوة والتماسك، والجاذبية والنفور، والتوازن والاستقلالية والاعتمادية، إلى غير ذلك مما له صلة بالجماعة ودينامياتها.



مراجع:

K. Lewin: A Dynamic Theory of Personality.

C. Homans: The Human Group.

White and Lippit: Autocracy and Democracy.

A. Hase: Handbook of Small Group Research.

H. Hyman: Readings in Reference Group Theory and Research.

Hare, A. P.: Handbook of Small Group Research.

Cartwright, D. and Zander, A.: Group Dynamics.



- ٤ -
سيكولوجية القيادة

صفات القائد أو الزعيم والنظريات في الزعامة. أنواع القيادات، ومتطلبات الزعامة فيها، ونوعيات الأداء. نظرية الرجل العظيم والأبطال المحوريين. رجل الدولة ورجل المشكلة. جماعة القيادة. سلطة الصفوة والقيادات المنتخبة والمعينة...



القائد أو الزعيم leader فرد في الجماعة يؤثر في سلوكها، وله دوره المركزي فيها، باعتباره أقدر من يمثلها ويحرك فيها فاعليتها، ويبلور أهدافها، ويوجهها الوجهة التي بها تؤكد الجماعة ذاتيتها وتحافظ على كينونتها وتماسكها. ويستلزم وجود القائد أن يوجد له من يتابعه على رأيه ويشايعه في توجهاته، والتبعية followship هي المقابل للقيادة leadership، والأتباع followers بخلاف المرؤوسين. وتقوم الرئاسة headship على التعيين من السلطة، في حين أنّ الأصل في القيادة أنها بالاختيار أو الانتخاب الحر، وتقوم على مبدأ المشاركة في اتخاذ القرارات بين القائد وأتباعه، وعلى اقتناع الجميع بما يقررونه ورضاهم عنه، وعن فهم وبصيرة بأبعاده ومراميه، بينما يتخذ الرئيس قراراته بشكل فردي، وهي قرارات فوقية - أي صادرة منه أو من سلطة أعلى منه، وليس شرطاً لها أن يفهم المرؤوسون فلسفتها أو أهدافها.

والنظريات في القيادة كثيرة. وتتركز معظم البحوث في القائد ومواصفاته. وكانت الدراسات المتقدمة تولي جلّ عنايتها لشخصية القائد باعتباره المحرك الأول للجماعة. وما تزال البحوث الحالية توالي تجاربها على ما يمكن أن يتصف به القائد من صفات جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية، بالنسبة للمواقف التي يمكن أن تواجه الجماعة وتفرض عليها مهاماً تتطلب حلولاً تناسبها، فالقائد الذي يمكن أن تسعى إليه جماعة محاربة ينبغي أن يكون

بمواصفات معينة تجعله أقدر من غيره على القيام بأعباء الحرب ومسؤوليتها المادية والنفسية. والقائد في مجالات الفكر يتوجب أن يكون على مستوى عقلي ومعرفي بحيث قد يطبع هذا المجال أو ذاك بطابعه ويكون فيه الرائد لجماعته إن كان قصّاصاً، أو مصوراً، أو شاعراً، أو عالماً، أو منظراً. ولكن كان الذكاء شرطاً للقائد إلاّ أنّ ذكاءه لا ينبغي أن يكون بحيث يصنع هوة فكرية لا تجتاز بينه وبين الأتباع، فإذا كان قريباً منهم فكرياً وعقلياً ونفسياً فإنه يكون الأقدر على التواصل معهم والتحدث إليهم ومخاطبتهم باللغة التي يفهمونها. وهو في كل الأحوال الأكثر فهماً للأمور، وتقديراً وإدراكاً لمتطلبات المواقف والتنبؤ بالمستقبل. والقائد عموماً له سماته الانفعالية والعقلية والنفسية والاجتماعية التي تلفت إليه الأنظار وتجعله مدار حديث الاتباع. فمن الناحية الانفعالية مثلاً قد تكون القيادة عسكرية، فيستلزم أن يكون القائد على درجة عالية من النضج الانفعالي وقوة الإرادة وضبط النفس والثقة فيها. ومن الناحية الاجتماعية فإنه في القيادة السياسية مثلاً يكون القائد أكثر الجميع بذلاً من نفسه، وخاصة إذا كان القائد زعيماً لأمته كغاندي، فكان ينام ويستيقظ على قضية بلاده، لا يعرف لنفسه قضية غيرها، وبلاده كانت عنده هي الزوج والولد والأهل، ومركز تفكيره ومشاعره كلها. والقائد هو دائماً الأقدر على تمثل قيم جماعته والتمسك بها، ومراعاة مشاعر أعضاء جماعته وجمعهم حوله متحدين، ورفع معنوياتهم وكسب ثقتهم وإذكاء ثقتهم في أنفسهم، ببساطته وتواضعه وحكمته وانبساطيته وجو المرح surgency والتفاؤل من حوله، والتزامه بعادات شخصية يؤثر عنه ويكون بها قدوة يحتذى. ويبدو أنّ المهمة task هي التي تختار القائد وليس القائد هو الذي يختار المهمة، فإذا توافرت في القائد مقتضيات المهمة كان لها، ففي جماعة النقاش مثلاً يقتضي الأمر أن يكون قائدها على درجة عالية من سعة الأفق والمرونة، وفي جماعة البحوث يبدو أنّ أفضل ما ينبغي أن يتحلى به قائدها أن يكون حلالاً للمشاكل. ويشترط بعض

العلماء شروطاً للقيادة أعم من ذلك، كأن يكون القائد على مستوى عالٍ من قوة الأنا، ومن تكامل الشخصية أو قوة الأنا الأعلى، متحرراً من كل ألوان القلق والتوترات العصبية، ميالاً إلى تأكيد ذاته وقادراً على المبادأة الاجتماعية.

وترتبط بنظرية الشخصية في القيادة نظرية الرجل العظيم great-man theory، وتقوم على افتراض أنّ التاريخ من صنع الأفراد، وأنّ «الفرد وليس الفكرة هو الذي يدفع حركة التاريخ»، وأنّ من الناس من تكون لهم مواصفات شخصية غير عادية تجعلهم الأقدر على تحمل التبعات غير العادية في مراحل إستثنائية من تواريخ جماعاتهم، ويطلق عليهم لذلك «المحوريون axle men»، أي الذي بهم يتحول المسار التاريخي. ولأنّ هؤلاء الناس أبطال قوميون فإنّ بعض العلماء يسمي النظرية باسم نظرية البطل القومي national-hero theory، ولعل سعد زغلول وجمال عبد الناصر من هؤلاء، ويوصف البطل القومي بأنه رجل سياسة تتمثل فيه «إرادة الأمة»، وتتأكد به شخصيتها وتوجهها الذي فيه تحقيق مصالحها العليا. ولربما يتمثل جهد الرجل العظيم أو البطل القومي فيما يبني من مؤسسات تنتظم بها أمور الجماعة، وقد نطلق عليه إسم رجل الدولة statesman، أو قد نقول إنه رجل المؤسسات institutional statesman، أو الباني للنظام system builder، وهي مصطلحات جديدة جرت على الألسنة مع قيام علوم للإدارة والسياسة والحكم، تعالج القيادة باعتبارها وظيفة إجتماعية أو عسكرية يمكن تعلمها والتدريب عليها، والفرق بين القائد الموهوب gifted leader والقائد المحنك experienced l. هو فرق في التعليم والدراية، إلاّ أنّ الشخصية شرط في الحالتين، فالقيادة لها مؤهلات خاصة ومواصفات في الشخصية تؤهل صاحبها لتلقي العلم القيادي وممارسته وإتقانه. وليس أكثر من الحاجة إلى علم النفس بالنسبة للقائد، وهو العلم الأساسي في تصميم برامج تدريب القيادات بطريقة القيام بالأدوار role playing وتمثلها، والاضطلاع بدقائقها، وما تستلزمه من حيث التخطيط للأهداف، وبلورة فلسفاتها العامة التي

تقوم عليها، والسياسيات التنفيذية لتحقيقها. والقيام بالدور يفترض أن المتدرب في موقف، و«كأنه» يواجه مهمة، وتتميز القيادة بأنّ ما يدفع إليها وجود مواقف مشكلة. والقيادة ركناها القائد والأتباع، وتنهض على ركيزتين هما الموقف the situation والمهمة task التي يفترضها الموقف. وبعض النظريات في القيادة تولي المواقف والمهام عناية أكبر. وللموقف ما يستتبعه من قيم واتجاهات تكون مدار النشاط الموكول بالمهمة، ومن ثم تضيف طبيعة المواقف والمهام إلى الدوافع الكثيرة والمتشابكة التي ترتبط بوظيفة القيادة، والتي تجعل لها دوراً متميزاً يتفاعل به القائد مع أتباعه فيتعين بهم، ويحس أحاسيسهم، ويتطبع بمعاييرهم، ويشاركهم هذه المواقف إلاّ أنّ مشاركته لهم عن وعي أكثر بمشاكلهم، ورغبة أكثر لأن يكون «رجل المشكلة the problem man»، وأن يأخذ بزمام جماعته إلى حلها. والقائد شديد الطموح وبه مثابرة عجيبة. والسلوك القيادي leading behavior سلوك متميز، والبعض يشترط للقائد جاذبية فطرية charisma فيه، وهذه هي القيادة الكاريزمية charismatic l.، باعتبار القائد شخصية موهوبة لها المقدرة على جمع شمل الأتباع، وأن يحلقهم حوله من أجل جماعته. والقائد لكل الأسباب السابقة لا يمكن إلاّ أن يكون إنساناً متميزاً حقاً، وأن تتخذه جماعته رمزاً لها وتنشد فيه صورة للأب father image، ولعله لهذا كثيراً ما يطلق على القائد إسم الأب والوالد، وكان السادات يحاول أن يصطنع لنفسه هذا الدور، وأن يكون النموذج الذي يتعين به الجميع.

ولأنّ المواقف تتغير فإنّ مهام القيادة ووظائفها تتخالف، والقائد الذي يصلح لمهمة قد لا يصلح لأخرى. وقد تكون للجماعة أكثر من قيادة، ويقوم مبدأ فصل السلطات على تعدد القيادات، وجماعية القيادة، والقيادة الموزعة distributed leadership، ومبدأ القيادة كوظيفة إجتماعية leadership as group function، بافتراض أنّ التفاعل الاجتماعي عملية مشاركة بين أعضاء الجماعة، فإذا كان القائد هو أهم الأعضاء فليس معنى ذلك أنّ بقية

الأعضاء لا أهمية لهم. ويذهب البعض لهذا السبب إلى القول بنظرية تكامل وتفاعل كل متغيرات القيادة، وهي القائد والأتباع والجماعة والمواقف والمهام، فالعلاقة بين القائد والأتباع بمقتضى ما سبق علاقة تبادل وتواصل ومشاركة، فلا وجود للقائد بدون الأتباع، كما أنّ الأتباع لا بد لهم من قيادة. ويتشارك الاثنان في المسؤوليات والواجبات والمكافآت وتتوزع بينهم، والسلطة لذلك لا مركزية، ومصادرها ديموقراطية، وتوصف أحياناً القيادة فيها بأنها قيادة إشتراكية أو إجتماعية .social l، وأحياناً توصف بأنها قيادة ديموقراطية .democratic l، والأولى تقوم على توزيع المسؤوليات وإشراك المرؤوسين في اتخاذ القرارات وتحديد الأهداف، والتقليل من دور السلطة المركزية، وتحويل العمل من عمل متمركز حول الفرد إلى عمل متمركز حول الجماعة. وعكس هذا النوع من القيادة هو القيادة المستبدة authoritative or autocratic leadership التي مناطها القسر لا الإقناع، والإملاء وليس الحوار، والسلطة الفردية وليس السلطة الجماعية، وإطلاق سلطة القائد وليس تحديدها أو دسترتها. والقيادة المستبدة أحياناً لازمة في الجيوش وقت الحروب، وفي الدول التي تمر بأزمات قومية يتهددها الانفصال والانحلال والتفسخ والاستعمار. وكثير من المؤسسات الصناعية القيادة فيها أوتوقراطية، وكذلك الكثير من العائلات وعصابات الجانحين. وربما كان شيوع هذا النوع هو سبب اهتمام المصلحين بأمره وعلماء النفس الاجتماعي بخاصة.

وترتبط القيادة الصحيحة genuine leadership بالديموقراطية إرتباطاً جذرياً، والركن الركين للقيادة أو الزعامة هو قيامها على اختيار القائد أو الزعيم إختياراً حراً، إلاّ أنّ الأوضاع العالمية وتوترات الأزمات والتهديد بالحروب وضخامة حجم الجماعات يجعل من العسير الأخذ بالديموقراطية دائماً، وحتى في أعتى الجماعات أخذاً بالديموقراطية فإنها تميل مع التطبيق إلى أن تحصر القيادة في نخبة أو صفوة، وهناك من الشواهد في الدول

الكبرى وخاصة في الولايات المتحدة ما يجعل الكثير من علمائها يجنحون إلى القول بأنّ القيادة فيها للصفوة، وأنها قيادة أوليجاركية oligarchic leadership، وحتى القادة أنفسهم الداعون إلى الديمقراطية فإنهم بمجرد أن يمارسوا السلطة يحتمون بها وينقلبون من دعاة الديمقراطية بالأمس إلى طغاة اليوم. وسلطة الصفوة elite power هي السلطة السائدة في العالم المتقدم. ويبدو أنّ ذلك من عيوب السلطة عموماً. والدارس لتاريخ القيادات المثالية والديمقراطية يدهش لتحولها هذا التحول إلى الأوليجاركية، وربما يساعدها على ذلك نكوص الجماهير عن المشاركة في القيادة وميلهم إلى تسليم السلطة للقوى وان لا يتحملوا المسؤولية. ناهيك عن انّ الديمقراطية يشق فيها أن يرصد كل رأي لأفراد الجماعة، فضلاً عن أنّ القيادات تفرزها مستويات خاصة إجتماعياً وثقافياً تمايزها كصفوة عن العامة. ويباعد المركز الاجتماعي بين القائد والأتباع، فيتوقف عن الإحساس بنبض جماعته، وبعد أن بدأ باعتباره ضمير الجماعة، فإنه ينتهي رئيساً للجماعة تستغرقه إمتيازات الرئاسة، ويجهد أن يدافع عن منصبه وإن لم يعد مثل جماعته. والكثير من القيادات الاجتماعية تتحول إلى الأسلوب البورجوازي بعد أن تتولى القيادة وتصبح قيادة متسلطة وفردية.

وتؤثّر القيادة واختيارها في أداء الجماعة، ويرتبط الأداء بنوعية القيادة، وأفضل أداء هو ما يكون في ظل «القيادة المختارة the chosen l.»، أي التي يختارها الأتباع بحسب المواصفات التي تجعل من القائد الأقدر على الاضطلاع بمهام القيادة. والقيادة المنتخبة هي القيادة التي يختار فيها الأتباع قوادهم بالانتخاب. وليس من شك أنّ القيادة الفوضوية يسوء فيها الأداء، إلاّ أنه ليس أسوأ من الأداء في ظل القيادة المعينة، فليس غريباً أن يسوء الحكم في بلادنا ويفسد لقيامه على التعيين في المناصب القيادية في الدولة.



مراجع:

- Sherif, M.: Intergroup Relations and Leadership.
- Mills, C.: The Power Elite.
- Gibb, C.: The Principles and Traits of Leadership.
- Bass, B.: Leadership, Psychology and Organizational Behavior.
- Tannenbaum and Massark: The Personality of the Follower.
- Borgatta, E.: Great Man Theory of Leadership.
- Browne, C.: The Study of Leadership.
- Cattel, R.: Four Formulae for Selecting Leaders on the Basis of Personality.
- Petrullo, L.: Leadership and Interpersonal Behavior.



– ٥ –

سيكولوجية الإشاعة

أنواع الإشاعات. مصنع الإشاعة ومروجها. الإشاعة المضادة وحرب الإشاعات. زرع الإشاعة وافتحاشها. عيادات الإشاعة. أنصاف المثقفين والإشاعة...



الإشاعة rumour – كأي سلوك تعبيري إنساني – لها جانبها الاجتماعي وجانبها النفسي، سواء كانت مجرد تقولات يتناقلها الناس بشكل عادي، أو كانت تخرسات عنيفة تؤلب المجتمعات والفئات والطبقات، وقد يقتصر تناقلها على بضعة أفراد، وقد تسري بين المئات، وقد تتناول موضوعات لا تنفك تعاود الظهور على فترات، وقد يكون انتشارها لبعض الوقت ثم تخمد بعده، وقد يكون الموضوع الذي تتعرض له من الأهمية بالنسبة للمجتمع بحيث تدخل الإشاعة في نسيج الثقافة وتبقى للأبد كأسطورة. والكثير من الأساطير حول معجزات الأفراد وما شابهها كان في أصله إشاعات، ثم جمدت على شكلها واستحالت جزءاً من التراث الشعبي الشفوي، ولذلك فقد يطلق على الأسطورة من زاوية دراستها كإشاعة إسم الإشاعة الجامدة solidified r. والإشاعة عموماً بما أنها كذلك لا بد أن تكون لها أهمية عند من يتناقلونها، وتقوم أهميتها على أهمية الموضوع أو القضية التي تتناولها، ولا تروج الإشاعة إلاّ لأنها تجلو غامضاً، أو تفسر أمراً قد غمض

على الناس المعنيين بها وحاروا في تفسيره. والأهمية importance والغموض ambiguity، هما الشرطان اللذان لا بد من توافرهما لتقوم الإشاعة، وإلا كان ما يتداوله الناس خبراً عادياً، وأما الإشاعة فالمعادلة التي تعكسها مؤداها أنه بمقدار «أهمية» موضوعها عند بعض الناس، ومقدار «غموض» هذا الموضوع، يكون رواج الإشاعة وانتشارها، فالمواطن العربي المسلم مثلاً لن يهتم بإشاعة حول أسعار لحم الخنزير لأنه لا يأكل هذا اللحم، وبالمثل فإنه لو توافرت لديه كل المعلومات المؤكدة عن موضوع معين فلن يصغي لإشاعة حول هذا الموضوع لعدم غموضه بالنسبة له. ولعله لهذا السبب وطبقاً للمعادلة أو القانون السابق الذي قال به العالمان جوردون أولبورت Allport وليو بوستمان Postman (١٩٤٧) فإنّ الإشاعة تروج بشدة وقت الأزمات وفي زمن الحروب، لانّ الأحداث فيها على درجة كبيرة من الأهمية، فضلاً عما تحاط به من سرية، وما يكون عليه الناس من ترقب وقلق وخوف. وجراثيم الإشاعة r. germs تبقى حية دائماً في الكيان الاجتماعي، أي أنّ المجتمع في حالة تهيؤ مستمر لسريان الإشاعة فيه، وإنما تتحرك الإشاعة فيه وقت السلم حركة بطيئة، وعلى صورة غير سامة، وأما في الأزمات ووقت الحرب فإنّ الإشاعة تتفجر ويتداعى لها الكيان الاجتماعي بالحمى. وتوصف الإشاعة وقت الأزمات بأنها إشاعة سامة venomus r.، أو إشاعة هدامة .. damaging r. وتخرج الإشاعة والكيان العضوي للمجتمع أقل ما يمكن قدرة على احتمال تأثيراتها الضارة. فالحروب والكوارث والأوبئة والأزمات مدمرة بذاتها، ويتضاعف تدميرها عندما تنضاف مضاعفات الإشاعة إليها. وهناك صلة وثيقة بين الإشاعة وحركات الشغب riots، وما من حركة شغب قامت إلاّ وسبقتها إشاعات مقدمة للشغب pre-riot rs.. وتستثير العنف وتصاحبه وتغذيه. وتلعب الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية دوراً خطيراً في الترويج للإشاعة وفي استنباتها planting a r.، وكان هتلر يعتمد على الإذاعة خصوصاً في نشر الإشاعة والرد عليها. وبعض الصحف وخصوصاً الحزبية تختلق

عناوين مثيرة لا تبررها الموضوعات التي تتناولها. وبعض العناوين هو إشاعة تصوغها رئاسة التحرير بالطريقة التي تيسر سريانها. وكلما كانت الإشاعة موجزة ومقتضبة قلّت فرص تحريفها أثناء تداولها، ومن شأن العناوين الموجزة أن يتناقلها الناس بسرعة. وتكشف العناوين عن تحيز الجريدة. ويصدق الشيء نفسه على الأخبار من حيث عملية عرضها إنتقائياً. وتثبت الدراسة على الأخبار الصحفية أو الإذاعية أنّ الجمهور يتناقل الخبر أو القصة الإخبارية من الزاوية نفسها التي تعرضها بها الجريدة أو الإذاعة، ويزيدها إبرازاً بتأويلاته. وتمهر الصحافة المنحازة في إيراد ما تشاء من زاوية رؤياها في أول المقال أو الخبر، وتترك الرأي الآخر لتعرضه في النهاية وبشكل سريع، بحيث لا يعلق بذهن القارئ أو ذاكرة المستمع. وعموماً فإنّ الصحافة لا يمكن فيها أن يعرض الرأي محايداً، وما يقال له التسوية leveling، أو الحذف omission، أو اللوي distortion للأخبار، عملية عادية في الكتابة الصحفية.

وهناك دائماً فرق بين الخبر والإشاعة، فالخبر news في صورته المثالية يتميز بمسايرته للمعايير الصادقة، وأما الإشاعة فمن دأبها أنها تفتقد هذه المسايرة. والإشاعة دائماً قضية ليس من السهل تكذيبها أو تصديقها، وبعض الناس ليست لديهم المناعة r. immunity ضد الإشاعة، ويتميزون بالقابلية للتصديق بدون تحميص unthinking acceptance لكل ما يكتب في الجريدة أو يقال في الراديو، والبعض يتشكك دائماً في كل ما يكتب في الجرائد، ولا يصدقون كل ما يقال عن طريق الإذاعة، والكثير مما ينشر هنا وهناك يتعامل مع الناس على أنه مجرد دعاية propaganda. والتنبه للإشاعة r. consciousness مثل التنبه للدعاية، يجعل القراء والمستمعين أقل تصديقاً لما يكتب أو يقال، غير أنّ الملاحظ في الدول النامية بالذات، ونتيجة لانتشار الأمية، وضحالة الثقافة، أنّ الناس لا يكونون متنبهين للإشاعة، حتى أنّ الصحافة قد تسبق الخبر بعنونته «يشاع أن»، وهو عنوان تحذيري كما نرى، إلاّ أنّ الناس أيضاً يتقبلون ما يشاع،

وبعبارة أخرى فإنّ الإشاعة المعَنْونة labeled r. تشبه في فاعليتها الإشاعة غير المعنونة، وأنّ عنونة الخبر بأنه إشاعة لا يقلل من فرص تصديقه، وأنّ محاربة الإشاعة بعنونتها على أنها إشاعة - لا تجدي، ومن ثم كان الأولى بمحاربة الإشاعة دحضها بالمنطق والوقائع وليس مجرد عنونتها. ويبدو أنّ الإشاعة عبر التاريخ كانت الشغل الشاغل للحكومات والمجتمعات لهذا السبب. ويروى أنّ جيوش التتار كانت تعتمد في انتصاراتها على الإشاعات تسبقها عن طريق التجار إلى البلاد التي يريدون غزوها. وكان الرومان يحذرون الإشاعات ويقيمون لها ما نسميه حتى الآن حراس الإشاعات r. warden للتنصُّت عليها وجمعها والإبلاغ عنها، وهم أنفسهم البصاصون voyeurs الذين تحكي عنهم المراجع العربية، ومراسلو الإشاعات r. reporters بلغة أهل العلم حديثاً، ويناط بهم مخالطة الأهالي وإيصال الإشاعات إلى ما يسمى لجان الإشاعات r. boards التي مهمتها التصدي لها. ومن رأي البعض أنّ قصة حرق العرب لمكتبة الإسكندرية إشاعة تاريخية، وأنّ حرق نيرون لروما (سنة ٦٤م) وعزفه على قيثارته وهو يلتهي بمشاهدة إحتراقها إشاعة أخرى إلتصقت باسم نيرون Neron (٣٧-٦٨م). ومن ميكانيزمات الإشاعة أنّ قصتها تختزل وتتكثف حتى ليمكن أن تستحيل مجرد عنوان في جريدة أو مثلاً يضرب، له دلالته المجازية. وإذا كان المسيحيون الأوائل قد أطلقوا هذه الإشاعة على نيرون كما أطلقوا إشاعة حرق العرب لمكتبة الإسكندرية، فإنّ نيرون نفسه أطلق إشاعة مضادة anti-r.، بأن نسب الحريق للمسيحيين، كما نسب العرب الحريق للرومان. والإشاعة هي أيضاً التي أوردت سقراط Socrates (٤٧٠-٣٩٩ ق.م.) موارد التهلكة، فلولا أنّ أعداءه أشاعوا عنه إفساده للشباب ما حكم عليه القضاة بالموت بتجرع السم. وفي كل إشاعة لا بد من قدر من الواقع إلاّ أنّ الذي يصوغ الإشاعة تنصب مهارته في أن يجعلها كل الواقع. وفي الحروب النفسية psychological warfares، أو ما يسمى حرب الدعاية، أو الحرب العصبية، أو حرب الإذاعات، أو حرب

الكلمة، أو الحرب الإيديولوجية، يعتمد صناع الإشاعة على جمع القصص التي تقوم على بعض الحقائق أو الوقائع، ويصوغون منها إشاعات تتخصص في صياغتها لجان يطلق عليها مصنع الإشاعة factory .r. وتقوم صياغة الإشاعة على دعاوى القائمين عليها بأنها بيانات إعلامية، وتلك مغالطة تغفل الجانب الإسقاطي في الإشاعة، من حيث أنها تعبر عن الأحوال العقلية والانفعالية لقائليها. والمشكلة أنّ البعض ممن ليس لديهم وعي إشاعي قد يقبل الإشاعة على ما قصد إليه قائلها، باعتبارها نقلاً للواقع، ومن ثم كانت أهمية الدفاع ضد الإشاعة ومقاومتها، وهو أمر تتفرغ له عيادات يقال لها عيادات الإشاعة .r clinics، مهمتها تحليل الإشاعات وتصنيفها، ونشر الأخبار الصحيحة عنها من مصادرها الموثوقة، ودراسة دوافع وأسباب افتحاشها r. mongering ، أي تداولها المبتذل. وتشبع الإشاعة عدداً من الدوافع النفسية، فهي أولاً متنفس عن التوترات الانفعالية بإفراغها لفظياً، وهي ثانياً تبرير لما نشعر به إنفعالياً. فتعطينا سبباً له، فإشاعة نطلقها مثلاً عن الإنجليز وبرودهم قد تكون بعد تحليلها تعبيراً عما نشعر به من كراهية وعداء للإنجليز نتيجة استعمارهم لنا، وقد تفسر لنا أمام أنفسنا وأمام الغير أسباب هذه الكراهية والعداء، فكأنّ الإشاعة إلى جانب التفريغ الانفعالي emotional release تضفي معقولية على الموقف، فضلاً عن أنّ الكثير من الإشاعات يقوم على ميكانيزم الإسقاط projection، فمثلاً تروج عند العرب النكت التي موضوعها أهل الصعيد من مصر، وهي من ضروب الإشاعات التي تستخدم الإسقاط الذي يقال له الإسقاط المتمم complementary projection، بأن أتلمس في تنكيت المصريين أنفسهم على أهل الصعيد سبباً لكراهيتي لأهل مصر كلها الذين منهم أهل الصعيد، وذلك بخلاف الإسقاط المباشر direct projection الذي أنسب فيه ما بنفسي إلى غيري، فإن كنت أكره اليهود فإني أشيع مثلاً عن اليهود كراهيتهم للعرب. والإشاعات التي على شكل نكت أو التي تتذرع بالفكاهة لا تستهدف الإثارة ولكنها تستهدف

الضحك، إلاّ أنها مع ذلك تعبر عن الكراهية، والكراهية التي تعبر عنها النكت على أهل الصعيد أو على أي شعب أو فئة هي كراهية أجناسية racial hatred. وربما تكون هذه النكت سياسية وبها الكثير من النقد، وتعبر عن العداء أو تنفس عن مشاعر إنفعالية مقموعة. وتصنف الكثير من النكت السياسية باعتبارها «نكت اتجاه attitude jokes»، أي تعبر عن اتجاه قائليها، فبدلاً من أن يقول شخص أنه يكره عبد الناصر فإنه قد يروي نكتة عنه، ومع ذلك فقد يروي آخرون النكتة عنه دون أن يكون لديهم على المستوى الشعوري أو حتى اللاشعوري الكراهية نفسها لعبد الناصر. والكثير من النكت التي مناطها تحقير حزب أو جماعة أو شعب قد تثبت وتستمر كإشاعة بسبب قيمتها التنفيسية.

ودراسة الإشاعة قد يقتضي زرع الإشاعة planting r. عن عمد، ومتابعة سريانها عبر سلسلة انتقالها، وتحليل عملية الانتقال، والسياقات العقلية لكل عميل للإشاعة agent r. وتختلف الإشاعة التي نزرعها في التربة الاجتماعية المحيطة عن الإشاعة المعملية lab r. التي تقتصر على دراسة ظروف انتشار الإشاعة داخل المعمل النفسي psychological lab. وتسري الإشاعة اجتماعياً بسرعة وخاصة في أوقات التوقعات العصيبة. وبعض الإشاعات نسميها لذلك إشاعات جامحة impetuous rs.، ويزيد اندفاعها كلما زادت التوقعات واقترب الناس أكثر من بؤرة الجذب في التقولات، فمثلاً إشاعات حلول السلام final-peace rs. تروج أكثر مع قرب انتهاء الحرب. ولقد شهدت الساحتان العراقية والإيرانية طوفاناً من الإشاعات من هذا النوع عندما ألقى الخوميني بيانه المشهور عن رغبة إيران في وقف الحرب. ويطلق على الإشاعات التي يلهبها الاقتراب من الهدف إسم الإشاعات التوقعية anticipatory rs.، وعلى عكس ذلك في تجارب المعمل النفسي، فنحن نصطنع تسلسل إنتقال الإشاعة ونضحي بالتلقائية التي للموقف الإشاعي الطبيعي، وبدلاً من أن تكون هناك دوافع عميقة لانتشار الإشاعة فإنّ الإشاعة المعملية laboratory r. تعتمد على

استعداد الشخص للتعاون مع المجرب، وليس من الممكن سبر مشاعر العداء والكراهية والخوف إلاّ في أضيق الحدود، ويتعذر التماس تأثير العلاقة الشخصية المميزة لانتشار الإشاعة والتي تكون بين الراوي والسامع، كما أنّ التحريف الذي يطرأ على الإشاعة في انتقالها طبيعياً يحذره الرواة في المعمل، فضلاً عن محدودية نوع الإشاعة التي يمكن التجريب عليها معلمياً. وتُثبت الدراسات المختلفة أنّ الأشخاص الذين يروجون للإشاعة يزيد تحفظهم إذا استشعروا أنهم تحت الملاحظة.

٢. وتتسم روايات مروجي الإشاعة spreaders بالإيجاز conciseness الشديد إذا واجهوا بإشاعاتهم جمهوراً كبيراً، بعكس ما قد يلجأون إليه من الإفاضة إذا كانت رواياتهم لأفراد. والإيجاز من الصفات التي تكتسبها الإشاعة في تناقلها، وكلما زاد تناقلها كلما مالت إلى أن تصبح أكثر قصراً وإحكاماً وسهولة في الفهم والإلقاء، وكلما قلَّ عدد ألفاظها وتفاصيلها، حتى أنه تبين أنّ ٧٠٪ من التفاصيل تسقط خلال تداولها لخمس او ست مرات من شخص إلى شخص وإن لم يكن هناك فاصل زمني بين كل رواية، كما أنّ هذا السقوط أكبر ما يمكن في التناقلات الأولى. ويسمي علماء النفس هذا الميكانيزم الذي مضمونه الحذف باسم التسوية leveling أي تسطيح الرواية، ولا يعني الحذف للتفاصيل أنه حذف يتم عشوائياً، فبعض التفاصيل يكون أكثر تعرضاً للحذف من غيره، ومن ذلك أسماء الأعلام والألقاب والأماكن، وخاصة إذا لم تكن معروفة وليست لها أية دلالة أو أهمية في نظر الراوي ولا تساعده على متابعة المعنى. وأما إذا كانت هناك اهتمامات بالأسماء فإنها تحفظ عبر سلسلة الانتقالات. ونلاحظ في التسوية أنّ العبارات القصيرة يغلب استعادتها بأمانة، وخاصة إذا لم يكن هناك إلاّ أقل التفاصيل التي يمكن أن تستوعبها الذاكرة حرفياً وتقل إزاءها الفرصة أمام عملية الانتقاء والتحريف. وعندما لا تكون للشخص دوافع قوية للتحريف، وليس له من هدف من نقل الإشاعة سوى مجرد الرغبة في الثرثرة، فإنّ خموله النفسي يجعله يبتعد عن التحريف، ومن ثم ينقل

الرواية عن صورة قريبة من التي سمعها. وكذلك عندما تصبح الإشاعة من الاقتضاب حتى لتشبه الشعارات mottoes، فلا يقتضي الأمر بذل جهد في حفظها على صورتها الحرفية التي سمعها بها.

والميكانيزم الثاني الذي يعمل عمله في تحريف الإشاعة عند تناقلها هو ميكانيزم الإبراز sharpening، ويعني أنّ الراوي في فهمه للإشاعة يفهمها على صورة معينة، ويدرك منها معنى معيناً وبتفاصيل معينة، ومن ثم فإنه عندما يرويها يحب أن يوضح هذا المعنى وينبه إلى تلك التفاصيل، فتكون روايته لذلك بشكل معين. والإبراز هو الوجه المكمل للتسوية، فما يتم تسويته أو حذفه إنما يحدث لكي نبرز عليه أشياء أخرى. ومن الممكن أن يأتي الإبراز على شكل تكرار للأسماء والأماكن، أو بردّ الواقعة في الزمن الحاضر، أو بالتأكيد على عناصر الحركة في الشائعة، أو بالتهويل في الأحجام للفت النظر إليها. وتستأثر بالانتباه الرموز المألوفة كالجامع، أو المدرسة، أو الجيش، أو الشرطة.

والإغلاق closure من صور الإبراز، حيث نميل عند نقل الرواية إلى أن نكمل ما ننساه أو نخطئ فيه. ويخدم الإغلاق الميكانيزم الثالث من ميكانيزمات تحريف الإشاعة وهو المسمى التمثل assimilation، فما نسمعه من إشاعات نفهمه في إطار ثقافتنا وما تعارفنا عليه إجتماعياً، ونميل عند تذكره أو روايته من جديد إلى أن نحرف فيه تبعاً لتمثلنا له، بحيث نجعله أكثر معقولية بالنسبة لها، وبحيث تبدو روايته أكثر تماسكاً، وقد نضيف على التفاصيل، وقد يكون من تمثلنا لها أن نختزل التفاصيل ونكثفها، ويساعدنا على ذلك أن تكون هناك متشابهات نضمها معاً ونسقط ما دون ذلك. وقد يكون استيعابنا وتمثلنا للإشاعة بقدر ما نعرف من وظائف لما فيها من أشياء، فسيارة إسعاف مثلاً في الإشاعة قد تجعلنا نضيف أنه كان بها عدد من المصابين، وأحياناً ما تكون الإضافة لوجود ترابطات لغوية تستدعي بعضها البعض.

وهناك أنماط ثقافية جامدة وشائعة تعمل عملها في التحريف، فالإشاعة التي

تتناول مثلاً حادثة إغتصاب إذا رددها الرجال فقد يجعلون السبب في الاغتصاب غواية المرأة، وإذا رددها النساء فقد ينسبن الاغتصاب لعنف الرجل وبهيميته، وإذا كانت هذه الإشاعة في الأوساط الراقية فإنّ المغتصب يجعلونه عاملاً أو فلاحاً، وعلى العكس فإنّ الطبقات الكادحة قد تنسب الاغتصاب لصاحب العمل أو الرجل الموسر.

وتميل الإشاعة دائماً إلى التلاؤم مع الاهتمامات المهنية، أو الطبقية، أو الأجناسية، والأحكام القبلية عند الشخص الراوي لها، إلاّ أنه رغم التحريف فيها بالتسوية والإبراز والتمثل، فإنّ الموضوع الرئيسي لها يظل أقل عناصرها تعرضاً للتغيير، فإشاعة الاغتصاب تظل كما هي عن الاغتصاب، حتى مع تغيير أو استبدال بطل الإشاعة r. protagonist وتثبت أغلب الدراسات على الإشاعة أنه من النادر البناء على الموضوع الرئيسي بإضافة أشياء مختلفة، فالإشاعة تميل مع تكرار ترديدها إلى أن تكون أصغر فأصغر لا أكبر فأكبر.. وإذا كانت هناك إضافات مختلفة فذلك من تأثير السعي لأن يكون لقصة الإشاعة معنى، وهو ما ذكرنا أنه من تأثير ميكانيزم الإغلاق.

وأحياناً يصدر التحريف بالاختلاف من جراء إساءة فهم ألفاظ الإشاعة، فما لا ندركه من كلمات قد نحرفه بقدر ما تسعفنا معلوماتنا اللغوية التي تقرب في مبناها أو معناها من الألفاظ التي ننساها أو نعجز عن تذكرها أو إدراكها. وتختلف رواية الأطفال للإشاعة عن رواية الكبار بحسب سن الطفل. وتتزايد الإضافات أو الاختلافات بصورة مطردة مع زيادة العمر. ويعتمد الأطفال الصغار في تناقلهم للإشاعة على إعادة الرواية، وفي سن الثانية عشرة وليس قبل ذلك يلجأون إلى التأليفات التأويلية. ويقل عند الأطفال تأثير الانحيازات الطبقية أو المهنية أو الأجناسية على التحريف.

وهذا التمثل أو المواءمة بين الإشاعة والثقافة يجعل من الإشاعة عملاً يتسم بالذاتية، فالراوي أو الناقل يشرب الإشاعة من ذاتيته بتأويلاته الباطنية، وتمثله لها عبر ثقافته وانحيازاته، وأخيراً

يسقطها إلى الخارج عملاً من ابتكاره، كالفنان الذي يجري فرشاته على الموضوع تسويةً وحذفاً وإبرازاً. والإشاعة من هذه الوجهة «عمل فني»، إلاّ أنه «عمل ساذج»، فإنّ ما نسمعه أو نراه تجري عليه الذاكرة عملية إقتصادية تُبسِّطه بها، وتجعل له دلالة ترضينا عقلياً، ومعنى يساير تأويلاتنا للطبيعة والسلوك البشري. وما نسميه مبالغة في الإشاعة إنما نقصد به الإبراز. والاختلاق في الإشاعة يطورها شكلاً ولكنه لا يتناول الجوهر فيها، بل إنه ليخدم هذا الجوهر ويزيده وضوحاً.

وتصنف الإشاعات إما بحسب موضوعاتها، أو سرعتها في التداول، أو الدوافع وراء سريانها، أو الآثار الاجتماعية المترتبة عليها. وهناك مثلاً الإشاعة الحابية creeping r.، تتنامى ببطء وتتسع دائرة انتشارها في سرية، ومنها إشاعات كاسندرا Cassandra rs.، وكانت لكساندرا في الأسطورة القدرة على التنبؤ بالشر قبل وقوعه، إلاّ أنه كان مقدوراً عليها ألا يصدقها قومها. وتعني إشاعات كاسندرا إنها إشاعات منذرة بالشر وتحذيرية، وتقع فعلاً.

وهناك الإشاعة المندفعة impetuous r.؛ والإشاعة الملتهبة inflammatory r. لأنّ من صفاتها أنها سريعة الانتشار كانتشار النار في الهشيم؛ وإشاعات العنف atrocity rs. ومحتواها الشغب؛ والإشاعات المروعة أو الغولية bogy rs. ومدارها الكوارث والفيضانات والنكبات؛ والإشاعات الوبيلة deleterious rs. لها نتائج وبيلة أو وخيمة؛ والإشاعات المفرقة dividing rs. تتابع ستراتيجية فرّق تسد divide and conquer؛ والإشاعات الغاطسة diving rs. تطفو لبعض الوقت ثم تغطس، أي تختفي لتعاود الطفو أو الظهور عندما تستحضر ظروف مشابهة.

والغالب أنّ الإشاعة خليط من الدوافع والانفعالات والأسباب حتى ليشق على المحلل أن يصنفها تصنيفاً دقيقاً ما لم يلمّ بدوافع الراوي للإشاعة. وترتبط كل إشاعة بالشخص الذي يتناقلها. وأشخاص الإشاعة أو جمهورها هو الذي يتقبلها ويكون متهيئاً لاستقبالها وتداولها، وبعض الناس لديهم مناعة immunity against rs. ضد الإشاعة، والبعض لديه

استعداد لتقبل الإشاعة بدون تحميص، والبعض قد يكون لديه هذا الاستعداد لنوع دون نوع آخر، وكل إشاعة لها جمهورها، وحتى عندما يتوفر الشرطان اللازمان لانتشار الإشاعة وهي «الأهمية والغموض» فليس كل شخص مؤهلاً لكي يصبح حلقة ضمن سلسلة الإشاعة، إلاّ إذا كان بشكل عام من النمط الاستهوائي suggestible type الذي تستميله الإشاعة ويصادق عليها بدون قصد، وهو نمط أنصاف المثقفين quasi-cultured type الذين تحكمهم إتجاهات جامدة وأحكام قبلية نمطية.

والإشاعة كالدعاية تنشطها وتدعمّها الاتجاهات الموجودة في المجتمع وعند السامعين والناقلين، بالإضافة إلى أنّ أمثال هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من قصور الوعي الإشاعي وقلة الثقافة تكون فرديتهم ضحلة، ويرتبطون ببعضهم في جماعات متجانسة كعمال المصنع، أو طلبة المدرسة، أو سكان المدينة الصغيرة، أو أعضاء النادي، ومن ثم يعمل تجانسهم على أن تسري الإشاعة بسرعة بينهم.



مراجع:

G. Allport and L. Postman: The Psychology of Rumour. –

Coplow, T.: Rumours in War. –

Peterson and Gist: Rumour and Public Opinion. –

Prasad, Jamuna: The Psychology of Rumour. –

Schachter, S. and Burdick, H.: Rumour Transmission and Distortion –





الباب الخامس

علم النفس
في خدمة التجارة
والدعاية والإعلان والإعلام



- ١ -
سيكولوجية الحاجات

أنواع الحاجات ومدارج تراتبها والسلوك الذي تدفع إليه. الحاجات النفسية والحاجات العصابية. المبدأ في الحاجات. ضغوط الحاجة. شحن الحاجة. إشباع الحاجة...



الحاجة في مجال علم النفس إفتقاد لشيء تكون به استقامة الحياة عضوياً أو نفسياً، ومن ثم كان تمايز الحاجات، فبعضها عضوي، وبعضها بيولوجي، أو فسيولوجي، وبعضها مادي، وجميعها يلزم لحياة الإنسان، ليستمر في البقاء، وتسمى لذلك حاجات أولية primary needs، أو أساسية basic needs، وبعضها نفسي psychological needs يلزم الإنسان ليعيش حياة أفضل، والحياة الأفضل تحتاج لقيم الحق والجمال والخير والعدل والإيمان، وهي قيم عليا، والحاجة إليها لا بد أن تعلو كل الحاجات، ومن أجل ذلك يطلق عليها البعض إسم الحاجات العليا metaneeds، وهناك حاجات تتوسط المرتبتين السابقتين وتلزمنا كالحاجات الأولية تماماً وإن لم تكن منها، «فأن نعيش في مكان وزمان» حاجة أساسية وإن لم تكن أولية، وهي حاجة نفسية في الوقت نفسه لأنها ليست عضوية أو فسيولوجية، ولا مما يقال له الحاجات المتوسطة intermediate needs، وكأننا بذلك نقيّم الحاجات في مدرج تراتبي need hierarchy، وفي كل مدرج قد يعيد الفرد تراتب حاجاته بحسب أهميتها له في مراحل عمره أو مواقف حياته المتباينة القيمة والأهمية. على أنّ الحاجات جميعها لا تنفصل عن بعضها، وتتفاعل مع بعضها في تأثيراتها، وتتعدل بشكل دينامي يصنع منها حاجة كاملة integrate need أو وحدة حاجات need unit.

والمبدأ في الحاجات هو أن توجد الحاجة أولاً، كالحاجة إلى طعام، ويعني ذلك أنّ هناك نقصاً غذائياً في الدم، فيعمل هذا النقص إلى استثارة دافع الجوع فيقوم الكائن الحي بنشاط، يحفزه

إليه وجود مادة الطعام فيتناوله، فتشبع الحاجة وتخف حدة الدافع، ونطلق على هذه السلسلة المتتابعة إسم «نموذج الحاجة فالدافع فالحافز need-drive-incentive model».

وللحاجة ضغط n.-press يجعل السلوك ينحو في اتجاه خاص تكون به محاولة إشباع الحاجة والتخفيف من ضغوطها، ونموذج السلوك هذا نُطلق عليه إسم «نمط سلوك الحاجة الضاغطة press-bahavior need-pattern». و«طراز الحاجات n. pattern» هو التنظيم الكلي لحاجات الشخص.

وشحن الحاجة need cathexis هو ارتباط الحاجة أو ربطها بشخص أو موضوع لتحقيقها، فكلما كان للحاجة ضغط أو إلحاح فكرنا فوراً في هذا الشخص أو ذاك الموضوع الذي ارتبطت به لإشباعها، وسلكنا إليه لتحقيق هذا الإشباع. والاصطلاح مستعار من التحليل النفسي، وبدلاً من أن يكون الشحن بالطاقة النفسية فإنه يكون بربط الحاجة إلى الموضوع بدلاً من الطاقة.

والحاجة إلى الحب والمحبة need for affection، بمعنى أن نحب وأن نكون محبوبين، من أهم الحاجات النفسية التي بدونها تكون عزلتنا فنضطرب وجدانياً وسلوكياً. والحاجة إلى الأمن safety need هي الحاجة لأن نشعر أنّ البيئة الاجتماعية بيئة صديقة وذلك شيء لازم للنمو النفسي والصحة النفسية، فالطفل مثلاً يحتاج لرعاية أسرته ليعيش، والفرد يحتاج للاستقرار في أسرته، فإذا استشعر الأمن عمَّم هذا الشعور على البيئة الاجتماعية، فيجدها مُشبعة لحاجاته، ويرى في الآخرين الخير. والأمن الداخلي ضروري كالأمن الخارجي، بتجنب الأخطار والألم. والحرمان من الأمن النفسي في الطفولة يُصاب من جرائه الشخصي بالاضطرابات النفسية من بعد. والحاجة الجنسية sexual need هي نشاط الغدد الجنسية فيكون الاشتهاء الجنسي ثم الإشباع. وهناك ما يشبه الدورة الجنسية يكون فيها إلحاح أو ضغوط الحاجة الجنسية شديداً، فيكون النشاط الجنسي للكائن الحي زائداً. والحاجة إلى الانتماء need for affiliation بأن نشعر بأننا ننتمي

إلى أسرة أو جماعة من الأصدقاء، أو جماعة مهنية، أو وطن. وتتمثل هذه الحاجة في الاعتزاز بالجماعة، واعتزاز الجماعة بالفرد، والروابط التي تربط بين الاثنين. وعدم الانتماء يشعر الفرد بأنه معزول ووحيد، ويعرضه لحالات من الاكتئاب.

والحاجة إلى المكانة (need for prestige)، بأن نسعى لكي تكون لنا مكانة في الأسرة أو الجماعة، وللمكانة ميزات، وتحصيل المكانة يعني تحصيل هذه الميزات، والناس يقارنون بين بعضهم البعض، والمقارنة تجعلهم يتمنون هذه المكانة أو تلك لما لها من المميزات. وتختلف المكانة بحسب الثقافة، فقد تتدعم المكانة بالعلم في بلد، بينما تتعزز بالمال في بلد آخر، وهكذا. وتتضمن هذه الحاجة حاجات أخرى مشتقة derived ns.، كالحاجة إلى النجاح need for success، و«الحاجة إلى التقدير need for recognition»، و«الحاجة إلى أن نُحِب (بكسر الحاء) وأن نُحَب (بفتح الحاء) need for loving and being loved»، فأن نحصل على مكانة معينة يعني أننا ناجحون، وأنّ الناس تقدر لنا خصائص شخصياتنا فيحبوننا ونحبهم، ثم إنّ الحاجة إلى المكانة قد تدفع إليها الحاجة إلى الحب. وشبيه بها الحاجة إلى القوة need for power، وتحصيل المكانة قوة، إلاّ أنّ الحاجة إلى القوة ربما تكون تعويضاً عن عقدة نقص. والقوة قد تكون بحيازة المال أو تحصيل العلم، ومهما كان ما يعطي القوة فإنّ هدفها النهائي هو السيطرة على الآخرين. والحاجة إلى التحصيل need for achievement من الحاجات المهمة في التعلم، ويتميز بها أبناء الطبقات العليا والشعوب المتقدمة، ومن الممكن تقوية هذه الحاجة برفع مستويات الطموح لدى الأطفال والضغط عليهم لينشأوا نشأة استقلالية. و«الحاجة إلى تحقيق الذات need for self-actualization» أو تأكيد الذات، بأن يكون الشخص نفسه، وأن يحقق لنفسه أهدافها، وأن يشبع حاجاتها، وأن يدعم حريته ويسيطر على الأشياء، وتكون له معتقداته واتجاهاته. والحاجة المشعور بها conscious n. هي

التي نعيها في أنفسنا ونشعر أنها في حاجة للإشباع. وإشباع الحاجة need gratification كالجائع فإنه يأكل حتى يشبع، وخفض الحاجة need reduction هو خفض حدتها فالذي يأكل وإن لم يشبع فإنّ ضغط الحاجة أو إلحاحها يقل.

والحاجة الباطنة internal n. هي التي تنشأ عن تغيرات داخل الكائن الحي مستقلة نسبياً عن التنبيه الخارجي. والحاجة الخارجية external n. هي التي لا يشبعها إلاّ موضوع خارجي من البيئة. والحاجة الظاهرة manifest n. هي التي يفصح عنها السلوك صراحة، ونقيضها الحاجة الكامنة أو المخفية latent n.

والحاجات النرجسية narcissistic هي التي تصدر عن حب ذات شديد عند المرء لنفسه. وحالة الاحتياج n. state هي الحالة المتولدة نفسياً وبدنياً في الشخص نتيجة لنقص حاجة من الحاجات. وتوتر الحاجة n. tension هو ما يستحدثه نقص ما عند الكائن يترتب عليه إلحاح الحاجة فيكون قلق صاحبها واكتئابه ونسيانه وسوء توجهه. وخفض الحاجة n. reduction هو الإشباع الجزئي للحاجة ليقل إلحاحها وما تسببه من توتر.

والحاجات العصابية neurotic needs من إصطلاحات كارين هورني Horney (١٨٨٥-١٩٥٢) والتحليل النفسي، وهي ردود فعل تكون بالعصابي نتيجة شعور أساسي بالقلق الذي يكون معه من الطفولة، فيتعلم أن يستجيب له بطرق غير صحية، قد تتثبت وتصبح أنماطاً سلوكية وسمات من سمات الشخصية وتكون بمثابة الأعراض العصابية، وذلك لأنّ الحاجات التي تدفع إليها هي «حاجات مرَضية» pathological ns.. وتذكر هورني من هذه الحاجات العصابية: الحاجة إلى القوة، والحاجة إلى المكانة الاجتماعية، والحاجة إلى المحبة، والحاجة لاستقلال الآخرين، وجميعها حاجات سوية في الظروف العادية، ولكنها إذا زادت كانت من العلامات الأكيدة للإصابة بالعصاب النفسي.



مراجع:

- Maslow: Motivation and Personality.
- Murrau: Explorations in Personality.
- Hull, C. G.: Principles of Behavior.
- Lewin, K.: A Dynamic Theory of Personality.
- McDougall, W.: The Energies of Men.



- ٢ -
سيكولوجية الإعلان
Advertising Psychology

الإعلان تتحكم فيه قوانين الإدراك. طرق التأثير بالإعلان. مكانه وكلماته ومساحته وألوانه وإخراجه وصوره. التجديد في الإعلان. سيكولوجية الجمهور واستخدام وسائل الإيحاء والإقناع. إعلانات الغرائز وإعلانات العقول...



الإعلان Advertising وسيلة من وسائل التأثير على السلوك، ويستهدف المعلن advertiser جمهوراً خاصاً يقصد إليه بإعلانه، فيطبعه بتأثيرات عنه لا تتطلب استجابة مباشرة، فاستجابة الإعلان إستجابة مرجأة delayed response يكون بها تفضيل الجمهور لموضوع الإعلان. والإعلان في ضوء علم النفس من المواقف الإدراكية العامة، وقوانين الإدراك التي تتحكم في التأثيرات النفسية للإعلان هي: قانون التكرار repetition law: من حيث أنّ تكرار إدراك الموضوعات يجعلها أيسر على التذكر والاستدعاء، وأفعل من ثم في تأثيرها على السلوك. ويزيد من تأثير التكرار أن يكون تكراراً مركزاً. وكلما كانت الموضوعات المكررة أقصر كانت فرصة تدعيم تأثيرها أكبر. ولا ينبغي للتكرار أن يبلغ حد الإملال، فالتكرار الممل يصرف الانتباه عن الموضوع، ويجعله يبدو كما لو كان موضوعاً يطارد القارئ أو المستمع ويلح عليه، بدلاً من أن يشده إليه؛ وقانون الأولوية priority law: من حيث أنّ كل خبرة يدخلها الفرد لأول مرة، يكون لها انطباع ليس من السهل نسيانه أو محوه؛ وقانون الحداثة recency law: فما يرد

حديثاً في الإدراك من صور ومعان، أو ما يطرأ على التفكير منها، يكون استدعاؤه أسهل؛ وقانون الشدة strength law: فكلما كانت المثيرات أشد في قوتها كانت أفعل في تأثيرها ومن ثم تكون أيسر في استدعائها؛ وقانون ثبات الملابسات law of constancy of circumstances: من حيث أنّ التواجد في المجال السلوكي نفسه الذي كان فيه اكتساب الخبرة يساعد على استدعاء هذه الخبرة نفسها.

ويتفنن المعلن في تصميم أو تقديم إعلانه بحيث يلفت إليه أكبر عدد من المشاهدين أو السامعين أو القراء، ويراعي لذلك أن يكون لإعلانه قوة تأثير تظل أكبر فترة ممكنة معهم وتوجه سلوكهم عند الشراء، ويلجأ لذلك طرق نفسية عديدة مؤثرة وفعالة، كأن يزيد من «مساحة الإعلان»، أو «الزمن» الذي يستغرقه عرضه أو قراءته، ويجعله بألوان مريحة للعين ومحببة للنفس، «وبكلمات واضحة وسهلة» يتيسر تذكرها واستيعاب معانيها وفهم رسالتها. والمعلن يُبرز دائماً في إعلانه عناصر الإعلان التي ينبغي أن يلتفت إليها الجمهور، «وإخراج الإعلان» فن رفيع تتكامل به أجزاء الإعلان وتتناسق. ويخصص المعلن لإعلانه «المكان» الذي يضمن له إقبال الجمهور عليه، كأن يكون في «الصفحة الأولى» من الجريدة، أو عقب «نشرة الأخبار» في التليفزيون أو الإذاعة، أو ضمن «مسلسل إذاعي» مشهور، أو «برنامج جماهيري» يحظى بأكبر عدد من المستمعين أو المشاهدين. والإعلان الجيد هو الذي تحشد له كل الإمكانيات البصرية في الذاكرة. «وصور الإعلان» من الأهمية بمكان سواء بشخصياتها التي تبرز فيها، أو الخلفية التي تكون عليها هذه الشخصيات، أو بما يربط الشخصيات بكلمات الإعلان، «والصوت» الذي يقوم بتمثيلها، «والموسيقى» المصاحبة لكل ذلك. ويجدد المعلن دائماً في إعلاناته عن السلعة الواحدة لتكون مشوقة، فلا يمل المستمع أو القارئ ولا ينصرف عنها، والتجديد منه «تغيير حجم الإعلان»، أو «مساحته»، أو «ألوانه»، أو «عباراته»، إلاّ أنه من اللازم دائماً أن يكون هناك عنصر ثابت يكون ألصق بالإعلان، عن هذه السلعة أو تلك، ويكون

لها بمثابة «اللحن المميز» أو «الشعار» أو «العلامة». وكما أنّ للإعلان سيكولوجية فكذلك للجمهور سيكولوجية public psychology، والمعلن يراعي أن يناسب بين السيكولوجيتين، وأن يحشد من العناصر فيه ما يقنع الناس وما يؤثر على تفضيلهم لسلعته. والجمهور المستهدف من الإعلان منه الآباء والأمهات، ومنه الأبناء، ومنه الشيوخ والأطفال، والفقراء والأغنياء، والمثقفون والعمال، ولكلٍ ذوقه وميوله وسلعته التي يحتاج إليها ويريد أن يسمع عنها أو يشاهد الآخرين يؤيدونه على استعمالها. ومن البديهيات النفسية أن المعلن يختار «إسماً» لسلعته، «علامة تجارية» لها، و«شعاراً»، يراعي فيها كل ما سبق، ويربط بينها والتجاوب المنتظر، ويجعل كقاعدة له للاختيار، أن يكون الاسم، أو العلامة، أو الشعار مرضياً لحاجة نفسية عند الجمهور، ومحركاً لدافع من دوافعه إلى إشباعها، فإذا ارتبطت السلعة بصورة فإنّ مشاهدتها أو سماع الموسيقى المصاحبة يحرك الحاجة ودوافع إشباعها، فيكون السعي المفترض للحصول على السلعة وشرائها.

ويستخدم المعلن لإغراء الجمهور على الشراء أو الاقتناء وسائل الإيحاء والإقناع، ويترضى الميول المؤاتية، ويتجنب الميول المعاكسة، ويستميل الناس إلى السلعة مستخدماً كل الحيل النفسية، وقد يلجأ إلى أن ينسب سلعته إلى إطار مرجعي reference frame ، أو يربط بينها وبين شخصيات مرجعية reference personalities، ليكتسب ثقة الجمهور، وقد يقدم عينات من السلعة للتدريب المجاني، فيكون كأنّ السلعة وجودتها يتحدثان عن نفسيهما. والإعلان دائماً متفائل، وجوّه النفسي فيه المرح ويبعث على الثقة في السلعة. ويستغل المعلن الانفعالات التي يمكن أن تستثيرها الأغاني والموسيقى وإيقاع الكلمات وابتسامة شخصيات الصورة. وقد يستغل الخوف فينفر الناس مما يترتب على عزوفهم عن سلعته أو خدمته. وأقوى الإعلانات ما كان يخاطب الغرائز ويدغدغها. وإعلانات الغرائز instincts advertisements أفعل في النفس من إعلانات العقل mind advertisements. وأقوى الغرائز هي غريزة الجنس sex

instinct، ويستغل المعلن التصور والإيهام، ويحاول أن يجعل الناس يعيشون في أحلام يقظة waking dreams، ويفتنهم بالصوت النسائي وجمال القوام الأنثوي، وسحر المترف من السلع، أو يقدم صوراً لرجال يتسمون بالأناقة وحسن اللباس، فيجعل المشاهد يتمنى تقليدهم، والناس تحب المحاكاة، ويشترون لأنّ غيرهم يشتري، والمعلن يعرف ذلك، ويعرف أنّ طلب الجنس والبحث عن الطعام من أهم دوافع السلوك، وقديماً قالوا إنّ الذي يسيطر على الإنسان شهوتان: شهوة الفرج، وشهوة البطن. وتروج لذلك السلع التي إعلاناتها تستغل هاتين الحاجتين الأساسيتين في الإنسان. والحاجات النفسية كثيرة، والمعلن دائم الاستغلال لها، كالحاجة إلى حب الاستطلاع curiosity need فالإنسان غالباً ما يحركه الفضول، والحاجة إلى الأمن safety need، وأن نشعر بالراحة النفسية والطمأنينة، وأن يكون لدينا كل ما يوفر لنا هناءة العيش ودوام الصحة والعافية، والحاجة إلى الوالدية parenthood need، فالناس تحب أن يكون لأبنائهم كل ما يرغبون فيه، ويهتمون لذلك ما يخص أولادهم من طعام أو شراب أو لباس من السلع المعلن عنها، والحاجة إلى التملك possessive need تدفع الناس إلى أن يقتنوا، وتحفزهم للشراء، وبالناس طموح إلى الارتقاء، وأن يتدرجوا إجتماعياً وينتقلوا إلى شرائح أعلى بين مراتب مجتمعاتهم، والشراء والاقتناء دليل عندهم على أنهم قد حققوا أمانيهم ورغباتهم.

(أنظر أيضاً سيكولوجية المستهلك، وسيكولوجية الدعاية، وسيكولوجية التسويق).



مراجع:

- Adams, H.: Advertising and its Mental Laws.
- Scott, W.: Psychology of Advertising.
- Koponen, A.: Personality Characteristics of Purchasers.
- Twedt, D. W.: Consumer Psychology.



- ٣ -

سيكولوجية الدعاية والإعلام

الفرق بين الدعوة والدعاية. تاريخ إسم البروباجندا. شروط الدعاية وأنواع الدعاية. الفرق بين الدعاية والإعلام والتعليم...



الدعاية propaganda دعوة لرأي أو فكرة يقوم بها فرد أو جماعة في محاولة منظمة لتأثير في الرأي العام، أو تكوين رأي عام تجاه مسألة أو قضية، أو حتى سلعة من السلع، بقصد تغيير اتجاه أو أفكار أو أنماط السلوك عند بعض الأفراد أو الجماعات، باستخدام أي من وسائل الاتصال بالجماهير. و«نظرية الدعاية» جزء من «النظرية العامة للاتصالات the general communication theory»، وموضوع الدعاية هو «الرأي العام public opinion»، والقائمون على الرأي العام opinion manipulators يعمل الكثيرون منهم في الخفاء ويطلق عليهم «the hidden persuaders» لخطورة ما يقومون به، وقد نطلق على كل المشتغلين في وظائف تشكيل الرأي العام اسم «الإعلاميين»، ووظيفتهم «إعلامية»، أي إخبارية غالباً. وعلم الدعاية، و«الدعاية المضادة counterpropaganda» من مؤلفاته الأولى كتاب «البلاغة Rhetoric» أو «Poetics» لأرسطو منذ نحو ٢٥٥٠ سنة، وكتاب كوتيليا Kautilya «مبادئ السياسة Principles of Politics»، وكتاب صن تزو Sun Tzu: «فن الحرب The Art of War» منذ نحو ٢٠٠٠ سنة، وكتاب كونفوشيوس Confucius: «المنتخبات Analects»، وتلزم الدعاية في عمليات الإعلان عن السلع المختلفة، ولها أجهزتها المدنية والصناعية والاستخبارية، وبعض الدول تنشئ وزارات للدعاية، وللأحزاب السياسية مطالباتها الدعائية، وكل هؤلاء يلجأون إلى ما يسمى بالحملات الدعائية p. campaigns.

والداعية propagandist الذي يقوم بالدعاية يهمه بلوغ هذا الهدف السابق من دعايته، حتى ولو أخفى بعض

الحقائق، أو اختلق في بعض الوقائع، أو ضخّم بعضها، أو قلل من شأن بعضها الآخر. ويفرق البعض لذلك بين الدعاية والدعوة call، والأخيرة نوع من الإعلام والتعليم والتثقيف، ويقوم بها عادة الدين والوعظ والفكر، بقصد التأثير أيضاً في العقول والعواطف والاتجاهات والسلوك، لنشر مبادئ جديدة تعتمد على الحقيقة. ولعله من ثراء اللغة العربية لدينا أن تفرق بين النوعين، بأن تجعل لواحدة إسم الدعاية، بينما تجعل للأخرى إسم الدعوة، في حين أنّ الاسمين يتضمنهما إسم «البروباجندا» الإفرنجي، وهو إسم حديث نسبياً، وكان اشتقاقه من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية التي تعتمد على نشر المسيحية بالدعوة إليها، فأنشأت لذلك «مكتب الدعوة الديني Congregation de Propaganda Fide، سنة ١٦٢٢، ثم استُخدم إسم بروباجندا ليعني أيضاً الدعوة في السياسة والاقتصاد والمجال العسكري، وإن تميز ذلك في العربية باسم الدعاية. وقد لجأ «لينين» إلى إسم البروباجندا ليعني به «الدعوة» وليس «الدعاية» في كتابه السياسي «الإثارة والدعاية Agitation and Propaganda» سنة ١٩٢٩، حيث يقصد إلى أن يفرق بين الدعاية التي غاياتها غوغائية وتضليلية، والدعوة التي منهجها الصدق والواقع، ويسمي الأولى دعوة أو دعاية تهييجية أو مثيرة، غايتها الإثارة، بينما الأخرى دعوة صحيحة. وعلى العموم فإنّ الدعوة والدعاية محاولتان للتأثير في اتجاهات الجمهور وآرائه وسلوكه ليكون على النمط الذي يريده الداعية، وهو يستخدم الإيحاء ويلجأ إليه، أو إلى الدعاية غير المباشرة ليتحصل على هذه النتيجة.

ويذهب علماء النفس إلى بيان السيكولوجية التي تقوم عليها الدعاية: بأنها إما تخاطب في الإنسان أناه ego، أو تخاطب ذاته self، وأنها تترضاه بأن تكون منطقية ومعقولة، وكأن الداعية propagandist فيها يهمه مصلحة المدعو، وإما أنها تخاطب فيه الهو the id، فتلجأ إلى الألفاظ، وتستخدم الصور التي تشبع عنده حاجاته الغريزية، وإما تخاطب الأنا الأعلى superego، فتستخدم المأثورات الدينية والأخلاقية إستخداماً يميل بالجمهور إلى رأي أو فكرة الداعية.

والداعية المثقف sophisticated propagandist من باب أولي إنسان على قدر عال من الثقافة والوعي، متخصص في ميدانه، ودارس لعلم النفس، وللعلاقات العامة، وطرق الاتصال بالجماهير وبالشخصيات المرجعية والمؤثرة في المجتمع. وهو غالباً شخصية كاريزمية charismatic أي محبوبة، يعرف كيف يستميل الناس إليه ويقنعهم بفكرته أو رأيه، ويخاطبهم من الجهة التي يغلب أن يتأثروا من خلالها. ويستخدم في ذلك الإيحاء suggestion، والاستهواء suggestibility، والإقناع persuasion. والناس مهما اختلفوا إلاّ أنّ بهم دائماً هذا الميل إلى التعين بغيرهم وتقليدهم، والداعية يستغل ذلك، ويعرف سيكولوجية الجماعة، وسيكولوجية الوعي الجماعي أو العقل الجماعي، ويعرف أنّ الجماعة يمكن أن تتوحد حتى في لاشعورها unconscious، ويدرك تأثير «الشخصيات المرجعية reference personalities»، وكذلك «الأطر المرجعية reference frames» على السلوك والتفكير والعواطف والاتجاهات. ويتوجه الداعية في دعايته إلى الدوافع motives التي قد تجعل الناس يغيرون سلوكهم، ويجعل موضوعات دعايته حاجاتهم النفسية psychological needs، كأن يتصل ما يعرضه بالأمن الاجتماعي social security للجماعة والأفراد، أو بأمنهم الاقتصادي، أو بما يشبع فيهم حاجاتهم إلى الترقي، وأن تكون لهم مكانة إجتماعية مرموقة، أو أن يعيشوا في رفاهية، فإذا نجح في استثارة هذه الحاجات والدوافع فإنه يدعوهم إلى ما يدعوهم إليه مستخدماً التضخيم والتهويل، فيستهويهم بالصورة والصوت والموسيقى المصاحبة والشعارات، مؤكداً على ما يتصل بحياتهم ومستقبلهم وأولادهم، مترضياً لعواطفهم، ومستثيراً لمشاعرهم وحماسهم. وقد ينتهز مواقف معينة ليثبت دعايته، كالأزمات والضوائق، ويكون الناس فيها في قمة توتراتهم، ويستبد بهم القلق، وتعمى بصيرتهم، وعندئذ يكون استهواؤهم أيسر. وقد يلجأ إلى العمليات العقلية، كالتبرير

rationalization، ويستغل الصراعات الاجتماعية. والدعاية نفسها تقوم في جو من التنافس والصراع، ويعمل كل داعية على أن يؤكد دعوته وينقض الدعوات الأخرى المخالفة. والداعية يعتمد على دراسته لسيكولوجية الجماعة التي يوجه إليها دعايته، ويدرس استجاباتهم، ويعدل من دعايته باستمرار ومن عادات وسائل الاتصال بالجماهير media habits، لتتوافق نتائج دراساته الاجتماعية والجماعية، وتنسجم مع اتجاهات جمهوره وقيمه ومعاييره، ويهمه أن تستمر الجماعات المستقبلة لدعايته في تأييدها له، ومشايعته على رأيه أو فكرته، وأن يوسع دائرة دعايته باستمرار بين المحايدين والمعارضين. وهو يستغل الأوقات المناسبة للدعاية، ويختار بعناية وسيلتها medium، سواء كانت صحيفة أو إذاعة أو سينما، إلخ، وكلها لها شخصياتها وتطبع الداعية بطابعها، ولها مداخلها النفسية والفكرية عند الجمهور. والداعية يختار اللحظة السيكولوجية the psychological moment، أي التي يحدس أنها أنسب اللحظات لدعايته، ويستغل المواقف الغامضة التي تعوز الجماهير فيها الأخبار، وقد يستخدم التخويف intimidation كما في الدعاية العسكرية، فيقصد بدعايته إلى التجمعات العسكرية، ومواقع الجيش، أو يستخدم الإقناع كما في الدعاية السياسية political p.، فيستعين بالتحليل السياسي، أو يستخدم الأضاليل fallacies كما كانت جماعة السفسطائيين تفعل في اليونان القديمة، فقد كانوا قديماً يستخدمون الدعاية أيضاً في الحرب النفسية psychological warfare. وفي حديث للنبي صلى الله عليه وسلم قال: «نصرت بالرعب»، وبث الرعب في نفوس الأعداء من صميم الدعاية في الحرب النفسية. والأغاليط نتائج استدلال خاطئة أو فاسدة لا تسوغها الوقائع ولا تبررها المقدمات.

والدعاية قد تكون سافرة overt p. وصريحة الغرض، ويقال لها الدعاية البيضاء white p.، أو تكون مقنّعة masked p. ومستترة، ومن شأنها في كل الأحوال: التهويل والمبالغة والسخرية والتهكم،

وتلجأ إلى الكاريكاتور والصور الهزلية، والنكتة، والشعارات البراقة الخادعة التي لا تعني شيئاً عند التحليل أو تعني كل شيء، أو قد نلجأ إلى رموز صورية فتسمي الشيوعيين «الحمر»، وتطلق على الإيرانيين «العجم» أو «الفرس»، وتنادي الصينيين بـ«الصفر»، وهذه هي «الدعاية السوداء .black p» وهي شر أنواع الدعايات إطلاقاً، وحملاتها تسمي الحملات بالرموز «symbol campaigns» ولا بد للداعية أن يضع في اعتباره «الدعاية المضادة» التي يمكن أن تدفع إليها دعايته. وتقوم الدعاية المضادة على تحليل محتوى الدعاية وأساليب الداعية، وترد على أكاذيبه وتبين مفاسد المنزلقات التي يدعو الجماهير إليها، وتوضح أضاليله، وتنشر بين الناس الصحيح من الأخبار الذي يدحض أخباره.

ويهم كل داعية أن يسيطر على وسائل الدعاية الفعالة والمؤثرة، ولعل أكثرها أثراً الوسائل المسموعة كالإذاعة والكاسيت، والمرئية كالتليفزيون والفيديو والسينما والديسكات، والمقروءة كالصحيفة والمجلة والكتاب والرواية والقصيدة والإعلانات.

والدعاية والإعلام والتعليم قد يتشابهوا من حيث أنهم جميعاً يعتمدون على التأثير في السلوك والاتجاهات والقيم والمعايير، إلاّ أنّ الدعاية تعتمد على الكذب أحياناً، وعلى التهويل والمبالغة غالباً، بينما الإعلام يقوم على الأخبار والمعلومات الصحيحة، ويتوخى القصد في تقديمها، ويقوم على نظريتين: نظرية الإعلام information theory، ونظرية الاتصالات communications theory، والأولى أساسها توصيل المعلومات وانتقاؤها - الإعلام الانتقائي .selective i، وبناء المعلومات - الإعلام التركيبي structural .i، وهدف الإعلام تصحيح وثبات المعلومات واتفاقها. ونظرية الاتصالات جزء من نظرية الإعلام، والإعلام بمقتضاها جوانبه آلية وإنسانية ومؤسسية. وأما التعليم فإنّ ما يعطيه للفرد لا يضلله، ولا يعطل مداركه كالدعاية، وليس ما يعطيه أفكاراً جاهزة مثلها، وإنما هو يفتح الإدراك، ويوسع

الأفق، ويحض الفرد على أن تكون له شخصيته، وأن يفكر لنفسه، وهو حيازة معرفة جديدة باستمرار، وتمرس بالنقد، وتعديل دائم للسلوك نسبياً، لما تتطلبه المهام، وما نستخلصه من الخبرة. ويخدم التعليم صاحبه فعلاً، كما يخدم الإعلام المجتمع، بينما الدعاية لخدمة آخرين يفيدون منها إذا استطاعت أن تحدث تأثيراتها في الأفراد والجماعات، ولعله لهذا السبب، وللخطورة البالغة التي عليها الدعاية، فإنّ الحكومات يهمها دائماً أن تخضع وسائل الإعلام والنشر والدعاية والإعلان لسيطرتها، وحتى في أعتى الديموقراطيات فإنها تسن من التشريعات ما يمكنها من مراقبة هذه الوسائل، والحد من التأثيرات الدعائية التي تضر بالمجتمع وتقوض تماسك الجماعة، ولعله لهذا السبب أيضاً كان الشغل الشاغل لأية حكومة تأتي عقب انقلاب، أن تسيطر على أجهزة الدعاية لتضمن خلو الساحة الدعائية لنفسها.



مراجع:

- B. Whitton: Propaganda and the Cold War.
- D. Leaner: Propaganda in War and Crisis.
- Ellul, J.: Propaganda: The Formation of Men's Attitude.
- Doop, L.: Public Opinion and Propaganda.
- Lerner, D.: Propaganda in War and Crisis.
- Whitton, J. B. and Larson, A.: Propaganda Towards Disarmament in the War of Words.



- ٤ -
سيكولوجية الرأي العام

تعريف الرأي العام وعمليات قياسه. بنوك المعلومات. تكوين الرأي العام ونظرياته. الرأي العام والعقل الجماعي والإرادة العامة...



يهتم علم النفس الاجتماعي بالرأي العام public opinion لما له من تأثير على سلوك الأفراد من داخل الجماعة. ورغم أنّ الرأي العام إصطلاح إلاّ أنّ المعنى الذي ينصرف إليه غير محدد، ولذلك كان تعريفه مختلفاً بشأنه. وقيل إنّ استخدامه يرجعه إلى ظروف الثورة الفرنسية في عهد الملك لويس السادس عشر، وكان له وزير مالية يدعى جاك نيكر Jacques Necker، قال عبارته الشهيرة: «إنّ جمهور المستثمرين يحكم سلوكهم في سوق المال الرأي العام»، ومن ثم قال البعض في محاولة تعريفه: إنه جماع الآراء الشخصية للناس في موضع معين له أهمية عندهم، ومن شأن اجتماع الناس عليه أن يؤثر في سلوك الأفراد والجماعة، وفي السياسة التي تتخذها الحكومة حيال هذا الموضوع، ولعله لهذا السبب كانت أهمية دراسته بالنسبة لعالم النفس من حيث تأثيره على سلوك الأفراد، ولعالم الاجتماع من حيث تعبيره عن معتقدات أو أفكار أو اتجاهات الجماعات، ولعالم السياسة لأنه يوجه سياسة الحكومات. ولعله لهذا السبب أيضاً كانت الاختلافات في تعريف الرأي العام من حيث تخصص المشتغل بالتعريف، فقيل مثلاً في تعريفه: إنّ الرأي العام هو استجابات الناس لما يقدم إليهم من أسئلة أو استيضاحات حول مسائل عامة، وهو تعريف - كما نرى - يبين أنّ صاحبه من المشتغلين بعملية قياس الرأي العام measurement of p.o.، وهم فئة يهمهم أن يتحروا عن حقيقة ائتلاف الناس حول رأي واحد في قضية من القضايا، ومن هم هؤلاء الناس، وما هي جنسياتهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم الطبقية وثقافاتهم ومواطنهم، ولهذا السبب تختار العينة التي سيجرى عليها الاختبار بحيث تشمل كل الاعتبارات السابقة من كل الفئات والأماكن في إطار من الموضوعية والحياد التام - طريقة استطلاع العينة sample survey method - إما عشوائياً، أو باختيار العينة، بحيث تعين حصة لتمثل كل فئة أو طبقة أو مجموعة، وتعرف هذه الطريقة باعتبارها استخباراً أو استفتاءً للرأي باسم طريقة الاستفتاء الاستطلاعية للرأي العام public opinion

polling method. ويُذكر أنّ تطبيقها بدأ سنة ١٩٣٦، وأشرف عليه ثلاثة من مشاهير المشتغلين بقياس الرأي العام، ويذكرهم التاريخ دائماً، وهم جورج جالوب Gallup، صاحب معهد جالوب المشهور بقياساته على الرأي العام، وإلمو روبر Roper، وأرشيبالد كروسلي Crossley. ومنذ سنة ١٩٦٥ إنتشرت الطريقة في العالم كله حتى ما يكاد يوجد بلد متحضر يهم حكوماته أن تتعرض إلى الرأي العام فيه إلاّ وبه معهد أو مركز لقياسه، وما يجتمع في هذه المعاهد أو المراكز من معلومات يصب في بنوك للمعلومات data banks للاستعانة بها من أية جهة كانت. وأفادت الدراسات الكمية للرأي العام مجموعة من التعميمات حوله، منها مثلاً أنّ العديد من الناس لا يهمهم أن يعرفوا شيئاً عن الشخصيات والقضايا السياسية حتى ولو كانت من الشخصيات والقضايا التي تتصدى لها وسائل الإعلام بالتعريف والتنويه، وعلى العكس يهتم الرأي العام جداً باللاعبين الرياضيين، ونتائج المباريات العالمية، والقصص حول الممثلين والممثلات، وبمعنى آخر فإنّ المسائل العامة لا تهم في الواقع إلاّ عدداً محدداً من الناس، وهو أمر نبه المشتغلين بالرأي العام إلى التمييز بين عامة الناس general public، والجمهور الواعي attentive public، والجمهور الداري informed public، وجعل من الممكن إجراء استفتاء إستطلاعي على نطاق كل هؤلاء، فصار لدينا أيضاً إستفتاء للنخبة polling of elites، وصنَّف تبعاً لذلك الرأي العام إلى عدد من الآراء تختلف مواصفاتها، ومن ثم مسمياتها بحسب ما تمثله. فرأي الصفوة the o. of the elites يمثل ما تذهب إليه القيادات المفكرة the thinking leadership، ورأي المثقفين the o. of the cultured هو ما يكون لعامة المثقفين the general cultured، ورأي العامة أو سواد الشعب the o. of the general public هو جماع آراء الناس العاديين، والرأي الشخصي individual o. هو اعتقاد يذهب إليه صاحبه ويعلنه، والرأي الخاص private o. هو ما يتحصل له من أفكار حول موضوع ولكنه لا يجهر بها ويحتفظ بها لنفسه، ورأي الأغلبية the majority p.o. يقابله

رأي الأقلية minority p.o.، والرأي الثابت يكون في القضايا العامة التقليدية ويتسم لذلك بالديمومة، وعكسه الرأي المؤقت temporary o. الذي يكون للجماعة في قضية مؤقتة تظهر في وقت ما ثم تنتهي، والرأي العام اليومي daily p.o. في القضايا اليومية، والرأي العام الكلي the total p.o. جماع مختلف الآراء في قضايا ثقافية تقليدية، والرأي العام المنساق subdued p.o. هو الذي يتابع الآخرين على ما يذهبون إليه وخاصة ما تقضي به وسائل الإعلام، والرأي العام المضلل misguided p.o. هو الذي يحيد عن الجادة والنفع العام بتأثير الدعاية والشائعات، والرأي العام الصريح open p.o. هو الظاهر، وعكسه الرأي العام المستتر latent p.o. أو الكامن غير المعلن نتيجة الخوف، وقد يكون الرأي العام الكامن في دور التكوين ولم يفسر بعد.

ومن التعميمات التي أفدناها من قياس الرأي العام: أنّ الناس لا يهتمون إلاّ بالقضايا التي تمس حياتهم ومعيشتهم، وما يشغل بالهم من المسائل اليومية المثيرة لقلقهم، وأنهم ينصرفون عن الكتابات والإذاعات التي لا تتناولها، وأنه من الخطأ لذلك أن نحسب أنّ حملات التوعية يمكن أن تؤتى ثمارها بتكثيفها دون نظر إلى موضوعات هذه الحملات.

وثبت أيضاً أنّ نتائج الاستفتاء ترتبط بالوضع الاجتماعي للمستفتى، وأحواله الاقتصادية، ومستوى تعليمه، وانتماءاته الحضرية، والريفية، والسلالية، والدينية، واهتماماته الثقافية والسياسية، وما يمارسه من أنشطة، وعمره وجنسه. وهناك اهتمام بالمسائل العامة من قبل المستويات التعليمية العالية، والطبقات الاقتصادية والاجتماعية الأرقى، وأهل الحضر، والرجال، ومتوسطي العمر، عنه عند الناس من المستويات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية الأدنى، وأهل الريف، والنساء، وكبار السن. وتبين أيضاً أنّ تكوين الرأي يخضع للشخصية، فالشخصية التسلطية authoritative personality إنتماءاتها حزبية تسلطية، وآراؤها فيها المحافظة والجمود والتبعية، والشخصية العنصرية ethnic personality تشايع النعرات الوطنية وتميل

إلى القرارات العنيفة، والشخصية الاستهوائية suggestible personality منقادة وتؤثر فيها الشائعات، والشخصية المنبسطة extravert p. تساير القضايا العامة وتأخذ برأي الأغلبية وتنفتح على كل الآراء، والشخصية المنطوية introvert p. تعزف عن الاشتراك في القضايا العامة، وكثيراً ما لا يكون لصاحبها رأي في شيء.

ويميل الناس عموماً إلى التوافق مع واقع الحال، وملاءمة آرائهم مع مجريات الأمور، ويعزفون عن الهزات القوية في الرأي التي تحيد بهم فجأة عما كانوا يرونه دون مبرر، فإذا وجدت المبررات واندفاع تيار الرأي العام إلى ناحية معينة مال الناس إلى ذلك، وساروا مع التيار الغالب.

وقياس الرأي العام يستهدف دراسة اتجاهات الناس في المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويفيد في تخطيط مختلف البرامج لصالح الحكومات والشعوب والمنتخبين والمستهلكين والتعرف إلى أنسب طرق مخاطبة الجماهير وإقناعها أو إغرائها، واستكشاف المعايير والقيم الاجتماعية والأنماط السلوكية للناس وتنشيط التفاعل الاجتماعي.

وليس من اليسير تكوين رأي عام عالمي universal p. o. مع وجود هذا الاختلاف في المصالح القومية والعادات والأخلاق والمفاهيم، غير أنّ الرأي العام شديد الحساسية للأحداث المهمة، وهو لذلك كثير التحول.

والرأي العام يظل ساكناً إلى أن تظهر فجأة إحدى القضايا، ويدور حولها اللغط، وتأخذ بأطرافها جماعات تفجر من حولها صراعات، فيستثار قلق الناس، وعندئذ يتبلور الرأي العام بصددها تبلوراً من شأنه التقليل من حجم القضية، أو كما نقول تحجيمها، وخفض الصراعات فيها، والتهوين من القلق المترتب عليها، ومن ثم فإنّ بعض القضايا قد يتكون بصددها رأي عام لا يفصح عن نفسه بسبب الخوف، أو يكون هذا الرأي العام في دور التكوين ويتبلور مع إلحاح القضية وسفورها على نطاق واسع. وليس من السهل تضليل الناس في القضايا العامة إذا كانت المعلومات فيها

متاحة، وإذا كان الناس على مستوى من الدراية والوعي والتعلم بحيث يصعب انسياقهم وراء الشائعات. والرأي العام يضعف في المجتمعات المرفهة التي يتلهى فيها الناس بمستحدثات الحضارة عن شؤونهم العامة، وهو ضعيف كذلك في المجتمعات التي تحكمها أنظمة إستبدادية وأحزاب وحيدة، وحيثما يفتقد الرأي الآخر وتغيب المعارضة، وإذا استهدف الشعب من وسائل إعلام دخيلة أو مغرضة، وإذا انشغل أفراده بلقمة العيش عن التفكير في قضاياهم العامة.

وعندما تكون هناك قضية لها إلحاح على الجماهير فإنهم يبدأون أولاً في تحسس أبعادها، ويناقشونها جماعات، ويتناولها أهل الرأي في وسائل الإعلام، ويقدمون لها الحلول المقترحة، ويدور الصراع حول أصلحها وأنسبها، ثم تتبلور الآراء جميعاً حول ما يقارب بينها ويصالحها على بعضها البعض، وهو الرأي الذي يمكن حينئذ أن نسميه «رأياً عاماً»، يتوسط بين مختلف الآراء المتعارضة، ويأخذ منها جميعاً ما يتفق مع ما تقضي به الظروف، والتفكير السليم، والمعرفة العلمية، وما يمكن تطبيقه. ولا شك أنّ الرأي العام يتأثر كل التأثر بالأحوال الحضارية والثقافية والاقتصادية للمجتمع، والأخبار والمعلومات التي تروج بين أفراده وتساعد على رواجها تقاليده وعاداته الفكرية والسلوكية والدينية والعائلية. وهو يتأثر بقيادات المجتمع، وتوجيهات الصفوة فيه وأهل الرأي والمشورة، ولذلك فإنّ النظريات في تكوين الرأي العام إما نظريات تقول بأنّ للصفوة أكبر دخل في تشكيل الرأي العام elitist theories، وإما نظريات تقول بأنّ القيادات هي التي يمكن أن توجه الرأي العام، وإما نظريات تقول بأنّ للرأي العام مؤسسات اجتماعية تتولى توجيهه وتشكيله mass-manipulation theories، أو «نظريات» تقوم على دعوى أنّ الرأي العام تشكله مؤسساته الدستورية في الدول الديموقراطية constitutional-democratic theories، أو أنها نظريات تقول بأنّ الرأي العام يتكون عقلياً على أساس من الخطوط الفكرية المحددة التي تجعل لرأي الأقلية مكاناً ضمن الرأي العام،

وتشترط لقيام هذا الرأي العقلاني أن يكون المجتمع على مستوى حضاري وفكري معين، بإحساس جماعي، باعتباره وحدة سياسية منظمة. ويذهب أصحاب هذه النظريات الأخيرة إلى التأكيد على أنّ الرأي العام هو شكل من التنظيم يتجاوز به عن أن يكون مجرد جماع رأي في المجتمع. والرأي العام على هذا ليس هو الإرادة العامة volonté générale التي قال بها روسو Jean-Jacques Rousseau (١٧١٢-١٧٧٨)، وليس إرادة جماهير البروليتاريا the proletariat أو الطبقة الكادحة كما يقول لينين Lenin (١٨٧٠-١٩٢٤)، وإنما هو تنظيم لإرادات الأفراد وآرائهم واتجاهاتهم بحيث يصنع منها جميعاً قوة دافعة لها زخم وحيوية، ويصفه الشاعر الألماني Wieland (١٧٩٩) بأنه: «الرأي الجامع الذي يتسلل إلى كل الرؤوس ويتملكها دون أن تدري»، وهو ما حدا بالبعض إلى أن يعطى اسماً آخر للرأي العام كأن يقول «العقل الجماعي group mind»، وهو اصطلاح يجعل للرأي العام حضوراً نفسياً يفرض إرادته على الأفراد ويدفع سلوكهم. غير أنّ آخرين فسَّروا تعريف الرأي العام الأسبق تفسيراً مختلفاً فقالوا: إنّ الرأي العام ينظم كل الآراء في تفاعلاتها ويبلورها في اتجاه يخدم مصالح الجميع (Cooley, C.: Social Organization: A Study of the Larger Mind). ودراسة الرأي العام باعتباره تنظيماً للآراء هي دراسة للعلاقات الاجتماعية التي هي من أخص دراسات علم النفس الاجتماعي وهي تدرس طبيعة هذه العلاقات المكونة للرأي العام وكيفية قيامها واستمرارها وتماسكها ووحدتها وانحلالها. وتتوجه هذه الدراسة خصوصاً إلى البحث في العلاقة بين القيادات والأتباع، أو بين الشخصيات المؤثرة إجتماعياً socially influential personalities وجماهير الناس. وتخصص بعض العلماء في دراسة وسائل السياسيين ورجال الدولة في خلق إرادة عامة a general will بين الجماهير، وتبين أنه لا يوجد رأي عام واحد ولكن هناك تصانيف من الرأي العام بحسب ما أوردناه سابقاً، وأنّ كل جماعة لها قوامها الاقتصادي وكيانها الاجتماعي يمكن أن تكون لها قياداتها

التي تصوغ وتشكل الرأي العام عندها وتدفع توجهات أفرادها، وليس من الضروري أن يفهم القائد في كل الموضوعات، ولكن لكل فرع من المعرفة قيادته المؤثرة في قضايا هذا الفرع، ودراسة علاقات هذه القيادات بأفراد الجماعة هي كشف عن دينامية الجماعة group dynamics، وعن المؤثرات التي تسهم في تكوين الرأي العام بها، إلاّ أنّ وسائل هذه الدراسة ما تزال قاصرة بسبب الطبيعة المتغيرة لميادين الدراسة، ومع ذلك فما توفر منها من معلومات يستخدمه القائمون على أجهزة الإعلام والدعاية والنشر والإعلان خير استخدام حتى عدنا نسمع عن طرق لبلورة crystallization الرأي العام، بمعنى تشكيله، أو بمعنى تغيير اتجاهات الأفراد بحيث نصنع منها اتجاهاً عاماً له وزنه وتأثيره (Bernays, E.: Crystallizing Public Opinion). ويفيد الشعوب في البلاد الديموقراطية أن تأخذ بتعريف الرأي العام بأنه «شكل من التنظيم»، لأنّ الناس بذلك تستطيع أن تتشارك في الرأي وتنظم وجهات نظرها من خلال الندوات والمناقشات والمشاورات، فتصنع من ذلك إجماعاً على اتجاهات معينة هي ما نسميه «إتجاهات الرأي العام». والرأي العام في دور التكوين قبل أن تتضح خطوطه ويعلن عن نفسه بوضوح، يقال له «الرأي العام الكامن latent p.o.»، والحكومات تحسب له ألف حساب في سياستها وقبل أن تقدم على أية خطوة، ومن ثم كان هناك دور دائماً للرأي العام في السياسة. ورغم أنّ اصطلاح الرأي العام لم يستخدم هذا الاستخدام الواسع إلاّ ابتداء من القرن الثامن عشر، إلاّ أنّ المؤرخين يجدون في الكتابات الفلسفية القديمة وفي القرون الوسطى ما يشبه معناه ودلالته (Bauer, W.: Die offentliche Meinung in der Weltgeschichte)، وخاصة في كتابات أفلاطون Plato (٤٢٨-٣٤٨ ق.م.) وأرسطو Aristotle (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.) التي تدور حول العلاقات بين الجماهير والحكومات. ونصح ميكافيللي Machiavelli (١٤٦٩-١٥٢٧): أن يحفل الأمراء باتجاهات الرأي العام، وذهب روسو Rousseau إلى القول بأنّ: كل

القوانين ينبغي أن تقوم على أساس هذه الاتجاهات، وأن تكون حرية إبداء الرأي للعامة والخاصة على السواء مكفولة، لأنّ ذلك هو الضمان الوحيد ضد الاستبداد. وقال بنتام Bentham (١٧٤٨-١٨٣٢): إنّ أي مشروع لا يمكن أن يغفل الرأي العام من حسابه. وفي القرن الثامن عشر كان الرأي العام سلاح الطبقات المتوسطة ضد الإقطاع، وقال عنه مفكر مثل شتال Stahl (١٨٠٢-١٨٦١): إنّ الرأي العام إرادة الطبقة الوسطى، وإنه بمؤازرة من الصحافة ستكون للرأي العام الغلبة في كل شيء. وذكر القانوني بلانتشللي Bluntschli (١٨٠٨-١٨٨١) أنّ الرأي العام هو رأي الطبقة المتوسطة. وقال برايس Bryce (١٨٣٩-١٩٢٢) إنه يعتقد أنّ النظام الأمريكي يحكمه الرأي العام الذي تعبر عنه الصحافة والأحزاب السياسية وتظهره الانتخابات. ورأي توكفيل Tockueville (١٨٠٥-١٨٥٩) في الرأي العام أنه يؤثر على توجهات الناس ويهدد حرية الرأي. وهناك العشرات من الكتب والدراسات تظهر سنوياً وتنبه إلى تأثير الرأي العام في تشكيل السياسة الداخلية والخارجية من خلال الاستفتاءات الاستطلاعية وما يسمى جماعات الضغط pressure groups والأحزاب السياسية. وهناك أيضاً العشرات من الكتب والبحوث تدور حول تأثير الحكومات في تشكيل الرأي العام وتوجيهه بالنشر والدعاية والإعلان والرقابة على الأخبار والأفلام والكتب. وربما كان دور الحكومات الاستبدادية أكبر في توجيه الرأي العام من دور الحكومات الديموقراطية. وهناك دراسات في سلوك الناخبين والكيفية التي يتم بها التأثير عليهم من الجماعات التي لها مصلحة في ذلك، ومن الحكومة وأجهزتها الدعائية خصوصاً. وتسهم هذه الدراسات في الكشف عن ديناميات الأنظمة السياسية وخاصة النظام الديموقراطي الذي يقوم أساساً على الانتخاب. وتتجه بعض هذه الدراسات إلى البحث في وسائل الاتصال بالجماهير، وهي التي يكون بها التأثير على الرأي العام، والهدف من دراستها الإجابات عن هذا السؤال الذي يطرحه لاسويل Lasswell (١٩٣٦): من يقول، وما

الذي يقوله، ولمن يقوله، ومتى وأين يقوله، وبأي وسيلة يقوله، ولأي غرض who says what, to whom, how, when and where he says it, through what channel, and with what effect?، ومن ثم اتجه الباحثون في ذلك إلى تناول المتحدثين (من يقول)، والمستمعين (لمن يقول)، والوقت (متى يقول)، والمكان (أين يقول) ودور وسائل الإعلام (الوسيلة)، وما يقال من حيث الطريقة لا المحتوى (الكيفية)، وتأثيره على تكوين الرأي العام. وتبينت عدة حقائق من هذه البحوث، فمثلاً في مجال المشتغلين بالدعاية propagandists، تبين أنهم فئة تتميز بالشخصية المنبسطة شديدة الانبساط، والمتفتحة شديدة التفتح، والتي تميل إلى الاستحواز والسلطة، ولها القدرة البالغة على التنظيم والإدارة، وتحب الدخول في المنافسات. وتبين أيضاً أنّ وسائل الإعلام تهتم جداً بأن يكون لها دور في تكوين الرأي العام وإن كان دورها غير مباشر، ويتم لها ذلك بالتركيز على قضايا معينة أو تفاصيل بعينها دون غيرها. ومن المأثور عند الصحفيين أنّ الخبر المهم هو نفسه الذي تتداوله الصحف ويحظى بالنشر في الصفحة الأولى، ومن ثم فإنّ دور الصحافة كان دائماً تعزيز الأخبار، بمعنى أنّ ما سبق نشره وأثار الاهتمام هو دائماً ما يُعاد نشره والتأكيد عليه. وتساعد وسائل الإعلام على استحداث وحدة فكرية بين الناس، ومن ثم كان دورها في التفاعل الاجتماعي هو الدور الذي يعمل على تماسك الجماهير. وفي كل مجتمع وشعب هناك دائماً صحيفة أولى لها مستوى خاص prestige paper، يهمها أن تنشر للشخصيات المؤثرة في المجتمع، وأن تطلع أهل الرأي في البلد على ما يفكر فيه زملاؤهم، وتكون بمثابة ندوة تناقش من خلالها الآراء ويتم تبادلها. وفي استطلاع للرأي تبين أنّ ٦٠٪ من المشتغلين بالصحافة الأميركية لا يقرأون سوى جريدة النيويورك تايمز، بينما يكتفي بها ٤٦٪ من رجال الإدارة العليا في الحكومة و٣٠٪ من رؤساء الجامعات وعمداء الكليات و٢٨٪ من مديري البنوك، ولنا أن نتصور مقدار تأثير النشر في هذه الجريدة على صناعة

القرار في أمريكا وعلى اتجاهات الرأي العام بالتبعية. وهذه المكانة التي للنيويورك تايمز قد تكون لصحف مثل الأهرام، والبرافدا، والتايمز اللندنية.

وكانت هناك أيضاً دراسات على الجماهير المستمعة أو القارئة، أو المشاهدة، والجماهير دائماً تشدها الأخبار المتاحة، أو لا تهتم إلاّ بما يتعلق بأشخاصها، وعندما تعوزها الأخبار التي تنشدها فإنها تعزف عن وسائل الإعلام وتلجأ إلى أبسط وأقدم طريقة في تداول الأخبار وهي الطريقة الشفاهية بالفم oral means، والقاعدة أنّ الناس يحكمهم في الإقبال على مصادر الأخبار اعتيادهم على الحصول على الأخبار من مصادر معينة، بشرط أن تحفل هذه المصادر بما يهم الناس فعلاً.

والرأي العام كاتجاه يصعب تغييره لو كانت الاتجاهات المبني عليها إتجاهات متأصلة قوية الجذور، ويشق على أعتى المتخصصين في الدعاية أن يغيروا اتجاهات الرأي العام إذا كانت هذه الاتجاهات قائمة على الخبرة للجماعة في هذا المجال، ولصالحهم، ولا تصادم معتقداتهم الدينية، والمثال على ذلك فشل الدعاية ضد الإسلام التي تقوم بها الحكومات الحالية، والفشل الذريع لحملة ما يسمونه «تنظيم النسل»، لعلم الناس أنّ الحملة موعز بها من حلف الأطلنطي والولايات المتحدة لتقليل عدد المسلمين. والذي يمكن تغييره من اتجاهات الرأي العام هي الاتجاهات الطارئة، لأنّ الرأي العام المبني عليها وقتي، ومن اليسير لذلك تعديل الاتجاهات وتغيير الرأي العام. وهذا التعديل والتغيير في الرأي العام يختص به المشتغلون بالدعاية وبالحرب النفسية psychological warfare، ويحاول هؤلاء أن يكتشفوا القضايا المؤاتية لهم، والتي في غير صالح خصومهم، والتي تكون حولها إتجاهات كامنة، أي في دور التكوين، فيركزون عليها ويعززونها وينشطونها بالنشر في وسائل الإعلام، وتسريب الأخبار حولها والإشاعات المدعمة لها. ويستهدف المتخصص specialist في الحرب النفسية أفراد الشعب الذين لا رأي لهم ولم يكوّنوا رأياً بعد، ويوجه دعايته أساساً للإنسان «بين بين»

marginal man، الذي يقترب من وجهة نظره ولكنه ليس في صفه بعد، ويحاول أن يقربه إليه أكثر ويعزز تباعده عن أفراد مجتمعه والخروج عليهم. وللمختصين في الإعلان والدعاية التجارية طريقتهم المتميزة التي تعتمد على الاختيار بين وسائل الإعلام لانتقاء الأصلح لنوع الدعاية التي ينشدونها، والمفاضلة باستمرار بين نتائج هذا الاختيار. ولعل وسائل الإعلام هي خير ما يمكن أن تتوسل به الحكومات في الدول النامية لتشكيل رأي عام، وتكوين اتجاهات لدى الجماهير تدفع عمليات التنمية الاجتماعية، وتغير أنماط حياة الناس، وتؤهلهم نفسياً لهذه التغييرات، وتقوي من تماسكهم حيال القضايا العامة.



مراجع:

- Lenin: Agitation and Propaganda.
- Albig, W: Modern Public Opinion.
- Childs, H.: Public Opinion: Nature, Formation and Role.
- Free, L. A.: The Role of Public Opinion in International Relations.
- Klapper, J. T.: The Effects of Mass Communication.
- Smith, Bruce, Laswell, Harold and Casey, R.: Propaganda, Communication and Public Opinion.



- ٥ -
سيكولوجية التسويق

التسويق وآلياته النفسية، والحاجات الدافعة إليه، ومباحث الدافعية والسوق...



يختص التسويق marketing بتصريف المنتجات بمختلف أصنافها وأنواعها، والدراسة في ذلك يُطلق عليها إسم تحليل السوق market analysis، ومبحث التسويق marketing research، ومبحث المستهلك

consumer research لأنها دراسة تتعلق بهذا كله، ولذلك تتصل سيكولوجية التسويق بسيكولوجية المستهلك، وسيكولوجية الإعلان، وسيكولوجية السلعة نفسها لارتباطها بعمليات السوق. وتسيطر على التسويق قوانين إقتصادية لعل أهمّها هو قانون العرض والطلب supply and demand law، ولكن الذي يعرض إنسان له سلوكياته ودوافعه المادية والنفسية وحاجاته، وكذلك الطالب للسلعة، واتخاذ القرار إذن في البيع والشراء أمر يتصل بالدوافع النفسية والميول، وتحقيق القرار وتنفيذه إجراء سلوكي من مجالات علم النفس.

ولم يكن إتصال علم النفس باقتصاديات التسويق إلاّ بعد أن أصبح الإنتاج بالكثرة التي أغرق بها السوق بالسلع المتنافسة من حيث الأسعار والمميزات التي لكل منها، فصار ينبغي دراسة سلوك المستهلك والتعرف إلى حاجاته، وشخصية السلعة، وسماتها التي يمكن أن تؤثر في الجمهور فيكون الإقبال على شرائها. وللحاجات النفسية دورها الكبير من حيث هي دوافع للشراء.

والمشتغل بالتسويق، بالإضافة إلى وعيه بقانون السوق، إلاّ أنه يتوجب عليه الإلمام بالدراسات النفسية السلوكية، وهو يعرف أنه سواء كان منتجاً، أو بائعاً، أو معلناً عن السلعة، فإنه يجب أن يضع في أي من حساباته سيكولوجية الجمهور، وما يريده الناس، والطريقة التي يمكن بها إقناعهم بشراء سلعة معينة، والعوامل التي تتحكم في تفضيل سلعة من النوع نفسه، والطبقات الاجتماعية والحاجات الدافعة عند كل منها، والخدمات التي تحتاجها، ومراتب الناس الاقتصادية، والفروق النفسية التي يمكن أن تصنع الشخصية وتوجهها.

والحاجات النفسية للجمهور من المبادئ الأساسية التي يجب مراعاتها، كالحاجة إلى الراحة، والحاجة إلى الترف، والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الصحة. وتجد السلعة التي تشبع هذه الحاجات رواجاً كبيراً عن غيرها. ولا شك أنّ «الحاجة الجنسية، والحاجة إلى الطعام» من أكثر الحاجات إلحاحاً لدى الناس، وتتطلب الإشباع باستمرار. و«الحاجة إلى الظهور» دافع قوي للإقبال

على السلع الاستهلاكية الترفية. ويراعي الإعلان عن السلعة وإنتاجها وتغليفها وعرضها، كل هذه الحاجات.

وللسوق مباحث تهتم بدراسة الدوافع، منها مبحث الدوافع motivation research، وهو مبحث خاص بالدوافع الباطنة والظاهرة، أو الشعورية واللاشعورية، التي تتحكم في العرض والطلب والبيع والشراء. وتتميز السوق الاستهلاكية بوفرة المنتج المعروض من السلعة نفسها، حتى أنّ المفاضلة بينها صار لا بد فيه من خبراء في التسويق لهم القدرة على التوجيه إلى خصائص كل منتج، والتنبيه إليها بالإعلان، وتوجيه الإنتاج إلى ما يريد المستهلك وما تحتاجه السوق الاستهلاكية فعلاً. وهؤلاء الخبراء أنفسهم الذين يختصون بإيجاد الحاجة إلى الشراء وعمل الدعاية التي من شأنها أن يتجه الإنفاق العام إلى سلع دون سلع.

ويختص مبحث السوق market research بدراسة حاجات المستهلكين، والمنافسة بين المنتجات، والطرق النفسية للتأثير على المبيعات. ولا شك أنّ الإيحاء والإقناع والإغراء من أساسيات هذه الطرق، وأنه بعد طرح السلعة للعرض الذي يراعي هذه الأساسيات فلا بد أن تكون للسلعة فعلاً من المزايا ما يجعلها مقنعة في ذاتها للمستهلك. ويضع المنتج (بكسر التاء) في حسابه جمهور المستهلكين لسلعته، ويقوم برصد آرائهم والتعرف على أفكارهم، ويتبع في ذلك طرق قياس الرأي العام. والدعاية للسلعة والإعلان عنها من بحوث سيكولوجية الإعلان. ولعل مجال الإعلان من أهم عناصر التسويق، بالاضافة إلى دراسات الإنتاج، ومباحث السوق ومباحث الدوافع للاستهلاك. والإعلان advertising فيه توجيه وإرشاد، ويعتمد على الإقناع والتأثير من أجل الحث على شراء السلعة وترويج وجهة نظر المنتج وتفسيرها. ويقوم التسويق marketing على الجهد الجماعي لفريق من المتخصصين في كل المجالات المتصلة بالتسويق، من إنتاج، وعرض، وبيع، وإعلان. والمشتغلون بالتسويق يعملون معاً في إطار ستراتيجية إبتكارية تحدد

الأهداف، وتقترح الأفكار، وترسم الخط التسويقي الأساسي، والحملات الإعلانية، والأشكال المختلفة التي ستكون عليها السلعة، وتغليفها، واسمها، وعلامتها التجارية، والإعلانات التي تضم ذلك كله وتعين على تسويقها. والمنتج (بكسر التاء) يهمه التصريف للسلعة قبل أن تتكدس، وهو نفسه الذي يطلب من عالم النفس أن يحدد له مزاج الجمهور، ومتطلباته في السلعة، وما يمكن أن تكون عليه، والشكل الذي به تؤثر على حركة الشراء والبيع، والاسم التجاري والعلامة التجارية. والمنتج (بكسر التاء) هو المعلن عن السلعة.

ومن أهم وسائل التسويق للسلعة أن تكون مشبعة، أو واعدة بإشباع حاجة من الحاجات الأساسية basic needs أو النفسية، وأن يراعى في إنتاجها ميول الجمهور، وأن يكون لها الشكل والألوان والحجم الجذاب، وأن تكون على درجة من الجودة في التصميم والإنتاج حتى لتفرض نفسها وتزيح غيرها من المنافسة، بالقبول الذي يكون لها عند الجمهور، وأن يكون للإعلان عنها مصداقية تزيد من ثقة الجمهور في السلعة. وهذه الثقة مطلب نفسي يلح على كل جانب من جوانب التسويق، حتى إنه ليمكن أن يشكل الهدف الأول للمشتغل به. ومن الأسس الهامة في التسويق أنّ تثبت السلعة في ذاكرة الجمهور، بحيث تستدعي صورتها الحاجة التي تشبعها الصورة وتدفع إلى أن يطلبها. وتثبيت «صورة السلعة»، يتوجب معه أن يكون إنتاجها له صفة «الاستمرار»، وأن يتكرر الإعلان عنها فترتبط الحاجة إليها بالاسم التجاري للسلعة وشعاراتها. ويستخدم المنتج (بكسر التاء) عنصر الانفعالات ليخلق جواً نفسياً psychological atmosphere خاصاً حول السلعة، يستشعر فيه المستهلك أنه أفضل حالاً باقتنائها. وهذا الجو النفسي هو الذي يدفع إلى أن يعتمد الأفراد على السلعة كلما أعوزهم هذا الجو النفسي. وهذا الإقناع بجودة السلعة هو الذي يساعد على الإيحاء باقتنائها.



مراجع:

- Schwartz, G.: Science in Marketing.
- Crane E.: Marketing Communications.
- Katona, G.: Psychological Analysis of Economic Behavior.
- Stigler, G.: The Theory of Price.
- Haire, Mason: Projective Techniques in Marketing Research.



- ٦ -
سيكولوجية المستهلك

بحوث المستهلكين وبحوث السوق والإعلان. طرق جذب المستهلك، وشروط الإعلان الجيد، سيكولوجية الشراء والبيع. شخصية السلعة وتأثيرها على المستهلك...



هذا ميدان جديد نسبياً من ميادين علم النفس يخدم النواحي التطبيقية في التجارة والاقتصاد، ويجد الإقبال عليه وأوجه الإنفاق التي يتطلبها من مختلف الجهات المعنية.

وتتوجه الدراسات النفسية إلى الدوافع motives التي تحفز المشتري والبائع إلى الشراء أو البيع، وديناميات المواقف المختلفة بينهما، وسيكولوجية كل منهما، وطرق التأثير والإقناع التي يمارسانها، وطرق الإعلان الفعالة عن السلعة، والتأثيرات النفسية للتغليف وللعرض، وديناميات السوق، وما يمكن أن تستحدثه الأزمات والإشاعات في نفسية البائع والمشتري، وعناصر العرض والطلب، وما يشد منهما في السلعة من عوامل نفسية مما يرفع الطلب أو يخفضه. وهي دراسات حديثة يؤرخ لها ببداية القرن العشرين، وتغطي مجالاً كبيراً من مجالات علم النفس، وتستخدم الكثير من طرقه وقياساته النفسية، وتطبق كشوفه في التعلم وتكوين العادات، وتربطها بسلوك المستهلكين، وتستخدم سيكولوجية الدوافع، والتقنيات الإحصائية المطبقة في مجال الدراسات على الدوافع، وخبرات عالم النفس

المعملية والميدانية، واستخداماته للقاءات والاستطلاعات، ومناهجه السلوكية. وتتصل سيكولوجية المستهلكين بفرع آخر من البحوث يطلق عليه إسم مبحث المستهلك consumer research أو مبحث السوق market research، وهو مجال جديد أيضاً من المجالات التطبيقية لعلم النفس، ويختص لردود الفعل النفسية للإعلانات عند المستهلك، واستجاباته حول تغليف السلعة، والحاجات التي تشبعها عنده، وقيمة إسمها التجاري. ويدرس من ذلك خصائص شخصية المستهلك، وارتباط السلعة لهذه الخصائص، ودوافعه النفسية خلف سلوك الشراء، والاختبارات النفسية التي يمكن أن تصلح لمثل هذه الدراسة وتصميمها. ومن الطبيعي أن تفرد للإعلان بحوث، «ومبحث» الإعلان advertising research من الأبواب الجديدة في التطبيقات النفسية، وكانوا قديماً يضعون قائمة من الحاجات الأساسية للمعلن، كالحاجة إلى الطعام، أو الجنس، أو الحاجة إلى الاعتراف والتقدير، أو الحاجة إلى بلوغ المكانة الاجتماعية المحترمة، ثم يطلبون منه أن يختار أن يكون إعلانه في إطارها، بحيث يشبع في المعلن هذه الحاجة ويدفعه إلى شراء السلعة التي توفر هذا الإشباع، إلاّ أنهم حالياً يكتفون بعمل الاستطلاعات للإحاطة بكل العوامل الجاذبة للسلعة، ثم يصمم الإعلان في حدودها، فإذا تبين مثلاً أنّ جمهور المستهلك يشده إلى سلعة، كأن تكون مكنسة كهربائية، أنها سريعة وسهلة التناول والاستعمال، فإنّ الإعلان يتضمن ذلك ويؤكد هذه الناحية. والمعول عليه أنّ الإعلانات التجارية تراعي دائماً النواحي الإيجابية في السلعة، وأحياناً قد تلجأ إلى أن يكون الإعلان بحيث يحيط المستهلكين بما يمكن أن يكون حالهم عليه لو أنهم لم يستعملوا هذه السلعة. وهذه الناحية السلبية في الإعلان لها محاذيرها، وقد يترتب عليها أن يكون ما يعرضه الإعلان نواح تتنافى مع الجماليات التي ينبغي أن يتحلى بها الإعلان التجاري دائماً، والأولى دائماً في حالة بيان هذه النواحي السلبية أو القبيحة أن تصاحبها نواح إيجابية تعالج هذه النواحي السلبية وتقول

للمستهلك إنّ هذه السلعة قد تلافت أوجه النقص أو القصور هذه بالمواصفات التالية.

ويلجأ المعلنون إلى وسائل أخرى تؤكد مضمون الإعلان، بخلق جو خاص في الإعلان، بالصورة والألوان والخلفية واللغة والموسيقى المصاحبة. وتبين لعلماء النفس أنّ «الألوان» مثلاً لا تصلح جميعاً لأي جو نفسي، فلقد سئل بعض الناس حول ما يثيرهم في ثمانية ألوان، فذكروا أنّ اللون «الأحمر» مهيج، بينما اللون «الأخضر» مهدئ، وهكذا في كل الألوان، ومن ثم لم يعد المثل الجاري على ألسنة المعلنين أنّ كل شيء جائز طالما أنّ الإعلان لونه أحمر، ولكنهم أخذوا ببحوث علماء النفس، فإذا أرادوا مثلاً الإعلان عن السجائر بالنعناع، فإنهم يجعلون خلفية الإعلان مزارع خضراء، فيؤكدون بذلك على فكرة الطعم المنعش البارد للنعناع.

و«قراءة الإعلان» مهمة، وذلك أنه قد تبين بالبحث أنّ القارئ يكون أسرع في أن يخطف الإعلان بصره إذا كانت كلمات الإعلان باللون الأسود أو الأخضر، أو الأزرق على خلفية بيضاء، ويقبل اللون الأسود كذلك أن يكون على خلفية صفراء. وتبين أيضاً أنّ الخلفية المألوفة غير المستغربة خير من الخلفية غير العادية، وأنه إذا ارتبط الإعلان بوجه معين أو شخصية تظهر فيه فالأولى الاحتفاظ بهذا الوجه أو الشخصية دائماً، ومن ثم كان تدقيق شركات الإعلان في نمط الشخصية المصاحبة للإعلان، فإذا كانت السلعة من النوع الذي يكمل أناقة المستهلك، إختارت الشركة شخصية تتميز بهذه الأناقة.

ومن الأهمية بمكان إختيار «لغة الإعلان» لوقعها النفسي على السامع أو القارئ. وينبغي أن تناسب اللغة الخدمة التي تقدمها السلعة. وليس من المستحب إغراق المستهلك بلغة تقنية، فكيفية أنّ السلعة هذه لسد الحاجات تلك. ويجب أن تكون العبارات التي للإعلان ذات جرْس وإيقاع، وأن تكون موجزة أشبه بالحكمة، وأن يختار «إسم السلعة» ليتوافق في نطقه مع نوع الخدمة، وليسهل نطقه وتذكره، فمثلاً لو كان الإعلان عن عطر فإنّ الأنسب أن يسمى «أريج»، وإذا كان عن

صابون فلا بأس باسم «عجيب». واختيار الاسم يتمثل فيه ذوق الشركة المنتجة، وتتفنن بعض الشركات في شد المستهلك إليها، فمثلاً شركة تبيع ألبان الأطفال ترسم على العلبة صورة أم تُرضع طفلها، وتحت الصورة تكتب: «إليك أيتها الأم الرؤوم، وبالصحة والعافية لطفلك». وبعض الشركات قد تستخدم كاسم لها، الخدمة نفسها التي تقدمها، مثل شركة الثلاجات فريجيدير، فاسم فريجيدير يعني ثلاجة. وكثيراً ما تلجأ هذه الشركات إلى علماء النفس ليحددوا لها «شخصية» السلعة، أي الصورة التي عليها عند المستهلكين، وانطباعاتهم النفسية التي تشكل الفكرة عن السلعة التي تجعلهم يقبلون عليها أو ينفرون منها. ومن الوسائل التي يستخدمها علماء النفس لقياس هذه الصورة الشخصية للسلعة، قائمة بأوصاف يختار المستهلك منها أنسبها للسلعة، أو أليقهم بالشركة المنتجة لها. فمثلاً وُصفت السيارة المرسيدس بأنها «الوقور»، وقيل عن شركة بليموث إنها شركة تتميز بالجمال والذوق.

ويراعي علماء النفس في الإعلان لكي يشدوا المستهلك أن يكون مفهوماً ومثيراً للانتباه ومؤثراً على الجمهور، وأجروا لذلك دراسات نفسية على تأثير الاختلافات في «حجم الإعلان والمساحة» التي يمكن أن يشغلها من الصحيفة مثلاً، «وتكرار عرضه» وتأثير ذلك على الذاكرة، وتبين أنّ تكبير الإعلان يضاعف من جمهور قرائه له أو مشاهديه، ومن ثم يضاعف من شراء السلعة، وتضيف المساحة الزائدة من إمكانية زيادة العبارات الحافزة على اقتناء السلعة، وأحياناً يكون نشر الإعلان على صفحة كاملة - بدون إضافات المساحات الإضافية بيضاء - فعالاً جداً. وأحياناً يفيد الإعلان أن ينشر على أكثر من صفحة في الجريدة نفسها، وذلك أدعى أن يتذكره القارئ عن الإعلان على صفحة واحدة، وتزيد فرصة الإعلان المنشور على الصفحة الأولى عن الإعلان المنشور بالداخل بمقدار يتراوح من ٣٤٪ إلى ٦٤٪، وأما الإعلانات المنشورة داخلياً فلا تفاضل بين صفحة وصفحة، إلاّ أنه من المستحسن أن ينشر مثلاً عن

الكتب الجديدة في باب الأدب. وتبين أنّ الإعلان على نصف صفحة خير من الإعلان على صفحة واحدة، وأنّ الإعلان بالأبيض والأسود يستوي في التأثير مع الإعلان بلونين مع فارق التكلفة، وأما الإعلان بأربعة ألوان فإنه يزيد القراء له بنسبة تصل إلى ٥٤٪. وكذلك فإنّ القارئ يُقبل أكثر على الإعلان الذي يحتوي على صورة لأناس يستخدمون السلعة، عن الإعلان الذي به صورة السلعة فقط. وهناك طريقتان لمعرفة تأثير الإعلان على المستهلك، الأولى أن نستوضح إنعكاسه على الجمهور وانتباهه واهتمامه، والثانية أن نتبين ما إذا كان الإقبال على شراء السلعة يزيد فعلاً بالإعلان عنها. وقد تختار لذلك هيئة محكمين من المستهلكين، ويسألون بالهاتف أو شخصياً عن أفضل الإعلانات عن هذه السلعة أو تلك consumer jury technique أو يكون هناك استطلاع قراءة readership survey، فيُطلب من القارئ أن يختار من بين أسماء الشركات الآتية أياً منها قرأ عنها إعلاناً في الصحف أو المجلات، وما هو هذا الإعلان، أو أن يعرض الإعلان على القارئ بدون أن تصاحبه عبارات، ويطلب منه أن يتذكر إسم السلعة والشركة وعبارات الإعلان. وقد يختبر الإعلان قبل نشره بطريقة عرضه عرضاً خاصاً (controlled exposure technique) على هيئة متخصصة، أو عن طريق نشرة توزع ويطلب من القراء إبداء ملاحظاتهم عليه، واستجاباتهم النفسية له. غير أنّ أهم الاختبارات لتأثيرات الإعلان على الجمهور هي بلا شك إختبارات إقباله على شراء السلعة، ولقد تبين أنّ الإعلان عموماً يزيد الشراء بمقدار ١٢٪.

وتتخصص بعض الدراسات في مسح الاتجاهات النفسية للمستهلكين من ناحية سلعة معينة. ويستفاد باستطلاعات المستهلكين consumer surveys في إنتاج سلع جديدة تفي بحاجاتهم وترضي اتجاهاتهم، سواء من جهة السلعة نفسها، أو تغليفها، أو اختيار إسمها التجاري، أو العلامة التجارية. وبعض الاستطلاعات نعرف منها إستخدامات الجمهور للسلعة والفوائد التي يجنيها منها ولم تكن معروفة للمنتجين. وإجراءات

الاستطلاعات هي إجراءات استطلاعات الرأي العام نفسه. ومن المهم إختيار الطريقة المناسبة للاستطلاع، هل هي عشوائية، أو طبقية، أو معينة مساحياً، وتحديد حجم العينة، وتصميم الأسئلة لتناسب الغرض منها، سواء كان ذلك عن طريق الهاتف، أو البريد، أو الزيارات في البيوت، وتدريب القائمين بهذه الزيارات. وقد تكون لهذه الطريقة الأخيرة محاذيرها، لأنّ الناس في البيوت قد يجاملون المستطلع إذا كان من معارفهم، وقد يتأثرون باتجاهاته النفسية وتعليقاته، وطريقة نطقه للسؤال، وتعبيرات وجهه أثناء ذلك. وتبين أنّ بعض الناس بهم عزوف عن الإجابة الكاملة، ويؤثرون الإجابة بنعم أو لا دون استطراد، والبعض قد يوافق على طول الخط، أو يعاند ويرفض على طول الخط.

وللشكل الذي عليه الاستطلاع تأثيره أيضاً على الجمهور، ففي استطلاع عن بعض أدوات الطهي كانت الاستجابات بالإيجاب إذا كانت الأسئلة مصحوبة بصور للسلعة، بينما كانت الاستجابات سلبية إذا كانت الأسئلة مقصورة على الكتابة. وكذلك فإنه في استطلاع لأفضل البرامج في التليفزيون، كانت الإجابات كاملة إذا ساعد المستطلع الجمهور بأن يذكر ضمن ورقة الاستطلاع أسماء كل البرامج التي يقدمها التليفزيون، بينما كانت الإجابات ناقصة ومبتورة عندما ترك الناس يتذكرون لأنفسهم أسماء البرامج.

وهناك طرق عديدة لتحري آراء المستهلكين، منها إنشاء «جماعات المستهلكين» للرجوع إليهم فرادى عن طريق الهاتف أو بالمقابلة الشخصية. وهناك طريقة تعديد الأسباب بسؤالهم عن أسباب إقبالهم على السلعة. وقد يسألون عن بعض ملابسات شرائهم للسلعة مما يشكل طرفة أو ملحة، وقد يجرى لهم لقاءات استعماق لدوافع استخدامهم للسلعة، واختبارات تداعي وتكملة الجمل، كما يمكن أن يرصد سلوك المستهلكين أثناء تقليبهم السلعة ومشاهدتهم لها، واهتمامهم بجزئية منها أو سؤالهم عن شيء بخصوصها بواسطة كاميرا خفية.

وهناك بحوث نفسية حول خصائص

شخصية مستهلك السلع المختلفة، فبالإضافة إلى المعارف التقليدية التي يمكن أن نحيط بها عن عمره، وجنسه، ومستواه التعليمي، ووظيفته، ومستواه الاقتصادي، هناك سمات للشخصية يمكن استشفافها من سلوك المدخن مثلاً بسؤاله أسئلة غير مباشرة، وقد تبين أنّ المدخنين عموماً يتميزون بشخصية عدوانية، وأنّ بهم حاجات ضاغطة للظهور، وللتحصيل، وتحقيق النجاح، وبلوغ المكانة الاجتماعية، والاعتراف بهم في الهيئة الاجتماعية، بينما تبين أنّ العازفين عن التدخين يتميزون بالهدوء، والموافقة على ما يُقال لهم أو يطلب منهم، وتوخي النظام. وفي اختبار على طلبة الجامعة لمعرفة إرتباط الشخصية بالاتجاهات الاستهلاكية تبين أنّ الطلبة الذين يتناولون عقاقير مهدئة أو مسكنة يشكون من الاضطرابات الانفعالية وبهم عصبية ظاهرة، وأنّ من يبالغون في تتبع «الموضة» من أصحاب الشخصية المنبسطة، وأميل إلى المعاشرة، وبهم حاجة ظاهرة إلى أن يحبوا ويكونوا محبوبين، وأن يكون لحضورهم وشكلهم تأثيرات على المحيطين بهم.

وأما مبحث الدوافع motivation research فهو من المباحث المتصلة بعلم المستهلكين، ويختلف عن كل المباحث السابقة التي تدخل في مجال هذا العلم. وهو ينصرف إلى دراسة الدوافع التي تدفع إلى الشراء، في حين أنّ «مبحث الإعلان» مثلاً يقتصر على دراسة أعمار المستهلكين ومستواهم ودخولهم وكمية ما يشترون، ولذلك فإنّ مبحث الإعلان مبحث كمي، في حين أنّ «مبحث الدوافع» مبحث كيفي. ويلتقي الباحث بالمستهلك ليعرف منه بواعث سلوكه الشرائي الذي يتجاوز الحاجة للسلعة إلى أسباب باطنة ربما تجعله يميل إلى القهوة مثلاً دون الشاي، وربما كان ذلك لحاجات نفسية أبعد من الحاجات المادية، فالقهوة قد تكون منبهة أو منشطة، ولكن هذا المستهلك لا يحتسيها لهذا السبب الظاهر، وإنما ربما لأنّ شرب القهوة يكون مع آخرين فيتيسر فتح الكلام معهم والتحدث في شتى الموضوعات، وربما يكون هذا المستهلك من النوع الذي يتأثر

بالجلسة، أو يميل إلى الاعترافات، أو يحب السيطرة على الناس، أو يميل إلى أن يصدر في سلوكه عن حاجة ملحة لأن يكون محبوباً، وربما تكون به حاجة للاستطلاع، ولعله لهذا السبب أيضاً تروج قراءة الفنجان والإقبال على احتساء القهوة بالنظر إلى كل هذه الاعتبارات النفسية السابقة. وقد يلجأ الباحث إلى الاستخبار questionnaire، بأن يسأل المستهلك أسئلة غير مباشرة حول السلعة يستشف منها شخصيته، فمثلاً يميل الناس الذين بهم حاجة إلى السيطرة والذين بهم دوافع جنسية قوية إلى شراء السيارات التي تتميز بالسرعة الكبيرة، لأنّ قيادتهم لهذا النوع ترضي نزعتهم المسيطرة، فيجدون السعادة كل السعادة وهم يقودون هذه السيارات ويكادون يطيرون بها. وكذلك فإنّ السيارة رمز للمرأة والسيطرة عليها رمز للسيطرة على الدوافع الجنسية، ومرور السيارة بسرعة رمز للعملية الجنسية. غير أنّ القائم بالاستخبار قد يغلو في تحليل المستهلك ويشطح به الخيال فيربط بين إقباله على سلعة معينة وخصائص نفسية يخترعها اختراعاً له. وبعض المستهلكين لهم دراية بالتحليل، وعندما يتبينون نوع الأسئلة فإنهم يميلون إلى تفسير سلوكهم تفسيراً تحليلياً بحيث قد يقدمون دوافع له غريبة حقاً. وتذكر مراجع «سيكولوجية المستهلك» طرائف عن ذلك، فمثلاً ذهب أحد المستهلكين تفسيراً لإقباله على شراء علب الشوربة، أنه ربما يحن إلى العودة إلى رحم أمه، وربما ذلك منه ميول نكوصية، وطبعاً فإنّ الشبه بين الرحم والشوربة هو أنّ الرحم كما هو معروف به السوائل الرحمية التي يكون فيها الجنين في أمان وراحة.

ويذهب بعض العلماء إلى إطلاق إسم «سيكولوجية التسويق marketing psychology» على كل ما سبق، كما يسمون مبحث الإعلان «سيكولوجية الإعلان advertising psychology» وما تزال البحوث تتوالى حتى ليمكن أن نقول أنّ الاتجاه إلى إقامة «علم نفس للتسويق marketing psychology» هو اتجاه يفرض نفسه، بالنظر إلى ضخامة البحوث في هذا الميدان وخاصة في مجال الإعلان، وباعتبار أنّ عالم اليوم والغد هو مجتمع

الوفرة affluent society، حيث الإنتاج بالجملة، والشركات يزداد تنافسها محلياً وعلى النطق الدولي. ولم تكن هناك حاجة قديماً إلى الإعلان عن السلع، فإنتاجها كان محدوداً جداً، وعلى نطاق ضيق، وكانت المجتمعات آنذاك مجتمعات ندرة rarity societies، والطلب على السلع محدوداً بالنظر إلى تهافت الدخول، فلما بدأ التنافس الإنتاجي بدأ معه التنافس على جذب المستهلك، وكان المعيار القديم للطلب هو «الحاجة إلى السلعة»، وأما المعيار الحديث للطلب فلقد صار «جاذبية السلعة»، ومن ثم يقول أصحاب تسمية «سيكولوجية التسويق» أنّ الهدف من هذا المبحث ليس الكشف عن ديناميات السوق، بقدر ما هو إلقاء الضوء على عملياته اللامعقولة، واستخدام تطبيقات علم النفس لا لخدمة التجارة، ولكن لخدمة الحد من استغلال جمهور المستهلكين من قبل الشركات التجارية والصناعية.



مراجع:

Katona, G.: Psychological Analysis of Economic Behavior.

Scott, W.: Psychology of Advertising.

Juster, F.: Anticipations and Purchases: An Analysis of Consumer Behavior.



الباب السادس

علم النفس
والطب النفسي والصحة النفسية



- ١ -

سيكولوجية الصحة النفسية

الصحة النفسية والتوافق الشخصي. الصحة النفسية مسؤولية إجتماعية. الصحة النفسية والصحة العقلية. الطب النفسي الاجتماعي. تعريفات الصحة النفسية...



مجال الصحة النفسية mental health هو التوافق الشخصي، بمعنى أن تأتي التنشئة الاجتماعية بحيث تنمو شخصية الفرد متوازنة تتحقق بها احتياجاته ومطالب المجتمع، وتتكيف مع مقتضيات البيئة. والصحة النفسية دعوة لكي لا تكون علاقة الفرد بنفسه علاقة سوية، بينما علاقته بالعالم من حوله مضطربة، وكذلك لا يمكن أن يتحقق للفرد الفهم للعالم ومطالبه، وأن تكون علاقته به سوية، وهو نفسه يشكو إضطراباً نفسياً أو عقلياً.

واصطلاح الصحة النفسية من المصطلحات النفسية الحديثة نسبياً والتي ارتبطت بالطب النفسي psychiatry، ومثلها مثل الطب النفسي كان الأصل في استخدامها ينصرف إلى الصحة العقلية كما كان الأصل في الطب النفسي أنه الطب العقلي. وقد ورد اصطلاح «الصحة العقلية mental hygiene» لأول مرة سنة ١٩٠٨ في كتاب «عقل قد وجد نفسه A Mind That Found Itself» لمؤلفه كليفورد بيرز Beers، وكان هو نفسه يشكو إضطراباً عقلياً ظل بسببه يعالج في المستشفيات العقلية، وقد عانى من سوء أحوالها، فلما شفي كتب سيرته الذاتية، ودعا إلى نظرة جديدة متفتحة للمريض العقلي وعلاجه، وذكر فيما ذكر أنّ «الوقاية» من المرض العقلي ينبغي أن تسبق «علاجه»، وأنّ هذه الوقاية تقتضي وعياً صحياً بما ينبغي أن يكون عليه الزواج حتى لا تنقل الأمراض العقلية بين الناس بالوراثة، وما يجب أن تأتي عليه تنشئة الصغار حتى لا يصابوا بالأمراض العقلية. ونبه بيرز إلى أنّ الصحة العقلية مسؤولية إجتماعية، وأنّ اضطراب العقول

هو النتيجة الحتمية لسوء فهم الفرد لنفسه، وسوء فهم المجتمع له، وأنّ إصلاح العقول مطلب عام يوجب العناية بالفرد منذ الطفولة، وأنه لكي تنصلح العقول وتسلم من المرض لا بد أن تنصلح العلاقات الاجتماعية جميعها. وقد قرأ عالم النفس الكبير وليام جيمس William James (١٨٤٢-١٩١٠) كتاب بيرز وتأثر به بشدة، وكانت له هو نفسه تجربة مماثلة حيث كان قد تشكك في جدوى دراسة علم النفس بدون توظيف هذه الدراسة إجتماعياً، بحيث يكون علم النفس أيديولوجية ينطبع بها سلوك الناس في حياتهم وعلاقاتهم اليومية، وتقوم على كشوفه ومقاصده العلاقات بين الدول والجماعات والأفراد. وتأثر الطبيب النفسي أدولف ماير بالكتاب أيضاً، وبسبب جيمس وماير ذاع استخدام إصطلاح «الصحة العقلية» في أميركا كعنوان للدعوة للعناية بالمرضى العقليين النفسيين وتحسين طرق علاجهم، والعناية بضعاف العقول، وتوضيح الدور الذي يلعبه الاضطراب العقلي والنفسي في تربية الطفل، وفي علاقات العمل والوظيفة والتجارة وانحرافات السلوك.

وانتقل الاصطلاح إلى اللغة الألمانية، إلاّ أنه تغير إلى «الصحة النفسية Psychische Hygiene، أو Psychohygiene» باعتبار هذه الدعوة تتجاوز العلاج والعناية بالعقول إلى علاج النفوس والعناية بها. والاضطراب النفسي أشمل من الاضطراب العقلي، والدعوة للإصلاح تتوجه إلى نفوس الناس، وصحة الفرد النفسية، وكذلك صحة المجتمع النفسية. وتقوم الدعوة إلى الصحة النفسية على توجيه العناية بالأفراد في المجتمع ليأتي نمو الشخصية نمواً متكاملاً ومتوافقاً ويأتي كتاب «Psychische Hygiene» لمؤلفيه «بريزنا»، «وسترانسكي» Brezina and Stransky سنة ١٩٣١، كأول كتاب يرد فيه اصطلاح «الصحة النفسية» صراحة بدلاً من «الصحة العقلية»، وتستخدم فيه الدعوة إلى الصحة النفسية مقولات التحليل النفسي عند فرويد، وينبه فيه إلى أنواع الاضطرابات التي أطلق عليها إسم الاضطرابات النفسية الجسمية

psychosomatics، وهي اضطرابات جسمية إلاّ أنّ علاجها جسمياً فقط لا يجدي في شفائها، ولن يفهم في علاجها الطبيب العادي، وإنما يحتاج المريض بها إلى علاج نفسي بالإضافة إلى العلاج بالأدوية. ولقد أطلق مينج Meng مثلاً سنة ١٩٣٩ على أنواع الذهان من هذا النوع إسم الذهان العضوي organic psychosis يعني أنه مرض عقلي عضوي وليس عقلياً فقط، أو عضوياً فقط، وتطلب الأمر من ثم للحديث عن هذه الاضطرابات إستخدام لغة خاصة وصفت بأنها لغة psychosomatic أي لغة نفسية عضوية.

ولدعوة الصحة النفسية الآن مجالات علمية باسمها، وهيئات دولية تشترك فيها معظم دول العالم، وتعقد المؤتمرات باسمها. والصحة النفسية دعوة عريضة تأخذ بنصيب من كل العلوم، ويختلف تعريفها بحسب زاوية رؤية العالم المتصدي لتعريفها، والعلم الذي يشتغل به. وأصحاب الدعوة إلى الصحة النفسية يذكرون أنّ رسالتهم هي مساعدة الأفراد على أن تكون لهم البصيرة والشخصية للتصدي لمشاكلهم اليومية والقدرة على حلها. ورغم أنّ فرويد ليس من دعاة الصحة النفسية إلاّ أنّ رسالة التحليل النفسي هي الرسالة نفسها، وكان فرويد يقول إنه حيثما يكون الهو id فحتماً لا بد أن يوجد الأنا ego، ومعنى ذلك أنّ الوعي بالدوافع اللاشعورية يقوي الأنا ويجعله أقدر على السيطرة على السلوك وتوجيهه الوجهة الصحية البناءة. ويركز المهتمون بالصحة النفسية من المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي على العلاقات التفاعلية، وفي ذلك يقول سوليفان Sullivan (١٨٩٢-١٩٤٩): «إنّ الصحة النفسية هي الحالة التي يكون عليها الفرد عقلياً ونفسياً نتيجة تحسينه لكفاءته كإنسان، وإشباعه لحاجاته، وتحقيقه لبعض النجاحات في الحياة». وينبه إيريك فروم Erich Fromm (١٩٥٠) إلى البعد الاجتماعي الذي يصنع الصحة النفسية، من حيث أنها توافق الفرد مع بيئته النفسية، وعنده أنّ الفرد المتمتع بالصحة النفسية هو المنتج الذي لا يستشعر الغربة النفسية في موطنه،

والذي يحب الناس وينسب نفسه إلى العالم كله، ويستخدم عقله ليفهم الواقع بموضوعية، ويعي أنّ له فردية وأصالة، وأنه والناس سواء، وأننا جميعاً إخوة كبشر، وتجمعنا أهداف واحدة وهي أن نعيش في سلام مع أنفسنا والعالم من حولنا، وأن نجعل من هذا العالم شيئاً جديراً أن نعيش فيه، كما نجعل من أنفسنا آدميين جديرين أن يعيشوا في هذا العالم، وتكون لهم السيطرة على مقدراته وتوجيهها إلى الخير دائماً. والشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية لا يمكن أن يقبل أن يعيش تحت نير الاستبداد، والاستبداد لا يمكن إلاّ أن يصنع من الأفراد الذين يعيشون في ظله مرضى نفسانيين. والذي يتمتع بالصحة النفسية لا يرضخ إلاّ لصوت العقل والضمير، وفعله للخير، واتباعه للحق، وطلبه للجمال، وسعيه للحرية، كل ذلك ينبع من نفسه. وهو يقدر الحياة ويعرف أنها أسمى ما يمكن أن يوهب للإنسان من النعم والخيرات، وأنّ حياته هي نعمة متجددة دوماً، وأنّ كل يوم يمر عليه هو بمثابة الميلاد الجديد، ويستقبله لذلك بالرضا والتفاؤل والأمل. ومن رأي فروم أنّ كل ما سبق من قيم لا بد أن يشتمل عليه أي برنامج للصحة النفسية. ومن رأي ماري جاهودا Marie Jahoda (١٩٥٨) في كتابها «Current Concepts of Positive Mental Health»: أنّ التعريف الذي يذهب إلى أنّ الصحة النفسية هي الخلو من المرض النفسي أو العقلي هو تعريف سالب قاصر، بينما التعريف الموجب الشامل هو الذي يؤكد على استقلالية الفرد ووعيه بذاته، وبالتفاعلات في مجتمعه والعالم، وأن يكون سيد قراراته ومواقفه». ويبرز في حركة الصحة النفسية منظرون، وممارسون، وباحثون، والمنظر ideologist يهتم بتنشئة الفرد صحياً وتوعيته بمقتضيات الصحة النفسية، والممارس practitioner يتوجه إهتمامه إلى العلاج النفسي وأن تتوفر المصحات النفسية لهذا العلاج، والباحث researcher يهمه تطوير مفهوم الصحة النفسية وإجراء الدراسات والقيام بالتجارب التي هدفها دفع عملية التطور. والدعوة للصحة النفسية صارت

كالدعوات الإصلاحية الكبرى، كالدعوة إلى التقدم، أو الدعوة إلى الكمال، أو الدعوة إلى الخلاص، أو أنها دعوة دينية بمصطلحات عملية تستخدم مفاهيم وكشوف الطب وعلم النفس الاجتماعي والطب النفسي. وعلى دعوة الصحة النفسية قام علم جديد هو الطب النفسي الاجتماعي social psychiatry، وتطور مفهوم العلاج النفسي من علاج نفسي فردي إلى علاج نفسي جماعي، ونشأت طرق جديدة في العلاج النفسي كطريقة الدراما النفسية psychodrama، والتي يشارك في فكرتها وأدائها المرضى وأهاليهم، والممرضون والأطباء، باعتبار المجتمع العلاجي مجتمعاً يمثل المجتمع ككل. ومن رأي البعض أنّ الدعوة للصحة النفسية هي قيمة أو إيديولوجية جديدة إصلاحية، أو بالأحرى قيمة كبرى أو سيدة القيم master-value جميعها.



مراجع:

Ginsburg, Sol: The Mental-Health Movement. Its Theoretical Assumptions.

Ridenour, Nina: The Mental-Health Movement. Encyclopedia of Mental Health.

Davis, Kingsley: Mental-Hygiene and the Class Structure.

Clausen, John: Sociology and - the Field of Mental Health.



- ٢ -
سيكولوجية النضج

النضج هو كمال النمو، وهو عملية تنامي إرتقائي. النضج المبكر. النضج والعمر الزمني.



قد يعني النضج أو النضوج maturation في اللغة الاستواء وبلوغ حد

الكمال من النمو؛ تقول أنضج الرأي أي أحكمه صاحبه، ونضجت الفاكهة أي استوت وطابت. والنضج في علم النفس: عملية إرتقائية تصاحب النمو الذي يكون على أطوار يمر بها كل كائن حي، فتتغير بها أبنيته الجسمية ووظائفها، ويشمل التغير الكائن الحي كله من كافة نواحي الفسيولوجية والعصبية والإدراكية والنفسية والجنسية.

ومعنى قولنا إنّ النضج عملية تنامي إرتقائي a developmental growth process أنّ التغييرات التي يستحدثها النمو growth ترتبط إرتباطاً منتظماً بالمراحل الزمنية التي يعبرها الكائن الحي، إبتداءً من تخلفه، وانتهاءً بوفاته أو فنائه، وأنها تغييرات تناسب هذه المراحل، وبها تتغير أنماط سلوكه، فيسلك بالطريقة التي يتكيف بها مع هذه التغييرات، والتي بها يتوافق معها ومع بيئته، وعندئذ نقول إنّ هذا الكائن قد نضج للمرحلة، فالطفل مثلاً لا يتعلم المشي إلاّ إذا صار لديه الاستعداد البنيوي للمشي، ولا يستطيع أن يتعلم الكلام إلاّ إذا نضج جهاز الكلام عنده وأصبح مستعداً لأن يتدرب على الكلام ويمارسه، فكأنّ التعلم يلحق النضج، ومن مظاهر النضج أنّ التعلم يجدي معه، وتكون له نتيجة إيجابية. ومثلما يعني النضج تحسناً وتقدماً في كل مرحلة من العمر عن المرحلة السابقة فإنه قد يعني أيضاً النكوص regression والتنكس، وفرضية النضج والتنكس maturation de generation hypothesis هي القول بأنّ النمو يستمر في التحسن بعد الولادة حتى الشباب ثم يبدأ التنكس؛ وفرضية النضوج m. hypothesis : هي القول بأنّ كيفيات السلوك يحددها نضوج الأعضاء والجهاز العصبي وكذلك الوراثة، ولا تتكشف الوراثة إلاّ بعد أن تكون أجهزة الجسم قد نضجت؛ ومبدأ النضج المرتقب principle of anticipatory m.: هو القول بأنّ الوظائف المختلفة للأعضاء متوقعة قبل أن تنضج لها هذه الأعضاء، وقد يستحدثها التنبيه في غير أوانها stimulus induced m.؛ وتقدير النضج m. rating: هو الحكم بالدرجة التي فيها يكون سلوك الشخص تحت أو فوق المعيار بالنسبة لعمره أو لأترابه، وفي الإنسان

يكون الارتقاء من الطفولة إلى الصبا، إلى الفتوة، إلى الشباب، إلى الرجولة، وكلها مراحل فيها التقدم، إلاّ أنّ خاتمة هذه المراحل هي الشيخوخة، وفيها يبلغ الإنسان حد النضج limit m. الذي يناسبها إذا تهيأت أبنيته الجسمية ووظائفها وحالته النفسية والعقلية لهذه المرحلة ومتطلباتها، فإذا لم يستحدث هذا التهيؤ والاستعداد في أي مرحلة من العمر، فإنّ ذلك من شأنه أن يؤخر النضج. وأحياناً قد يبكر النضج، بمعنى أن يكون العمر الزمني للفرد أقل مما عليه حالته الجسمية والنفسية والعقلية. والنضج المبكر maturitas praecox : حالة من الحالات غير المألوفة، والتي قد نلحظ فيها الفرق بين النمو الجسمي والعمر الزمني، ومن دأب الناضج نضوجاً مبكراً أن يسلك كالكبار وينمو إلى التفكير، وغالباً ما تكون له اهتمامات تجريدية، وقد يتجه إتجاهات دينية. وهناك حالات من النضج المبكر حاضت فيها البنات في السادسة، وحملن أيضاً في هذه السن. ورغم أنّ النضج الجنسي sexual m. يتأخر في النوع الإنساني حتى الثامنة عشرة تقريباً، إلاّ أنّ البلوغ الجنسي sexual puberty يكون في نحو الثانية عشرة، مع ذلك فإنّ الشاب أو الشابة لا يتهيأ للنضج الاجتماعي إلاّ في نحو الواحدة والعشرين، وفي بعض المجتمعات لا يكون النضج الاجتماعي social m. إلاّ في الرابعة والعشرين، وفي بعضها يؤخر هذا السن إلى الثامنة والعشرين، وهي السن التي ينضج فيها الشاب أو الشابة جنسياً، ويتحول إهتمامه من الجنس كنشاط لذيذ، إلى الجنس كنشاط هدفه تناسلي - النضج التناسلي genital m. - ويقصد به الإنجاب، ويكون عن طريق الزواج وتكوين الأسرة، وذلك أمر يقتضي الشاب أو الشابة أن يستقل بأمر نفسه عن أبويه، وتكون له مهنته التي يتكسب منها ويعول بها أسرته. وأحياناً قد تتعسف سن النضج الاجتماعي إعتسافاً كما في سن الثامنة عشرة التي حددتها الحكومات كسن مؤهلة للانتخاب وللزواج. والنضج المهني vocational m.: هو التهايؤ والتلاؤم لشغل وظيفة أو حرفة والقيام بها في توافق. والنضج العقلي

intellectual m.، والنضج الانفعالي emotional m.، والنضج النفسي psychological m.: هو أن تكون السمات النفسية للفرد، وانفعالاته، ومستوى ذكائه، متناسبة جميعها مع عمره الزمني.

والنضج بخلاف النمو، حيث النمو هو تغير باتجاه النضج، بينما النضج هو اكتمال النمو، وعلى ذلك فالنمو العقلي، أو الفسيولوجي، أو الهيكلي بخلاف النضج العقلي، أو الفسيولوجي أو الهيكلي. وكذلك يختلف النضج عن الارتقاء development حيث الارتقاء عملية تغييرات مستمرة حيث النضج. وقد يقال إنّ النمو هو الارتقاء، إلاّ أنّ النمو كمي، والارتقاء كيفي، والنضج كمي وكيفي معاً.

وارتباط النضج بالتعلم يؤكد أنّ التدريب على المهارات قبل السن المناسب لا يفيد الطفل. وهناك من الشواهد ما يثبت أنّ التعلم في حينه هو التعلم المجدي، ويأتي في السن الذي ينضج فيها الطفل بدنياً ونفسياً وعقلياً، للدرجة التي يكون فيها مستعداً لتطبيق ما تعلمه وتجويده. ومع النضوج للتعلم تقل مدة التمرين اللازمة لإتيان السلوك، ولا يؤدي التمرين المبكر قبل اكتمال الاستعداد له إلى أي تحسن في التعلم، كما أنّ التمرين الذي يمارس في حينه يقبل عليه الطفل ويأتيه عن طواعية، في حين أنه يعزف عن أي تمرين في غير وقته، وإذا أجبر عليه فإنه قد يتسبب عنده في صراعات نفسية مبكرة ويستحدث الإحباط والشعور المبكر بالفشل. وهناك تجربة مشهورة لجيزل Arnold Gesell (١٨٨٠-١٩٦١) عن التوائم المتحدة، حيث قد بكر في تعليم إحدى البنات صعود السلم في عمر ٤٦ أسبوعاً ولمدة ستة أسابيع، وبعد أسبوع آخر بدأ في تعليم أختها التوأم لمدة أسبوعين، فاستطاعت أن تلحق بأختها في هذه المدة البسيطة وتفوقت عليها، وذلك لسبب واحد: هو أنّ تمرينها جاء في الوقت المناسب عندما استعدت له، وكانت له أنضج من أختها.



مراجع:

Gesell and Thompson: Infant-Behavior.

Buhler, C.: From Birth to Maturity.-

Harris, D. B.: The Concept of-Development.

Pressey, S. L. and Kuhlen, R. G.: -Psychological Development through the Span.



- ٣ -
سيكولوجية الغريزة

نظرية الغرائز واتجاهات داروين ومكدوجال وفرويد في الغريزة. الغريزة والحوافز والحاجات والرغبات والميول الفطرية...



الغريزة instinct في اللغة تعني طبيعة، والاسم الإفرنجي من اللاتينية instinctus، من الفعل، يعني يثير. والسلوك الغريزي instinctive behavior هو إذن سلوك طبيعي، بمعنى أنه «مفطور innate»، أي يولد به الكائن الحي ولا يكتسبه بالتعلم، مثل هجرة الطيور أو بنائها لأعشاشها، فإنها رغم تعقد هذا السلوك تأتيه من «تلقاء نفسها»، وهو «عام» في أفراد جنسها، و«ثابت» من حيث ظهوره ودقة ترتيبه، ويؤدي لها «غاية حيوية» في استمرار نوعها.

والغريزة فرض علمي scientific hypothesis، فليس هناك عملياً ما يمكن أن نشير إليه باعتباره غريزة، فمثلاً غريزة الضمير .conscience i هي فرض علمي يطلق على مؤسسة «الضمير» في الإنسان. والغرائز أنواع، منها غريزة القطيع :.herd i وهو الميل الطبيعي عند الناس أن يجتمعوا إلى بعضهم البعض ويقلدوا بعضهم البعض، ويتابعوا بعضهم البعض دون تحميص، ويقال للشخص الذي تسيطر عليه غرائزه إنه :i. Ridden؛ كما يقال للغريزة التي لا تعمل إلاّ بعد انقضاء وقت إنها غريزة مؤجلة delayed .i؛ والغريزة الجزئية .partial i هي عنصر من عناصر الغريزة، ويقال لها أيضاً

غريزة مكونة component، ويُطلق إسم الغريزة على الاستعداد العصبي النفسي الذي يجعل الكائن الحي ينتبه إلى مؤثرات من نوع خاص، ويدركها إدراكاً حسياً، ويشعر بانفعال خاص عند إدراكها، فيسلك نحوها سلوكاً خاصاً، أو على الأقل ينزع لأن يسلك نحوها هذا المسلك. ولعل مكدوجال McDougall (١٨٧١ - ١٩٣٨) هو خير الداعين لنظرية الغرائز theory of instincts، يحاول بها أن يفسر سلوك الأفراد والجماعات، ولقد تأثر بمذهب داروين Charles Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢) في الغريزة باعتبارها عاملاً وراثياً، وأضاف إليه المظاهر الثلاثة التي للشعور، والتي قال بها كنط Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤)، فالفعل الغريزي فيه الشعور، ومن ثم ففيه أيضاً الإدراك، والوجدان أو الانفعال، والنزوع أو الرغبة والاندفاع، وعند مكدوجال هذه المظاهر هي عمليات معرفية cognitive، وجدانية affective، ونزوعية conative، فنحن ندرك الشيء أولاً، فنشتهيه ثانياً، فننزع لامتلاكه ثالثاً. ومن السهل ملاحظة السلوك الغريزي في الحيوانات الدنيئة والحشرات وما هو أرقى منها كالطيور، وذلك لأنه يوجد عندها في صورته الفطرية، وأما الإنسان فسلوكه الغريزي كثيراً ما يتعرض للتعديل modification بسبب ما يتمتع به من ذكاء، ولقدرته على التعلم وما يتراكم عنده من خبرات. ويشمل التعديل الناحية الإدراكية، فبعد أن كانت الدوافع الغريزية تستثار بمثيرات طبيعية فطرية فإنّ من الممكن إستثارتها في مواقف غير المواقف الطبيعية. ويشمل أيضاً الناحية النزوعية، فالطفل قد يقاتل في الصغر، ولكنه عندما يكبر ويتعلم، قد يجد طرقاً أخرى تنصرف فيها غريزة المقاتلة combating i.، أو غريزة السيطرة والتحكم mastery i..، وأما الناحية الانفعالية من الغريزة فلا يطرأ عليها التعديل، فانفعال الغضب واحد في كل الحالات من حيث النوع وإن تغير في درجته. ويفيد التعديل في الناحيتين الإدراكية والنزوعية كسب مثيرات جديدة من نوعها، وكسب أنماط جديدة من السلوك. وثبوت الانفعال في السلوك الغريزي الواحد جعل له أهمية خاصة

لدرجة أن أطلق البعض على الغريزة إسم الانفعال المصاحب لها، فيقال مثلاً غريزة الغضب، أو غريزة الخوف.

ولعل فرويد هو ثاني من يمكن أن نهتم بأقواله في الغريزة بالنظر إلى ما للتحليل النفسي من أهمية في مجال تفسير السلوك. وفرويد يعتبر الغريزة دافعاً طبيعياً، أو قوة دافعة داخلية. ويستخدم فرويد كثيراً فكرة الصراع conflict، وخصوصاً الصراع بين الغريزة والمتحصلات النفسية والعقلية المكتسبة بالخبرة. ويفترض فرويد نوعين من الغرائز في الإنسان، وذلك خلافاً لمكدوجال الذي يجعلها نحو العشرين: هما غريزة الموت .death i، أو غريزة الهو .id i، أو غريزة التدمير .destruction i، ويقابلها غريزة الحياة .life i، أو غريزة الإيروس .Eros i، أو غريزة الأنا أو البقاء .ego i، والطاقة التي تعمل بها الغريزة الأولى هي الطاقة التدميرية destrudo، بينما الطاقة التي تعمل بها الثانية هي الطاقة الحياتية libido، وكل منهما يمكن أن تنفرع عنها غرائز أخرى مشتقة .derivative i. ومن رأي فرويد أنّ أهداف السلوك الظاهر أو المكشوف لا تكفي دائماً لفضح الأساس الغريزي له، بتأثير القمع والكبت اللذين يتناولان طرق التعبير بتأثير من الزواجر والموانع الاجتماعية. وما من سبيل لاستكشاف هذا الأساس الغريزي إلاّ بالتحليل النفسي psycho-analysis، عن طريق تحليل تداعيات الأفكار والذكريات، وتحليل الأحلام، لكشف المخبوء وديناميات السلوك الحقيقية. ويستمد فرويد مفهومه للغريزة من ملاحظاته الكلينيكية للمرضى، إلاّ أنّ هذا المفهوم لم يقم بالتجريب عليه كأي من مفاهيم علم النفس الحديث، وكانت عليه اعتراضات كالاعتراضات التي قامت ضد مفهوم الغريزة الوراثي عند مكدوجال. ولسوف نرى أنّ التيار الرافض للغريزة كان تياراً قوياً إستحق أن يطلق عليه إسم الثورة المضادة للغريزة anti-instinct revolt. ويكتب فرويد أحياناً عن الغريزة وكأنها قوة عمياء، وطاقة تضاهي بالطاقة في الفيزياء، ودينامياتها تقوم على قوانين شبه آلية، وهو أحياناً يكتب عنها كما لو كانت قوة عاقلة، لها مقاصد ونوايا ودهاء واستراتيجيات يمكن أن تلجأ إليها. ولقد

صرف فرويد الكثير من وقته وتفكيره من بعد في تطوير نظرياته عن كيفية تحول الضغوط الغريزية من خلال الخبرات إلى أنماط من السلوك والتفكير متعارضة. وجعل أتباعه من أمثال كارين هورني Karen Horney (١٨٨٥-١٩٥٣) للمجتمع والثقافة دوراً أكبر في عملية التحول هذه، ولم يذكروا ما للغريزة من قوة بيولوجية مؤثرة على السلوك، ولكنهم ذكروا أنّ الواقع يثبت أنّ للمجتمع دوراً أكبر في تفجير الصراعات السيكولوجية عند الأفراد وإصابتهم بالعصاب والذهان.

والمشكلة في تفسير السلوك من خلال التحليل النفسي، أنّ دوافع السلوك قد تفسر بالغريزة بطرق غير مباشرة، فمثلاً طالب العلم الذي يواليه على الدوام، قد نبلغ في تحليل هذا السلوك عنده إلى حد رده إلى غريزة حب الاستطلاع curiosity i.، أو حتى غريزة الاستئثار والتملك possessive i.، أو ربما بدافع من الجوع والرغبة في توفير الطعام، وربما كتعبير عن المقاتلة التي تأخذ شكل المنافسة، أو بدافع جنسي كأن يكون ليروق في نظر محبوبته. وتفلح نظرية الغرائز في تفسير الكثير من مظاهر السلوك غير المنطقي واللاعقلي في السلوك البشري، بالنظر إلى أنّ الغرائز من حيث هي ميول موروثة فإنها تعمل بطريقة غير شعورية، بمعنى أنها تعمل دون أن يشعر صاحبها بعملها ولا بأسبابه، بالإضافة إلى أنّ السلوك الغريزي يتميز بالقوة بالنظر إلى ما يصاحبه من انفعالات قوية. ومع ذلك فإنّ المعارضين لنظرية الغرائز قد أحلوا محل الغريزة أسماء مغايرة مع استبقاء مفهوم الغريزة نفسه، من حيث هي استعداد أو ميل فطري. ولقد قال البعض بالحاجات needs التي تصدر عنها الدوافع، وقسموها إلى حاجات فسيولوجية، وحاجات إجتماعية، وحاجات نفسية تساعد على تكامل الذات، وقالوا في تعريف الحاجات: إنها تراكيب لتوجيه قوى معينة في المخ تنظم الإدراك والفهم والعقل والنزوع والفعل بطرق معينة، لتحويل أو تغيير المواقف غير المشبعة في اتجاهات معينة، وتتميز كل حاجة بشعور خاص أو إنفعال معين خاص بها. وقال آخرون بما يسمى

الحوافز drives وهي موروثة، وسابقة على كل خبرة واكتساب، وعامة، ومسؤولة عن تحقيق التوازن الفسيولوجي والاحتكاك البسيط بين الكائن الحي وبيئته. وبغض النظر عن هذه المسميات، سواء كانت ميولاً فطرية propensities، أو حاجات needs، أو حوافز drives، أو رغبات desires، أو وحدات عمل نفسي ergs، فإنها فطرية موروثة، وتخص النوع الواحد، وتصاحب بنشاط إنفعالي يحرر السلوك ويوجهه وجهة معينة. ويبدو من ذلك أنّ نظرية الغرائز لم تمت، وإن كان البعض يغير أحياناً مسمى الغرائز دون المضمون.



مراجع:

McDougal: Introduction to Social-Psychology.

N. Tinbergen: The Study of Instincts. -

Wiln, E. C.: The Theories of Insticts. -

Thorpe, W. H.: Learning and Instinct - in Animals.

Schiller, C. H.: Instinctive Behavior. -



- ٤ -
سيكولوجية المعوّق

الإعاقة ليست مرضاً. الإعاقة الذاتية والخارجية. إختلاف النظرة للمعوق. إختلاف تعليم المعوق واختباراته بحسب الإعاقة. المقارنة بين الكفيف والبصير في التوافق. أنواع الصمم. قياس شخصية المعوق بوسائل التقويم المقننة. وعلاج حالات الإعاقة. مدارس المعوقين...



المعوق the handicapped هو الذي يشكو عاهة أو إصابة تجعله أقل قدرة عن العمل، أو ربما عاجزاً عن الأداء بالمرة. والإعاقة أصلاً بدنية، ولكنها يمكن أن تكون عقلية كذلك، ويوصف بها المتخلفون عقلياً أو الذين يعانون من نقص أو قصور عقلي - المعوقون عقلياً mentally h.. والأعمى والأصم والمفلوج معاقون بدنياً physically h.، وليست الإعاقة مرضاً، ولا المعوق مريضاً، وإنما

هو إنسان إصابته البدنية تمنعه من أن يكون على الكفاءة البدنية نفسها التي عليها السوي. وبعض الناس قد تذهب بهم الظنون أنهم معوقون لأنهم يعانون من تشوه جسدي يحول بينهم وأن يتعاملوا بفاعلية مع الآخرين. كأن يعاني أحدهم مثلاً من المسمنة المفرطة، أو يكون قصيراً شديد القصر، أو مصاباً بحب الشباب لدرجة تغير من شكل وجهه وتخفي معالمه. وهناك نوع من الإعاقات تحول بين المرء وأن تكون له حياته العائلية السوية family-life handicap، وإعاقات تمنع من تفاعل المعوق بمجتمعه collective-life handicap. وتتحصل الإعاقة عموماً إما لأسباب من داخل المعوق نفسه، كأن تكون الإعاقة خلقية، أي أنه ولد بها أو جاءته من طريق الوراثة، وربما تتأتى الإعاقة نتيجة ظروف من خارجه تأثر بها جسمه وخلفت به العاهة مثلما في الإعاقة الإدراكية perceptual h.، وهي نوع من سوء الوظائف العقلية يعوق العمليات الإدراكية. والإعاقة من ناحية أخرى ربما تستحدثها ظروف المعوق الاقتصادية، كالعوز المادي والفقر والجوع والإهمال الصحي، فقد يترتب على ذلك أن يضار عضو من الجسم وتتوقف وظيفته أو تقل كفاءتها.

والنظرة للمعوق تختلف من مجتمع لآخر، بل وفي المجتمع الواحد من طبقة لأخرى، وللثقافة والمفاهيم السائدة عن المعوق دور في تشكيل النظرة للمعوق. والمعوق قد يتأثر مستواه العقلي نتيجة قصور تفاعله الاجتماعي وتحصيله العلمي، وقد تتطلب منه الإعاقة أن يساعده آخرون ولا يجد من أحواله المؤاتية ما يؤهله لتجاوز آثار إعاقته. والإعاقة قد تكون حركية motor h. ، أو حسية sensory h.، أو كلامية verbal h.، أو بصرية visual h.، ولذلك فقد يلزم إدخال المعوق نوعاً خاصاً من المدارس بحسب نوع إعاقته، فالأصم deaf مثلاً له مدارسه الخاصة وبرامجه التعليمية التي تختلف عن مدارس وبرامج الأعمى blind. وفي كل الأحوال فإنه من اللازم البدء فوراً في إلحاق الطفل المعوق من سن باكرة بالمدرسة التي تتطلبها إعاقته، وكلما كان ذلك في وقت مبكر كان أفضل له وأنفع. والاختبارات التي يمكن أن يخضع لها

المعوق لدراسة شخصيته تختلف كذلك بحسب الإعاقة. ولا تطبع الإعاقة شخصية المعوق بطابعها، وينفي علماء النفس أن تكون للأعمى شخصية معينة لكل العميان، ولا للأصم، إلاّ أنّ دراسة الأعمى لا بد أن تتم من خلال اختبارات تقيس مدى الخسارة التي تلحق قدراته، والتي تنحرف بها اتجاهاته وأفكاره، وتتغير من جرائها سماته، كاختبار TAT اللفظي للعميان، واختبار تفهم الموضوع السمعي الذي يتضمن الإنصات لعدد من الأصوات البشرية والآلية والتجاوب معها، أو كاختبار إكمال الجملة، واستبيانات الشخصية. وقد أظهرت هذه الاختبارات أنّ الكفيف أقل توافقاً من البصير، كما أظهرت إختبارات الرورشاخ على الأطفال المصابين بالشلل أنّ الضرر يلحق بقدرة الطفل التخيلية وبمستوى طموحاته. وتصمم لذلك برامج تعليم الطفل المعوق، وإعادة تأهيله، من أي سن، طبقاً لنوع الإعاقة، وليكون له نوع السلوك المتوافق مع إعاقته وشخصيته. ويحاول الأخصائي النفسي في لقاءاته بالمعوق أن يرفع من معنوياته، ويشد أزره، ويشجعه لكي يستحدث نوعاً من التغيير في نظرته لإصابته، أو ليساعده على توجيه نمو شخصيته إيجابياً، وتقوية إعتماده على نفسه، وأن يكون له الاتجاه الذهني والنفسي والإيجابي من الحياة عموماً.

والصمم deafness، أو الطرش anacusis، هو فقدان القدرة على السمع، وهو بمثابة العجز الكلي عن السمع، على عكس الصمم الجزئي partial deafness، أو الوقر hypacusis، أو ثقل السمع dysacusis. والصمم كالعمى، على درجات، ويمكن أن يكون سببه جينياً، أو قد يترتب على إصابة جهاز السمع بأذى، أو لآفة تصيب اللحاء أو المخ، أو لعوامل أخرى تشريحية وفسيولوجية. والصمم الوظيفي functional deafness، أو النفسي psychic d. – نفسي المنشأ psychogenic، أو الهستيري hysterical : هو الذي يكون وقراً ليست له أسباب عضوية، ويلحق بوظيفة السمع دون جهاز السمع نفسه، ويترتب على الضغوط النفسية والمواقف المؤلمة التي يهرب منها الشخص بالصمم، ويحتمي منها الأنا بهذه

الأعراض التحولية، وهي ضغوط ومواقف لها طبيعة صوتية، ومن ثم يكون التداعي لها بالصمم الذي يفقد صاحبها القدرة على السماع.

وأخطر أنواع الصمم هو الصمم الخلقي congenital d. الذي يولد به الشخص. ومن الصعب اكتشاف الصمم في الأطفال الصغار حتى الشهر السادس من الولادة، إلاّ أنه ابتداءً من هذا الشهر يمكن للطفل أن يحرك عينيه ورأسه إلى مصدر صوت مجاور له، أو يتجاوب مع المناغاة تجاوباً ملحوظاً كلما سمع أمه تغني له أو تحادثه. والطفل الأصم أو الذي يعاني خللاً ما في جهاز السمع، لا يحرك عينيه ولا رأسه إذا استحدث صوت إلى جواره، ويبدو واضحاً أنه لا يتعلم مما يقال له، ولا يتجاوب مع الأصوات من حوله. وطبيعي أن يفقد الطفل الأصم الكثير من التعلم بسبب هذا الخلل في سمعه. والأصم صمماً كاملاً ينعزل صوتياً عن العالم، ويحرم الكثير من الخبرات التي ينعم بنتائجها الطفل السوي سمعياً.

وقياس شخصية الأصم سواء كان طفلاً أو راشداً من الصعوبة بمكان بسبب مشقة التواصل به تواصلاً مفهوماً، ويبدو من غير العلمي لذلك استخدام أنواع أخرى بخلاف الاختبارات الإسقاطية projective tests لتقويم شخصية الأصم. ومن الممكن الاعتماد على تقويم مدرسي الفصل لصفات الطفل الأصم، وما يشكو منه أو يتمتع به من سمات قد تحسب له أو عليه. ويفيد جداً إستخدام مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي، واختبار الرورشاخ، واختبار إحباط الصورة لرونزفايج، واختبار رسم الشخص، ويبدو أنّ وسائل التقويم المقننة هي أنسب الوسائل لقياس شخصية الأصم أو المعوقين عموماً. ويكاد يكون هناك إجماع على أنّ كل حالة صمم لها مواصفاتها الشخصية التي قد يظهرها الاختبار. غير أنّ القياس قد يتوخى خصوصاً الإحاطة بالمدى الذي يكون عليه تقبل الأصم لعاهته، وتأثيرها في شخصيته وتكوينها، واتجاهاته وميوله، وأسلوبه في التوفيق بين الإعاقة والعالم من حوله، وطاقته على تحمل الإحباط، أو احتمال ما تجره عليه العاهة من مواقف محرجة، أو تماسكه نفسياً، والقوة التي

يكون عليها أناه، ومستوى القلق الذي يعاني منه، والتوترات التي تخترمه، وما آل إليه منها بالوراثة، وما كان منها بسبب عاهته، والصورة التي قد رسمها لنفسه نتيجة العاهة التي لحقت سمعه، والصورة التي يتصور أنها له عند الناس، وتكيفه مع ذلك كله، وتوافقه الحالي أو المرتجى، وانفعالاته وسلوكه مع والديه وإخوته وزملائه وأطبائه، ومع الجنس الآخر. وتقيس الاختبارات كل ذلك. ويبدو أنّ الأصم يعاني كطفل من عزلة قد تفرضها عليه ظروفه، ولم يفرضها على نفسه، وقد تنأى به عمن حوله وتمنعه من الدخول في خبرات جديدة تثري شخصيته وتزيد معلوماته، ولذلك مردود مضاعف على تكوينه النفسي. ويؤكد علماء النفس أنّ موقف الطفل الأصم تحدده معاملة أبويه ومدرسيه له، فإن كانوا من النوع المتسامح والمعاون الذي لا يظهر الضيق بعاهة الطفل، والذي يشركه باستمرار معه في الحديث، ويحاول أن يتجاوز به محنته، ويشجعه على النطق وتقليده فيه، ويصححه له، ويدفعه إلى مواقف إيجابية تزيد من خبراته ومعلوماته ومفرداته اللغوية، فإنّ الطفل يتجاوب بالتعلم بسرعة وتثرى شخصيته كأي من أقرانه. وإن كانوا من النمط البرم الساخط الذي لا طاقة له على العطاء، فإنه، أي هذا الطفل، سيشتد سخطه على حالته، ويثور على وضعه، ويتوجه بطاقته إلى العدوان، ويكره أبويه والمدرسين وزملاءه، وتسهل استثارته، ويبرر فشله بالعاهة المصاب بها.

ولا يخفى أنّ اللغة هي الأداة الأولى لتحصيل الثقافة، وهي وعاء حضاري يجمع فيه كل أسباب التقدم والترقي. والمحروم من اللغة محروم من أهم إنجازات الثقافة، ومن وسيلتها للانتماء للمجتمع، والتواصل بأفراده، وتفهم قيمه وأعرافه ومعاييره ومصالحه. وقيل إنّ الأصم يُصاب بضرر نفسي واجتماعي أكبر من الذي يُصاب به الأعمى من العمى. والصمم يترتب عليه عجز أو تخلف عن التحصيل العلمي، ومن ثم قد يبدو الأصم كما لو كان يعاني تخلفاً أو نقصاً عقلياً، مع أنه ربما كان شديد الذكاء أو على مستوى عقلي لا بأس به،

وربما يكون أقدر من غيره على التعلم لو أتيحت له الفرصة. وإذكاء طموح الأصم وتشجيعه يساعد على علاجه بالكلام speech therapy، بتعليمه قراءة الشفاه، واللغة الإشارية، ونطق الألفاظ والحروف. والمعول عليه حالياً تعليم الطفل الأصم النطق مبكراً كلما كان ذلك أسرع له للتعلم والتكيف مع طريقة التعبير التي وسيلتها النطق الذي يؤديه دون أن يتمكن من سماعه. وتدريب الطفل على ذلك هو تدريب فردي وإن كان قد يشارك أحياناً في القراءات الجهرية أو في التمثيل أو غيره من المواقف التي تساعد على أن يسلك لغوياً سلوكاً يتعلمه في الفصل، فكلما زادت هذه المواقف زادت بذلك حصيلته اللغوية. وقيل إنّ تدريبه على الأفعال أو الأعمال وما تعنيه لغوياً يكون قبل تدريبه على الإحاطة بالأسماء ومدلولاتها ونطقها. ومن المستحسن أن يكون تقليده للمدرس من خلال التدريب أمام مرآة ليلحظ نفسه ويعدل من سلوكه مقلداً لمدرسه. وينبغي اختيار العبارات البسيطة ليقلدها نطقاً، ويفهم سياقاتها، وكذلك تكون الكلمات سهلة ولها مقابل محسوس من الواقع.

ومن حالات الإعاقة العقلية الطفل الأحمق moron، والأبله imbecile، والمعتوه idiot، وكذلك المنغولي mongol، والقميء cretin، والأطفال الذين يعانون من صغر أو كبر الجمجمة، وكل هؤلاء يشكون من نقص في قدراتهم العقلية وفي ذكائهم، وربما كان ذلك فطرياً فيهم، أو كان مكتسباً نتيجة تلف في المخ يؤدي إلى بطء التجاوب والفهم والتعلم، وعدم الكفاءة للتكيف إجتماعياً. والملاحظ عموماً أنّ الطفل المعوق عقلياً يكون ضئيل الحجم، ولا يستطيع إدراك العلاقة بين الأشياء، ويظهر عليه تشتت الانتباه، وتكاد تنعدم عنده القدرة على التذكر، وتتدنى لديه عمليات التداعي والتفكير، ويضعف التصور والتخيل، وتبدو انفعالاته كالصراخ أو البكاء، ومن السهل أن يخاف، وعاداته الاجتماعية متخلفة، ويظهر عليه الشعور بعدم الأمان، ويميل إلى الانطواء، ويشق عليه النوم، ويعزف عن الطعام، وقد يمص إبهامه، ويمشي أثناء النوم، ويتهته في

الكلام، ويبول على نفسه.

والأطفال المعوقون القادرون على تعلم القراءة يفيدهم التدريب على قراءة الأعداد والحروف، للإفادة من ذلك في قراءة العناوين وأسماء الشوارع وأرقام التليفون، ويستطيع الطفل الأحمق أو المورون ذلك، وهو الذي يتراوح ذكاؤه بين السبعين والخمسين تقريباً، ويبلغ مستواه العقلي في أقصى حالاته المستوى العقلي للطفل العادي بين السابعة والعاشرة. ومن الصعب أن يتعلم الأبله القراءة والكتابة والحساب، إلاّ أنّ من الممكن تدريبه على العناية بنظافة نفسه والقيام بحاجاته اليومية البسيطة. وتفضل الطريقة الكلية في تعليم القراءة والكتابة للطفل المعوق عقلياً، وتتولى مدارس التربية الفكرية اختيار هذا الطفل بناءً على اختبار نفسي وفحص طبي، بشرط أن لا يكون ما يعاني منه يزيد على الضعف العقلي، فلا يكون مصاباً مثلاً بالشلل أو الصرع أو الصمم، ويتضمن تعليمه بعض الأنشطة العملية بطريقة المشروع مثلاً، وإشعار الطفل بلذة أداء العمل، وتشجيعه عليه، وتكرار الخبرات المختلفة وتشويقه على الدخول فيها، مع مراعاة عيوب الطفل الجسمية أثناء التدريبات المختلفة، وخاصة الرياضية، وإتاحة الفرصة له كاملة للتعبير عن نفسه بالألوان بدلاً من الكلام، والتنفيس عن انفعالاته بالموسيقى البسيطة والرقص الإيقاعي، والغناء إن أمكن، مع التدريب على الإصغاء وتمييز النغمات، والنطق الصحيح. ومن الممكن استخدام التمثيل التلقائي، وبناء المكعبات، واللعب بالرمل، وتشكيل الورق الملون ولصقه في الكراسة.

وتقدر نسبة عدد المعوقين في بلادنا بحوالي عشرة في الألف. وكانت بداية الاهتمام العلمي بالمعوق عقلياً بعلماء عالميين من أمثال جان ماري إيتار Itard، وسيجان Séguin، وأندرو ريد، وماريه منتسوري Maria Montessori، وديكرولي Decroly. وأنشأ سيجان مدرسته لتعليم المعوقين عقلياً سنة ١٨٣٧ في باريس، وكانت أو ل مدرسة من هذا النوع في هولنده سنة ١٨٣٥، أنشأها فوكا كينجما، وأنشأ أندرو ريد مدرسته بلندن سنة ١٨٤٠، وتتابعت المدارس من هذا

النوع، وتراوحت مناهجها بين التدريب الحسي والعضلي، والتعليم عن طريق الخبرة والعمل، ثم التخصص في التعليم بحسب حاجة المعوق نفسه لاستحداث نوع من التوافق بينه وبين المجتمع.



مراجع:

- Tredgold, R. F.: Mental Retardation.
- Zublin, W.: Das Schwierige Kind.
- Force, D. G.: Exceptional Children.
- Di Carlo: The Deaf.
- Clarke, A. M. and Clark, A. D. B.: Mental Deficiency.
- Anastasi, A.: Differential Psychology.
- Itard, Jean-Marc Gaspard: The Wild Boy of Averyron.
- Wallin, J. E. W.: The Education of Handicapped Children.
- Creuickshank, W. M. and Hohnson, G. O.: Education of Exceptional Children.
- Haring, N. G. and Schiefflbusch, R. L.: Methods in Special Education.



- ٥ -
سيكولوجية النسيان

الدراسات على النسيان. التفاوت في الحفظ مع ذلك فمعدل النسيان عند الجميع ثابت. قوانين النسيان وأنواع الذاكرة وأنواع النسيان...



يُدرس النسيان forgetting عن طريق قياس التذكر لما نتعلم أو نخبر، والتذكر remembering هو المقابل للنسيان، والنسيان هو آفة التعلم. وكان إيبنجهاوس Ebbinghaus (١٨٨٥) من أوائل من تصدوا لقياس النسيان أو التذكر بمجموعة من التجارب على نفسه، كان يختبر فيها حفظه لعدد من القوائم من المقاطع الصماء nonsense syllables، أي غير ذات معنى nonwords، ويرصد النتائج بشكل رسم بياني ظهر على هيئة المنحنى أطلق عليه إسم منحنى النسيان forgetting curve، وهو أيضاً منحنى الحفظ أو التذكر retention

curve، لأنه يمثل في الواقع العمليتين معاً. ومن نتائجه التي سجلها أنّ نسيان هذه المقاطع بعد حفظها له نمط معين حيث يتم النسيان سريعاً بعد الحفظ ثم يتباطأ من بعد. والتجارب على النسيان والتذكر تتم غالباً عن طريق «قوائم الكلمات» سواء التي لها معنى أو غير ذات المعنى، وغالباً ما تجرى على طلبة الجامعات لارتباط الدراسات على النسيان بدراسات التعلم، باعتبار النسيان من معوقات التعلم. وليست هناك دراسات كثيرة على نسيان المهارات الحركية، وتكاد الدراسات تكون معدومة على نسيان المفاهيم والأفكار والمبادئ. وتقوم الدراسات على النسيان أو على التذكر باعتبارهما وجهي عملة واحدة، على ثلاثة مستويات هي الاسترجاع recalling، والتعرف recognition، وإعادة التعلم relearning. ويتطلب الاسترجاع أن يتذكر الشخص ما سبق أن تعلمه، أو سمعه، أو شاهده، أو خبره، بأية طريقة من الطرق. والاسترجاع يختبر بسهولة في المختبر النفسي. والتعرف عبارة عن تمييز الأشياء التي سبق لنا رؤيتها أو تعلمها من تلك التي لم يسبق لنا رؤيتها أو تعلمها. وإعادة التعلم مقياس لاختبار الحفظ، ويطلب فيه من الفرد مثلاً أن يحفظ شيئاً جديداً، ثم بعد فترة، قد تقصر حتى لتكون ثوان، أو تطول وقد تبلغ السنوات القليلة، يطلب منه أن يعيد حفظ هذه المادة، والنقص في الوقت اللازم للحفظ الثاني، أو في عدد الأخطاء، أو في عدد محاولات الحفظ، هو دليل على استمرار الحفظ أو على وقوع النسيان.

والناس يتفاوتون في القدرة على الحفظ من حيث عدد المحاولات اللازمة لكي يتم، ولكنه قد ثبت أنّ بطء التعلم مثل سريع التعلم في النسيان، فطالما أنّ التعلم قد تم فمعدل النسيان يكون واحداً غالباً مع ثبات كل المتغيرات الأخرى، إلاّ أنه من ناحية أخرى، وعملياً كما هو ممارس في الحياة، فالناس يتفاوتون في النسيان لأسباب أخرى، ومن ذلك تفاوتهم الثقافي والاجتماعي، ونضجهم العقلي والوجداني، واهتماماتهم واتجاهاتهم، واستعدادهم للتلقي والحفظ، ودوافعهم التي قد تعجل بالحفظ وتقويه، أو تعطله، أو تجري

النسيان. ولهذا السبب قد ننسى وجوهاً دون وجوه، أو أماكن أو أرقاماً، وما قد نذكره قد تكون له مستدعيات وارتباطات تساعدنا على استرجاعه أو التعرف عليه، وهذه المستدعيات والارتباطات هي التي تسهل الاسترجاع أو التعرف. فمن جهة لا بد في الموقف الذي يلزم فيه الاسترجاع أن تكون هناك هذه المستدعيات، وهي بمثابة المؤشرات الاسترجاعية التي تساعد على التذكر، وليس النسيان طبقاً لذلك سوى فشل عن الاسترجاع نتيجة هذا العوز في المستدعيات أو المؤشرات الاسترجاعية. فالطفل الذي يسأله أبوه عمن زارهم بالأمس ويتبين أنه نسي، ربما يذكره أبوه أكثر بأن يقول له إنه الذي استحضر له لعبة القطار. وعندئذ يتذكر الطفل فوراً. ومن جهة ثانية فإنّ كثرة الرجوع إلى الذكريات يقوّي الارتباطات بين المثيرات واستجاباتها بتأثير الاستخدام (قانون الاستخدام) use law، بينما النسيان يستحدثه أن لا نستخدم المادة المتعلمة (قانون عدم الاستخدام) law of disuse.

وربما كان هناك ما يبرر التفرقة بين ما يسمى افتراضاً بالذاكرة قصيرة المدى Short-Term Memory (STM)، والذاكرة بعيدة المدى long-term memory، والأولى قد لوحظ أنها الذاكرة التي نستعين بها للحفظ الفوري للمادة التي نستخدمها يومياً. وهي التي تسعفنا بالعاجل مما نرى ونسمع، واختزانها للمعلومات يكون بدون اختزالها أو برمجتها. وهي ذاكرة نشطة وطاقتها بسيطة جداً، فما يمكن أن تختزنه لا يتجاوز السبعة بنود items، وقد يقل أو يزيد عن ذلك ببند أو بندين، والبند قد يكون حرفاً أو كلمة أو رقماً أو عدداً فلا فرق، والمهم أنه وحدة تذكر طالت أو قصرت، وتختزن كما هي بشكلها وصوتها. ولذلك كانت تسمية هذه الذاكرة أيضاً بأسماء الذاكرة المباشرة immediate memory، والذاكرة العاملة working memory، والذاكرة الأولية primary memory. وقيل إنّ تسميتها بالذاكرة قصير المدى لأنّ التذكر لا يكون فيها لأكثر من ١٥ ثانية تقريباً، ثم يأتي النسيان إن لم يكن التذكير باستمرار، وعندئذ تبرمج المعلومة وتدخل الذاكرة

بعيدة المدى. للجوء إليها في الحاضر والمستقبل معاً. ومن الذاكرة قصيرة المدى جزء إفتراضي أيضاً عبارة عن مخزن للمعلومات الحسية sensory information store (SIS)، فبعد أن يزول المثير البصري يتبقى له في الذاكرة قصيرة المدى أثر يختزن بهذا المخزن ولا يدوم فيه لأكثر من الثانيتين، ومن ثم فإنه مخزن متناهي الصغر داخل الذاكرة قصيرة المدى ذات السعة الصغيرة أصلاً، ولعله لهذا السبب يسمى هذا المخزن باسم الذاكرة الأيقونية iconic memory. وأما الذاكرة بعيدة المدى فهي كما يوحي إسمها مخزن «الماضي» كله، وربما التراث الإنساني النوعي (الذاكرة الوراثية genetic memory)، وفيها يختزن هذا الكم الهائل من المفردات اللغوية (الذاكرة اللغوية (iexical memory) من اللغة الواحدة، وربما من عدة لغات ولهجات، والأرقام والأعداد والعمليات الحسابية، والقواعد والمعاني والأفكار والمبادئ والمفاهيم (الذاكرة الدلالية semantic memory)، وأحداث الماضي والناس فيه، وأساليب الاختزان فيها لذلك مختلفة ومعقدة عن أساليب الذاكرة قصيرة المدى، وهي ذاكرة مرجعية reference memory، لأننا نرجع إليها باستمرار. وهي أيضاً ذاكرة دائمة permanent memory، لأنها ليست وقتية وليست للحاضر ولكنها لكل وقت. وتسمى كذلك ذاكرة ثانوية secondary memory، لأنّ عملياتها ليست أولية كالذاكرة قصيرة المدى.

والنسيان عندما يحدث يكون تلقائياً في الذاكرة قصيرة المدى بحكم طبيعتها، وله ميكانيزماته الخاصة وأسبابه في الذاكرة بعيدة المدى. ولعل من ألحظ الظواهر عن الذاكرة أنّ الزمن من شأنه أن يعفى على الذكريات، ولو أنّ هناك ما يصمد منها له، ولذلك أسبابه أو الدوافع إليه كما سنرى من بعد. والنظرية التي تقول بتأثير الزمن على التذكر تذهب إلى أنّ أنسجة المخ تتأثر مع العمر، ومن ثم تسقط أجزاء من الذكريات مع ما يتلف من هذه الأنسجة، ولأنها تقول بالعفاء كسبب للنسيان، فإنها تسمى بنظرية العفاء decay theory. وإذا كان هذا هو ما يحدث فعلاً فما الشأن

فيما يتبقى من ذكريات أو آثار؟ وتحاول نظرية أخرى أن تجيب على هذا السؤال، وهي نظرية تغير الأثر change-trace theory، فما يتبقى يعتريه أيضاً التغيير والتعديل. وللذاكرة في ذلك حيل وأساليب، ولها مبادئ تتحكم في ذلك، فما ينقص من المعلومات تميل الذاكرة لاستكماله أو إغلاقه closure، بتلفيق ما ينقصه، ونلاحظ ظاهرة التلفيق confabulation بشدة فيما نعرف من خرف الشيخوخة، بسبب انتكاس المخ ووظائفه مع التقدم في العمر. وما يتبقى تصل الذاكرة بين بعضه البعض، وتسوي بين أجزاء وأجزاء leveling، وقد تبرز أجزاء على أجزاء assimilating، بهدف أن يأتي الناتج في النهاية فيه انسجام symmetry، وله شكل طيب good figure، أو صورة مفهومة لها معنى للشخص المتذكر. ولعله لهذا يظهر أننا ننسى بعض ما نتعلم، ويأتي ما نتذكره وقد تشوه في الحقيقة، أو اعتراه التعديل الشديد حتى ليمكن أن يكون مختلفاً تماماً عن الأصل، ويكفي لإثبات ذلك أن نسرد قصة أو نخترع إشاعة ونطلب ممن يسمعها أن ينقلها إلى آخر، والآخر ينقلها إلى آخر وهكذا، ونرصد الناتج في كل حالة، ولسوف نجد أنّ التغيير الحادث هائل، ولسوف نلحظ التفاوت الكبير في الروايات كلها، بحسب قدرة كل واحد على استيعاب القصة وفهمها، وتأويل أحداثها بما يتناسب مع ثقافته، ونضجه، واستعداداته، واتجاهاته، وميوله، واهتماماته، ومعتقداته، ودوافعه، ولعل ذلك ما حدا ببعض العلماء إلى أن يقول بتفسير آخر أطلقوا عليه إسم التداخل أو نظرية التداخل interference theory، فهناك الكثير من الأمور تتداخل في التذكر وتعوقه وتعطله وتسبب النسيان، وما نتعلمه حالياً قد يكون من القوة بحيث يتأثر به التذكر، فيمحو ما اخترناه في السابق مما يتعارض مع ما نتعلمه حالياً، وهو ما نسميه التداخل الرجعي retroactive interference، وقد يكون ما تعلمناه في السابق من القوة بحيث يكون له حضور حالي فيحول دون الحفظ الجديد أو يعوقه، وذلك ما نطلق عليه إسم التداخل اللاحق proactive interference. وهذا الحضور الذي للقديم

أو للجديد نجده عند الآباء مثلاً بخلافه عند الأبناء الأطفال، فلا ينسى الأطفال التفاصيل ويذكرون بها الآباء، بسبب صغر سن الأطفال، وبالتالي إنخفاض درجة التداخل اللاحق عندهم، فإذا لاحظنا أنهم بدأوا ينسون، علمنا عندئذ أنهم بدأوا يكبرون. وفي تجربة على خمس مجموعات من الأشخاص تعلموا قائمة من المقاطع الصماء، واستراحت مجموعة منهم قبل أن يطلب من أفرادها إسترجاع ما تعلموه، وأما المجموعات الأربع الأخرى فقد طلب من أفرادها أن يتعلموا عدداً آخر من القوائم. والتعلم الجديد الاعتراضي يؤثر سلبياً على القدرة على استرجاع القائمة الأولى، بعكس الحال مع المجموعة التي لم تجرب التعلم الاعتراضي، فإنها بسهولة إستطاعت إسترجاعها. وفي تجارب أخرى عكس الأولى، طلب من مجموعة من الأفراد أن يحفظوا ست عشرة قائمة من المقاطع الصماء، قبل أن يطلب منهم إسترجاع مفردات القائمة الأخيرة، فلم يفلحوا إلاّ في استرجاع ٢٠٪ فقط منها.

والنسيان قد نطلبه قصداً (النسيان القصدي) intentional forgetting، كأن أريد أن أنسى خبرة مؤلمة أو مهينة أو مهددة، ومن ثم أمارس عليها ما يسمى القمع suppression، وقد يطلب مني آخرون أن أنسى أمراً أقتنع بنسيانه أو إسقاطه من ذاكرتي، ومثل هذا النسيان نصفه أيضاً بأنه نسيان مباشر direct forgetting، لأنه شعوري ونعمد إليه بوعي منا، إلاّ أنّ هناك أيضاً من النسيان ما يتم فينا لاشعورياً unconscious forgetting، وربما كان ذلك بتأثير ميكانيزم الكف الرجعي retroactive inhibition، بأن يكون لنا الاستعداد السلبي لتذكر الاستجابات المؤلمة، وهو استعداد يتكون فينا عن غير وعي ويعمل عمله لاشعورياً، ومن شأنه أن يضعف الرابطة التي تتكون بين مختلف المؤثرات وما يكون لها من إستجابات نحاول أن نتحاشى أن نأتيها، بحيث أنه عندما تظهر هذه المؤثرات أو المواقف من جديد في حياتنا فإننا قد نجهد ألا نستجيب لها كما فعلنا في السابق، وكما يتوقع منا الغير أو نتوقعه من أنفسنا، بل تكون إستجاباتنا على النقيض.

والنسيان عن دوافع motivated

forgetting من المجالات التي تخص علماء التحليل النفسي، وله آلية يطلق عليها فرويد إسم آلية النسيان forgetting mechanism، وقد نبه إليه فرويد ورده إلى عامل الكبت repression الذي يدفع بالذكريات المؤلمة إلى اللاشعور بعيداً عن دائرة الشعور فيكون نسيانها، إلا أنّ هذه الذكريات رغم ذلك تظل لها عملها في أفكارنا وسلوكنا وأحلامنا وإن كان عملها لاشعورياً، ونحن قد نعيه بواسطة العلاج النفسي، وعن طريق التداعي الحر وتفسير الأحلام، فإذا عادت لنا الذكريات واضحة لا يعود لها التأثير المؤلم الذي كان لها في حينها. والنسيان الذي يؤدي إليه الكبت قد يكون بالغاً حتى ليتعدى معرفة الفرد بذكرى معينة إلى هويته نفسها، بحيث لا يعود يذكر من ماضيه شيئاً، وينسى اسمه وقد ينتحل لذلك إسماً وهوية جديدين. وهذا النسيان النفسي المنشأ يطلقون عليه إسم الأمنيزيا أو فقدان الذاكرة نفسي المنشأ psychogenic amnesia، تمييزاً له عن النسيان أو الأمنيزيا أو فقدان الذاكرة العضوي organic amnesia،

والثاني قد تستحدثه الإصابات في الدماغ فيتأثر بها المخ، أو يكون عرضاً لأمراض أو اضطرابات عضوية كما في التسمم الكحولي أو تصلب شرايين المخ، ويطلق عليه أحياناً إسم النسيان العضوي organic forgetfulness، ويتحصل من عجز الخلايا العصبية بالمخ عن رصد الخبرات وتسجيل المعلومات نتيجة ما يلحقها من تلف، ومن ثم تقع الأحداث في محيط المريض ويراها ويسمعها وكأنه لم ير ولم يسمع شيئاً. وأما في فقدان الذاكرة النفسي المنشأ فإنّ المخ يكون سليماً، إلاّ أنّ الخبرات التي يمر بها الشخص يكون لها وقعها الشديد عليه. ويستشعر أناه his ego منها التهديد، ويحس إزاءها بالقلق الشديد، فيلجأ إلى نسيان أمرها هروباً منها، كوسيلة دفاعية طلباً للأمن والأمان. ويفرق فرويد بين النسيان الباثولوجي أو المرضي pathological forgetting الذي نلحظه في حياتنا اليومية، ويتمثل في نسياننا لمواعيد مع الناس الذين لا نحبهم أو نتحاشاهم. أو في هفوة اللسان lapsus linguae، وسقطة الذاكرة lapsus

memoriae، وزلة القلم lapsus calami، والنسيان الذي هو فقد للذاكرة amnesia، ومن ثم يؤثر البعض أن يصفه بأنه نسيان مطلق absolute forgetfulness. والفرق بين النسيان في فقد الذاكرة العضوي وفقد الذاكرة نفسي المنشأ يكون في نوع النسيان، ففي الشلل العام مثلاً، وفي عته الشيخوخة، يكون النسيان جزئياً ويكون للتفاصيل، وفي الانتكاس المخي يكون للأحداث الماضية والحديثة، وفي الهذيان تتبقع الذاكرة ويتشتت التذكر، وفي إصابات الدماغ قد يعقبها نسيان نفسي المنشأ، خاصة إذا كان المصاب يخاف معاودة الخبرة المؤلمة أو المهددة، كما عند الجنود بعد المعارك والإصابة فيها. وأما في فقدان الذاكرة نفسي المنشأ، فإنّ النسيان يكون لموضوعات دون موضوعات، والمصاب به تكون له شخصية متميزة، فهو إستهوائي suggestible سهل التأثير عليه، وغير ناضج، وعندما يستعيد ذاكرته فإنّ ذلك قد يحدث فجأة، وقد يكون تذكره عندئذ تاماً. والبعض أحياناً يستعين بفقد الذاكرة نفسي المنشأ ليدعي أنه قد نسي ولا يذكر، هرباً من المسؤولية غالباً. وقد تبين من دراسة حالات التداعي بفقدان الذاكرة نفسي المنشأ في الجيش الأمريكي أنّ نحو ٤٣٪ من المتقدمين للعيادات النفسية بدعوى هذا الاضطراب هم من المدعين. وفقدان الذاكرة نفسي المنشأ له غالباً نمطان، فهو إما فقدان ذاكرة رجعي retrograde amnesia ، أو فقدان ذاكرة لاحق anterograde amnesia، والأول النسيان فيه للحوادث الماضية على الحادثة التي عجلت بظهور الاضطراب، فقد تسقط قنبلة بالقرب من جندي مستجد وتطيح به، ويضطرب للحادث فينسى كل ما وقع في الدقائق السابقة على سقوط القنبلة. وقد يحاول أحد الناس الانتحار شنقاً أو بالغاز، ونتيجة للاختناق يصاب بصدمة تنسيه ما حدث لأنه لا يريد أن يذكره، أو لأنّ تذكره يرعبه. وقد يعاني شخص من صدمة عاطفية تعصف به نفسياً، فينسى؛ أو قد يعاني من صراع عاطفي ممزق فيلجأ لفقدان الذاكرة. وفي فقدان الذاكرة اللاحق يشمل النسيان الحاضر والمستقبل دون الماضي، ويأتي النسيان

بالتدريج، فالملاكم مثلاً الذي يتلقى ضربة على رأسه قد يتأثر لها جهازه النفسي حتى لينسى نفسه وهو يلاكم، ويظل يلاكم رغم أنّ المباراة قد انتهت. وقد تصاب الطائرة فيهول ذلك على الطيار ويذهب تفكيره بدداً حتى لينسى نفسه ولا يتذكر أنّ عليه أن يقفز ويفتح الباراشوت. وهناك حالة لسيدة كانت تشكو فقدان الذاكرة اللاحق فكانت كلما همّت بقراءة كتاب لا تبارح الصفحة الأولى أبداً لأنها ما تنتهي من قراءتها حتى تنساها فتضطر أن تبدأ من جديد. وهناك نوع آخر من فقدان الذاكرة يسمى فقدان الذاكرة المحصور circumscribed amnesia، ويقتصر على فترة زمنية معينة كما في حالة إصابة الدماغ، فلا يذكر المريض بعد الشفاء ما حدث له وقت الصدمة والفترة التالية عليها، وربما يمتد ذلك إلى فترة قصيرة قبل الصدمة. وقد يرجع النسيان المحصور إلى الكبت ويتناول حوادث معينة، ويعرف لذلك باسم النسيان أو فقدان الذاكرة الانتقالي selective amnesia، مثلما يحدث في بعض حالات الهستيريا، ولأنه يستمر لفترة من حياة الفرد فقد يسمى فقدان ذاكرة لفترة epochal a.؛ أو لأنه يشمل حوادث مهمة معينة فقد يسمى فقدان ذاكرة حدثي episodic a.؛ أو لأنه يتضمن نسياناً محدوداً لذكريات أو تجربة معينة فقد يسمى فقدان ذاكرة لموضوع ما catathymic a.؛ أو لأنه قد يطول أمده ويستمر فقد يسمى فقدان ذاكرة مستمر continuous a.



مراجع:

- Aristotle: On Memory and Reminiscence.
- Plato: Das Dialogues.
- Ebbinghaus: Über das Gedachtnis.
- W. James: The Principles of Psychology.
- Rapport, D.: Emotions and Memory.



الباب السابع

علم النفس والتحليل النفسي والطب النفسي



- ١ -
الجهاز العصبي

الجهاز العصبي المركزي والطرفي. الخلية العصبية ومميزاتها. الاستجابة على المنبهات بالسيال العصبي. المخ والحبل الشوكي. النظام الهرمي. مهاد المخ. المهيد. العقد القاعدية واللوزة. فرس البحر. جذع المخ. القنطرة. المخيخ. الجهاز العصبي المستقل والحشوي والنامي واللاإرادي...



ترتبط دراسة السلوك بدراسة الجهاز العصبي nervous system المتحكم في كل الأنشطة البدنية والعقلية والنفسية، والذي يقوم بالتنسيق بين أعضاء الحس المختلفة والغدد وعضلات الجسم. ولعل أول ما يسترعي الانتباه في هذا الجهاز هو تكوين الخلية العصبية فيه وتميزها عن بقية خلايا الجسم، بما لها من زوائد تسمى الشجيرات dendrites تمتد منها لييفات عصبية neurofibrillae يمكن تنبيهها في أي نقطة منها. ويوجد بالإنسان نحو من ستين نوعاً من الخلايا العصبية، تختلف في وظائفها ومن ثم تتباين أحجامها وأشكالها وعدد شجيراتها. ولكل خلية سيتوبلازم cytoplasm به حبيبات يمكن أن يلحقها الأذى فيضطرب تكاملها بتأثير عوامل مثل التعب أو التعرض للانسمام. وتحاط الخلايا العصبية بخلايا غرائية تختلف في الشكل والحجم ويرتبط نشاطها بالعمليات العقلية والنفسية والبدنية، ومن مهامها تهيئة الخلايا العصبية للقيام بدورها. والخلية العصبية يحيط بها سوائل تخللية تختلف درجة تركيزها الأيوني عن السوائل داخل كل خلية. وعدم التوازن بين نوعي السوائل هو الذي يخلق الجهد الكهربي، ويقال للخلية في حالة السكون إنها في حالة استقطاب. وتتغير هذه الحالة بالتأثير من داخل الخلية أو خارجها، فتتغير بالتبعية قابليتها للاستثارة، وتنتقل التغيرات الكهروكيميائية إلى الخلايا المجاورة حاملة المعلومات إلى الجهاز العصبي، ويسمى الاضطراب الناشئ بالسيال

العصبي nerve impulse، ولا ينتقل هذا السيال في كل الأعصاب بالمعدل نفسه، وتعني الاستجابة العالية لبعض المنبهات معدلاً أكبر من انتشار السيال العصبي. وتعمل التأثيرات القلوية في السوائل التخللية على زيادة قابليتها للاستثارة، بينما يكف التأثير الحامضي من نشاطها، وكذلك يتأثر هذا النشاط بإمدادات الأوكسيجين إلى الخلية، فإذا امتنع الأوكسيجين توقفت القابلية للاستثارة، وتزيد هذه القابلية بتأثير العقاقير كالكافيين مثلاً، عن طريق خفض عتبة الاستثارة، وكذلك فإنّ الستركنين يزيد هذه القابلية عن طريق كف تأثير المواد الكافة لناقلات الاستثارة. ويتكون بالخلية العصبية عند تنبيهها مركب الأستيل كولين، وكذلك النورابنجرين، وكلاهما من ناقلي الاستثارة ويعارضان بعضهما فيكف كل منهما تأثير الآخر، ويعني تنبيه الخلية بدء الومضات العصبية.

ويتكون الجهاز العصبي nervous system (N.S.) من الجهاز العصبي المركزي central n.s. (CN.S.)، والجهاز العصبي الطرفي، وكذلك يتكون الجهاز العصبي المركزي من المخ، والحبل الشوكي، بينما يتكون الجهاز العصبي الطرفي peripheral n.s. من الأعصاب الطرفية، وتشمل أعصاب المخ، والأعصاب الشوكية؛ ومنه أيضاً الجهاز العصبي الذاتي automatic n.s. أو المستقل.

والمخ brain واللحاء الشوكي cerebral cortex يتكونان من أغشية، وتوقف وصول الدم إلى المخ لمدة تزيد على الخمس ثوان يُفقد الإنسان الوعي، فإذا زادت المدة عن عشرين ثانية يحدث التلف للخلايا. ومقدم المخ cerebrum عبارة عن نصفين أيمن وأيسر، وكل نصف مسؤول عن جانب من الجسم، إلاّ أنّ أحدهما يتسيَّد على الآخر. وينقسم لحاء المخ cortex أو سطحه إلى مناطق لها تنظيماتها، فالمنطقة منه التي في الفص الأمامي قبل الشق المركزي مباشرة تتصل بالتنبيه الحركي للعضلات وتسمى لذلك المنطقة الحركية، ولها ألياف عصبية يتكون منها نظام هرمي يسمى المسار الهرمي pyramidal tract، والمسار الذي يمتد من كل نصف يتقاطع

مع بعضه أسفل المخ وعند أقصى الحبل الشوكي spiral cord، وينتج عن ذلك أنّ تنبيه المنطقة الحركية للنصف الأيسر يؤثر على الجانب الأيمن من الجسم، وتنبيه المنطقة الحركية للنصف الأيسر يؤثر على الجانب الأيسر من الجسم، وسيطرة النظام الهرمي على الحركة في الجسم تشاركه فيها ألياف عصبية لا تنشأ من الخلايا الهرمية وتتبع ما يسمى النظام فوق الهرمي. ومن وظائف اللحاء إستقبال الاحساسات في الفص الجداري من المخ والذي يقع مباشرة خلف الشق المركزي حيث توجد منطقة الإحساس، وتتعلق بالألياف العصبية التي توصلها بأحاسيس اللمس والحرارة أساساً، وبالتنبيهات من العضلات الخاصة بوضع الجسم وتوازنه. وللإبصار والسمع مناطق من المخ تختصان بهما، وتوجد منطقة السمع في الفص الصدغي تحت المنطقة الحسية، بينما توجد منطقة الإبصار في الفص القفوي في نهاية مؤخرة كل من نصفي المخ. ويطلق على هذه المناطق الحسية الجسمية إسم مناطق الإحساس الأولي، وإصابة هذه المناطق بأي تلف يعوق وظائفها إلى حد كبير. وتوجد على تخومها مناطق حسية ثانوية تنتشر إليها تنبيهات المناطق الحسية، ويؤدي تلفها إلى خفض قدرة المخ على تحليل ما يصله من عناصر الخبرات الحسية. وللفص الصدغي من المخ، وكذلك التلفيف الزاوي أهمية خاصة بالنسبة للوظائف العقلية التي ينهض بها اللحاء، وعند حدوث تلف بهما لا يستطيع الشخص المصاب أن يفهم مما يقرأه أو يسمعه من كلمات أفكاراً مترابطة، وتنبيههما يمكن أن يستحدث عنده أفكاراً وهلاوس شديدة التعقيد، وتأتيه من ذلك ذكريات. وقد ثبت من الاختبارات النفسية أنّ الفص الأمامي أو المقدمي من المخ له السيطرة على الكثير من الوظائف الخاضعة للجهاز العصبي المركزي عن طريق نقل التنبيهات إلى المهاد، وإصابة هذا الفص يؤدي إلى تلف الكثير من العمليات العقلية، كتشتت الأفكار، وعدم التركيز، والعجز عن التجريد، وتغير القدرة على التعلم والتذكر، فتتغير الأنشطة والسلوك والانفعالات. وتؤدي الجراحات النفسية

psychosurgeries التي قد تجري بالمنطقة الأمامية قبل الجبهية من المخ إلى شفاء كثير من المرضى باضطرابات نفسية وعقلية كأنواع الخوافات والهوس، غير أنّ هذه الجراحات قد تكون لها عواقب على تكوين الشخصية، كأن يفقد المريض بعدها القدرة على المبادأة ويعجز عن التركيز وتقل ضوابطه الأخلاقية وتكثر تقلباته المزاجية.

ومهاد المخ thalamus هو الامتداد من الأجزاء الظهرية من المخ المتوسط، ويتكون من أنوية منفصلة تشكل أجزاء من النظام السمعي، وتنقل المعلومات البصرية والإشارات من الجلد والعضلات. وعمل المهاد هو تقوية هذه الواردات وربطها وتصنيفها والتنسيق بينها أو كف بعضها في المرحلة قبل اللحائية.

والمنطقة أسفل المهاد تسمى المهيد hypothalamus، وهي منطقة صغيرة إلاّ أنها مهمة جداً، لاختصاصها بضبط الوظائف اللاإرادية، كتنظيم الضغط، وتوازن الماء، ودرجة حرارة الجسم، ويشمل تأثيرها الجهاز العصبي المركزي كله والغدة النخامية، وتضم بها مناطق تتصل بحركة النوم واليقظة والجوانب السلوكية الانفعالية المتعلقة بالألم واللذة والثواب والعقاب.

ومن المناطق تحت اللحاء المخي ما يسمى بالعقد القاعدية basal ganglia، وتسيطر على منطقة الحركة في اللحاء من خلال النظام الهرمي الذي هي جزء منه. واضطراب وظائفها قد يثير لذلك المنطقة الحركية كما في الشلل الرعاش وأنواع الخوريا أو الرقاص. ومن أجزائها اللوزة amygdala وهي أنوية في كل فص من الفصوص الصدغية من المخ، وتختص بربط التنبيهات الشمية بغيرها من التنبيهات الواردة من أجزاء المخ المختلفة، وتنبيه الجزء المناسب منها قد يؤدي إلى زيادة أو نقص ضربات القلب أو حركة المعدة والأمعاء أو الإخراج والتبول أو الشهوة الجنسية أو التنفس أو عملية الولادة، ومن ذلك يبدو أنّ اللوزة من اختصاصها ضبط النمط الكلي للسلوك في المواقف المختلفة.

ومن الأنماط المعدلة للحاء المخ ما يسمى فرس البحر hippocampus،

واتصاله بكل أجزاء الجهاز الطرفي تقريباً. ويحدث تنبيه حركات رجعية أو توترية لاإرادية وإنفعالات غضب، ويؤثر في الانتباه والوعي وفي التعلم، وهو مصدر من مصادر المهيد الرئيسية من حيث أنه يربط بين مختلف الإشارات الحسية الواردة إليه بالشكل الذي يؤدي بالمهيد إلى إصدار الاستجابة المناسبة.

ويطلق على الجزء الخلفي من المخ جذع المخ brain stem، ويشمل المخ البيني والمخ المتوسط والمخ الخلفي. ويتكون المخ البني من العقد القاعدية والمهاد والمهيد. والمخ المتوسط إمتداد للجزء العلوي من القنطرة، ويختص الجزء الأدنى منه بنقل الإشارات السمعية، والأوسط يسمى التكوين الشبكي، ويحتوي الأعلى على ألياف عصبية من النظام الهرمي الحركي. ويقع المخ الخلفي تحت المخ الأوسط حيث القنطرة pons، وهي تسمى كذلك لأنها الجسر الذي يصل المخ المتوسط بالمخ الخلفي، ويماثل تنظيمها تنظيم النخاع المستطيل وهو بداية أعلى الحبل الشوكي، حيث يندمج جذع المخ به. وأما المخيخ cerebellum فيقع تحت النتوء الخلفي للمخ الأمامي، ويرتبط بجذع المخ من الخلف ومن أعلى، وهو أكبر جزء من المخ الخلفي، وينقسم إلى نصفين كبيرين، ويعمل كمنسق للاستجابات المنعكسة واستجابات الجهاز العصبي الذاتي، والتلف الذي يلحقه يؤثر على الحركات المعقدة ويعوقها.

ويمتد الحبل الشوكي spinal cord من تحت جذع المخ، ويبلغ طوله ٤٥ سم، وينتهي عند الفقرة القطنية، ويتصل به واحد وثلاثون زوجاً من الأعصاب الشوكية، وتنقل جذوره العصبية الأمامية التنبيهات العصبية المحركة، بينما تنقل الجذور الخلفية التنبيهات العصبية الحسية.

وتتوزع الأعصاب الطرفية في كل الجسم وتشكل الجهاز العصبي الطرفي، وتتكون من ألياف عصبية تحمل التنبيهات من أعضاء الجسم إلى الجهاز العصبي المركزي - وهي الألياف الصاعدة afferent، وتسمى أيضاً الألياف الحسية؛ وبعضها يحمل التنبيهات من الجهاز العصبي المركزي إلى مختلف

أعضاء الجسم وتسمى الألياف الهابطة efferent.

ويوجد بالإنسان ٤٣ زوجاً من الأعصاب تؤدي إلى الجهاز العصبي المركزي، منها ١٢ زوجاً تتصل بالمخ وتسمى الأعصاب المخية الشوكية cerebrospinal nerves، والباقي هو ٣١ زوجاً تتصل بالحبل الشوكي. ويعطى كل عصب مخي رقماً بحسب نقطة اتصاله بالمخ، ولكل عصب إسم بحسب وظيفته، فالعصب المخي الأول وهو العصب الشمِّي هو الذي يتصل بالمخ الأمامي، وفي حين أنّ الأحد عشر عصباً الأخرى تتصل بمناطق مختلفة من جذع المخ، والعصب المخي الثاني هو عصب الإبصار وينشأ من شبكية العين، ويمتد من كلا العينين ويلتقيان عند المخ المتوسط، والعصب المخي الثالث هو المحرك لمعظم عضلات العين، والرابع هو أصغر الأعصاب المخية ويمتد من المخ المتوسط إلى عضلة تساعد على حركة العين، والخامس هو أكبر الأعصاب المخية وله ثلاثة رؤوس، وهو حساس لفروة الرأس والوجه والأسنان، ومحرك لعضلات المضغ، وهكذا. وتختلف الأعصاب المخية عن الأعصاب الشوكية، فبعضها حركي والبعض حسي، في حين أنّ الأعصاب الشوكية كلها حسية حركية. وبينما تؤدي الألياف العصبية الحسية الحشوية أو الجسمية من الأعضاء المختلفة إلى الجهاز العصبي المركزي، وتؤدي الألياف الحركية الجسمية التي تسيطر على الحركات الإرادية مباشرة من الجهاز العصبي المركزي إلى الأعضاء التي تنبهها، فإنّ الألياف العصبية الحركية الحشوية التي تسيطر على الاستجابات اللاإرادية لا تؤدي مباشرة إلى الأعضاء التي تنبهها وإنما تؤدي أولاً من الجهاز العصبي المركزي إلى العقد العصبية خارج الجهاز العصبي المركزي، فالألياف بعد العقدية التي تؤدي إلى الأعضاء الحشوية عن طريق الأعصاب الشوكية. وتشكل الألياف قبل العقدية والألياف بعد العقدية مع العقد العصبية ذاتها ما يسمى بالجهاز العصبي الذاتي أو المستقل، وهو مستقل autonomous لأنّ عقده تقع خارج الجهاز العصبي المركزي، ويسمى أيضاً الجهاز الحشوي visceral

system، والجهاز العصبي النامي vegetative nervous s. والجهاز العصبي اللاإرادي involuntary n. s. لأنّ الأعضاء من الجسم التي تعمل تحت سيطرته هي الأحشاء، ومعظمها لا يخضع في عمله للإرادة، وبالإضافة إلى سيطرته على الوظائف الحشوية فإنّ هذا الجهاز يساعد في السيطرة على ضغط الدم الشرياني، وإفرازات المعدة، وحركة الأمعاء، ودرجة حرارة الجسم، وإخراج البول والعرق وغير ذلك، وينقسم إلى المجموعتين السمبثاوية sympathetic، والباراسمبثاوية parasympathetic، وبينما تعمل الألياف العصبية السمبثاوية مثلاً على زيادة سرعة ضربات القلب، فإنّ الألياف الباراسمبثاوية تضادها في الوظيفة وتعمل على إبطاء ضربات القلب، ومع ذلك فإنّ التنبيه السمبثاوي قد يكون أحياناً إستثارياً، وقد يكون كافاً، كما أنّ الباراسمبثاوي قد يكون إستثارياً، وأحياناً يكون كافاً، إلاّ أنّ معظم الأعضاء تكون في الأساس تحت سيطرة أيهما بحيث لا يظهر فيها تعارض تأثيرهما.

❖ ❖ ❖

مراجع:

Field, J. and Magown, H. W. and – Hall, V. E.: Handbook of Psychology.

Pribram, K. H.: Brain and Behavior.– .(Vols 1 - 4).

Crosby, E. C. and Humphry, T. and – Lauer, E. W.: Correlative Anatomy of the Nervous System.



– ٢ –
العصاب النفسي

الفرق بين العصاب والذهان. تصنيف كريبلين. معنى العصاب. أنواع من الأعصبة. الشخصية العصابية. علاج العصاب...



إختلف العلماء قديماً حول إسم العصاب neurosis، والاسم كما أطلقه وليام كالين Cullen (١٧٨٠) يعني الأعراض التي تشكل إضطراباً عقلياً، قيل

مصـــدره عـلـــة عضــويــة بــالأعصــاب أو بالجهاز العصبي المركزي، إلاّ أنّ عالماً آخـر هـو فـوختـر سـليـبيـن (١٨٤٥) أطلق عـلـى الأعـراض إسـم الـذهـان psychosis باعتبار أنها أعراض ذهنية مرضية، في حين أنّ المرض المسبب لها هو مرض الأعصـاب أو الـعـصـاب. وعـنـدمـا قـام كـريـبـلـيـن Kreapelin (١٨٥٦-١٩٢٦) بتصنيفه المشهور للاضطرابات العقلية ميَّز بين ما هو عقلي منها وما هو نفسي، وجعل الذهان إضطراباً عقلياً، والعصاب إضطراباً نفسياً، وميزه باسم العصاب النفسي psychoneurosis، ليؤكد على أنه مرض ليس له أصل عضوي، وأنّ منشأه نفسي خالص، ثم لم تعد ثمة حاجة حالية لنؤكد هذه الصفة في العصاب النفسي، ويكتفى الآن باسم العصاب.

والعصاب كما هو مختلَف بشأنه في الاسم فإنه مختلَف بشأنه أيضاً في تعليله، فهناك نظريات تجعل من أسبابه عوامل وراثية أو تكوينية، وهناك نظريات أخرى تتسبب العصـاب كـاضطراب نفسي إلـى خبـرات المريض، وخـاصـة هـذه الـخبـرات التي تكون له في سنوات عمره الباكرة وقت أن كـانت شـخصـيتـه فـي دور الـتـكـويـن، فـتشـكـلـهـا بـاتـجـاهـات ومـيـول خـاصـة، ويستجيب لهذه الخبرات بسلوكيات يراها المـحيطون به غريبـة، وتتأكد معه كلما تـقـدم في الـعـمـر، وتـظـهـر جـلـيـة من بـعـد بسبب مواقف معينة وصعوبات في حياته الـحـاضـرة، أو أنهـا تـظـهـر فيـه عـلـى شكل الأعـراض العـصـابيـة، يتجاوب بهـا مـع مـا يأتي من خبرات مستقبلة تحاكي صعوبتها صعوبة المواقف الحاضرة.

وهـنـاك نـظـريـة ثـالـثـة لا تـتـنـاول العـصـاب فـي مـنشـئـه أو تعليله بقـدر مـا تتنـاولـه توصيفـاً، بـاعتبـاره إستجابـة سوء تـوافـق، ومـظـهـراً لـصـراعـات داخـلـيـة، أو صـراعـات بين الشخص والبيئة. وأخـيـراً هـنـاك نـظـريـات تـرى فـي الـعـصـاب حـالـة نـفسيـة غيـر سـويـة، يـتـهـيـأ بـهـا الـشـخـص بأعراض تشبع فيه رغبات ملحة لاشعورية، إلاّ أنها أعراض شاذة أو رمزية، أو أنها رغم شذوذها فهي دفاعه ضد ظهور أو إشباع هذه الرغبات.

ولـقـد قـيـل إنّ الـفـصـل بـيـن الـذهـان والعصاب إعتساف لأنه لا فرق بينهما في الـمـنشـأ أو الأعـراض، سـوى أنّ الـعـصـاب

ذهان خفيف، بينما الذهان عصاب شديد، ويسود الاتجاه إلى التمييز بينهما بالنظر إلى أنّ العصاب نفسي دائماً، وكان لذلك يوصف بأنه العصاب النفسي، والعوامل الحاسمة فيه عوامل نفسية، بينما الذهان يغلب عليه الطابع العضوي، فلئن كانت العوامل النفسية تعلل الكثير من محتوياته وأعراضه، إلاّ أنها لا تكفي لتعليل حدوثه هو نفسه كمرض عقلي يرجع غالباً لخلل عضوي أو وظيفي في الدماغ، كما أنّ هناك بالإضافة إلى ما سبق عوامل وراثية أو بنيوية تعتبر من العوامل الرئيسية في الإصابة بالمرض، وتجعل المريض به مستعداً لأن يتداعى بالمرض.

وهناك اختلافات كثيرة بين المريض بالعصاب والمريض بالذهان، وشخصية الأول تكون أكثر تماسكاً، ذلك لأنّ العصاب لا يستحدث إنفراطاً أو تفككاً في الشخصية كالانفراط أو التفكك الذي يستحدثه الذهان. والقدرة على اختبار الواقع عند العصابي neurotic سليمة، ولذلك فهو لا يهلوس ولا يهذي كالمذهون psychotic، وليس عالمه ذاتياً مثله، ولغته مفهومة بخلاف لغة المذهون، على أنّ أهم ما يميزه هو قدرته على استيعاب مرضه، وأن يستبصر حالته ويعرف مشكلته، ويعي أنه يحتاج للعلاج، على عكس المذهون تماماً.

والتصنيف الشائع للعصاب يقسمه إلى حالات من القلق، واستجابات إنفصالية، وأخرى تحويلية، ورابعة رهابية، ثم يضيف إلى كل ذلك تقسيماً خامساً يندرج تحت اضطرابات الشخصية.

فأما حالات القلق anxiety states فأهم ما يميزها بخلاف أعراض العصاب الأخرى، أنّ المريض بها تأتيه نوبات حادة من القلق، يبدي فيها توجساً وتطيراً وانقباضاً وتخوفاً من لا شيء، ويحاول أن يبرر ذلك فينسبه لأشياء من هنا ومن هناك ولكنه ليس من شيء واحد بالذات. وهو في النوبة يرتعش ويعرق، ويدق قلبه بشدة، ويزيد نبضه، ويضطرب تنفسه وهضمه، وتزيد عنده الحموضة المعدية، ويصاب بالصداع، وقد يعتقد لهذا السبب أنه مريض عضوي، وقد يمرض فعلاً بمرض عضوي كضغط الدم المرتفع وقرحة المعدة أو القولون.

والاستجابات الانفصالية dissociative reactions أعراضها شعورية وعقلية، كأن تزدوج شخصية المريض (إزدواج الشخصية multiple personality)، أو يتوه عن نفسه ويشرد جائلاً دون سبب (الهجاج) fugue ، أو يتجول أثناء النوم (التجوال الليلي) somnambulism.

والاستجابات التحويلية convertive reactions تتناول النواحي الجسمية، فتكون الأعراض كأنّ المريض مصاب بمرض عضوي فعلاً، فقد لا يشعر بذراعه وكأنما أصيب بالشلل، إلاّ أنّ الشلل العصابي أو الهستيري يتناول جزءاً فقط من المنطقة التشريحية التي يعصبها العصب المفروض أنّ الشلل تناوله، وهناك فرق آخر وهو أنّ المريض بالاستجابة التحولية قد يشكو مثلاً خدراً في اليد لبعض الوقت، فإذا أوحى له أحد من المحيطين به بأن يكون الخدر في مكان آخر، فإنّ الخدر ينتقل من اليد إلى الساق مثلاً بتأثير هذه الإيحاء. وأيضاً فإنّ المريض بهذا النوع من الاستجابة العصابية لا يبدو عليه الاهتمام بالعجز الذي يستحدثه عنده العصاب، ويطلق على هذه الظاهرة إسم اللامبالاة الهستيرية la belle indifference.

والاستجابات الرهابية phobic reactions تتميز بمخاوف مرضية شديدة من موضوعات لا تستوجب الخوف البتة، وتبدأ نتيجة خبرة مؤلمة أثارت الخوف الشديد، ويغلب أن يكون ذلك في الطفولة، وتكبت الخبرة وينساها الشخص، إلاّ أنّ آثارها تمتد إلى الخوف من موضوعات شبيهة في مراحل العمر اللاحقة. ومن الأمثلة لذلك الخوف من الأماكن الضيقة claustrophobia، وهو من مخلفات تجربة سابقة، كما في هذه الحالة لشاب كان يعاني من هذا الخوف، وتبين أنه وهو صغير جرى وراءه كلب إلى حارة مسدودة، ولما لم يجد طريقة للهرب إستند إلى الحائط والكلب ينبح، وهو يصرخ مدة طويلة، إلى أن سمعه بعض الناس وهبوا لإنقاذه، إلاّ أنّ التجربة كانت مؤلمة بحث تركت أثرها فيه، فلما تذكر الحادثة وخرجت المادة المكبوتة من اللاشعور إلى الشعور بالعلاج النفسي تدنت المخاوف إلى أن اضمحلت تماماً.

وأما الشخصية العصابية psychoneurotic personality فهي التي تعاني من اضطرابات عصابية لم ترق إلى حد الأعراض المرضية، وبدلاً من أن نتحدث عن أعراض فإننا نتحدث هنا عن خلق عصابي neurotic character، وصاحب الخلق العصابي يسهل إستهواؤه والإيحاء له، ويميل إلى المبالغة. وينفعل فيبالغ في الانفعالات، ويصنع من الحبة قبة، ويميل إلى الاستعراض، وإلى أن يمسرح شكاواه ويعرضها بتمثيل، ليلفت النظر إليه، أو يستدر عطف الناس عليه، وطريقته التي يتوسل بها طريقة تناسب الأطفال ويتندر بها الكبار. وصاحب الشخصية العصابية من هذا النوع قد نصف شخصيته بأنها هستيرية hysterical، ومثله إذا تحول الخلق العصابي الهستيري عنده إلى أعراض هستيرية نقول إنه مصاب بعصاب الهستيريا، واستجاباته إما منفصلة أو تحويلية. ولربما يظهر الخلق العصابي بمظهر آخر فيكون صاحب الشخصية العصابية شديد التدقيق في الصغيرة والكبيرة، حرفياً متزمتاً ومتصلباً، شديد الحذر والوسوسة، وعندئذ نقول إنّ شخصيته عصابية موسوسة obsessive، فإذا تداعى بالمرض وتحول خلقه العصابي إلى أعراض مرضية كان مرضه هو عصاب الوسواس obsession، فتتسلط عليه فكرة تلازمه، أو فعل يتكرر معه حتى وإن لم يكن هناك ما يستدعيه أو يستلزمه.

وعلاج العصاب منه علاج إجتماعي بتغيير وسط المريض أو وظيفته، وبإعطائه إجازة والنصح له بالسفر، ومنه العلاج الفسيولوجي بالراحة والنوم والتغذية كما في عصاب المعركة combat n. عند الجنود المتعبين في ساحات القتال، ومنه العلاج بالعقاقير بإعطاء المهدئات والمنشطات النفسية، غير أنّ المريض قد يعتادها ويزيد الجرعة منها باستمرار بلا نتيجة. وأهم أنواع العلاج هو العلاج النفسي، عن طريق التحليل النفسي، لمساعدة المريض على تذكر المكبوت من خبراته المؤلمة فيزول أثرها. وقد يستعين المحلل النفسي بالتنويم hypnosis لتسهيل استدعاء

الذكريات. وقد يتشارك المريض وغيره من المرضى مثله في جلسات علاج جماعي group therapy أو تمثيليات psychodrama موضوعاتها نفسية، ويقوم المرضى بتمثيل مشاكلهم وخبراتهم المؤلمة فيها، ويتطارحون الحل، ويتبادلون التعاطف، ويرون أنفسهم في بعضهم البعض، ويسهل تفريغ إنفعالاتهم. ويفيد هذا العلاج كثيراً إلاّ أنّ النتيجة هي دائماً النتيجة القديمة: إنّ ثلث المرضى المتقدمين للعلاج يشفون تماماً، وثلث ثان تتحسن أحوالهم بالعلاج، والثلث الباقي لا يشفون ولا يتقدمون.



مراجع:

Ackernecht, E. H.: A Short History of - Psychiatry.

Munroe, R. L.: Schools of - Psychoanalytic Thought.

Campbell, R. J.: Psychiatric - Dictionary.

Wolpe, J.: Experimental Neurosis as - Learned Behavior.



- ٣ -
الذهان

أعراض الذهان. الذهان هو الجنون. الفرق بين الذهان والعصاب. نظريات الذهان وعلاجه، الذهان العضوي والوظيفي. مدرسة الأطباء ومدرسة علماء النفس. الفصام والبارانويا. مدرسة التحليل النفسي. شخصيات مشهورة مصابة بالذهان. الذهان عند الأطفال...



إصطلاح الذهان psychosis غير شائع، والمألوف هو الجنون madness، والقانونيون عندما يقصدون إلى الذهان يطلقون عليه إسم الجنون. وعندما يقال إنّ مريضاً باضطراب نفسي عقلي قد أدخل المستشفى النفسي للعلاج فإنّ الغالب أنّ مرضه هو الذهان. والذهان هو فرع الاضطرابات النفسية العقلية الخطيرة، بينما العصاب neurosis هو فرع الاضطرابات الخفيفة نسبياً. وفي

الذهان يشمل الاضطراب التفكير والوجدان والسلوك، فينفصل التفكير والوجدان عن الواقع، ويشذ السلوك كثيراً، وتكون هناك هذاءات delusions، أي أفكار غريبة تخطر على عقل المريض ولا تملك إزاءها إلاّ أن تقول إنه مجنون، وهلوسات hallucinations، أي أخيلة، فيتوهم أنه يرى أو يسمع أشياء لا وجود لها في الواقع. وتضطرب لغة المذهون نتيجة التداعي الفكري عنده، وغلبة اللاشعور على الشعور، حتى ليعيش في عالمه الخاص كأنه الأحلام، ويتصدع الوجدان فتتراوح المذهون psychotic الحالات الانفعالية التي لا صلة لها بالواقع ولا بما يقول. ولا يدري أنه مجنون، وذلك عكس ما يكون عند العصابي neurotic، فالعصابي يدري بمشكلته ويعرف أنه يتصرف بغرابة، فقد يدخل مصعداً مثلاً ويكون مريضاً بعصاب الخوف من الأماكن الضيقة فينتابه عرق غزير ويصفر وجهه ويستبد به القلق والتوتر، إلاّ أنّ شخصيته تكون متماسكة، وكأنّ العصاب يصيب جزءاً من الشخصية، في حين أنّ الذهان يصيب الشخصية كلها ويعصف بكل مكوناتها.

والذهان ليس منه التخلف العقلي mental retardation ، حيث الأخير قصور في الذكاء يجعل متخلف العقل دون التوافق مع الواقع، وليست له أهلية التعامل معه، ولذلك قد لا يُحاسَب قانوناً إذا أخطأ، وخطؤه ليس عن عمد، وهو لا يتصرف بعنف، وأما المذهون فقد يأتي تصرفات عنيفة تصادمه بالقانون، وقد يقبض عليه ويحاكم، ويسترشد بعالم نفسي في محاكمته لتحديد مسؤوليته الجنائية، إلاّ أنه ليس مسؤولاً جنائياً عما يصدر عنه، والتوصية التي يصدرها عالم النفس الجنائي بصدده هي إيداعه إحدى المصحات العقلية.

وللذهان ثلاث نظريات يفسر بها، تذهب الأولى إلى رده إلى أسباب عضوية وراثية أو تكوينية، أو قد يرجع إلى تلف يصيب المخ وينتج عنه الشذوذ الذهاني الذي يكون عليه سلوك المذهون؛ وتذهب الثانية إلى إرجاع الذهان إلى المؤثرات الضاغطة من الخبرات التي يدخلها الشخص، وخاصة خلال سنوات حياته الأولى، والتي تنحرف بتفكيره ووجدانه

إنحرافاً يستمر معه ويستجيب به لمختلف المواقف، وينطبع به سلوكه؛ والنظرية الثالثة تجمع بين النظريتين السابقتين وتقول بالأسباب العضوية أو الوراثية التكوينية، وكذلك بالأسباب النفسية أو الاجتماعية النفسية، وتوصف لذلك بأنها نظرية متكاملة، أو نظرية تقوم على تعددية الأسباب، وتكامل بين كل الأسباب، عضوية واجتماعية ونفسية. غير أنه في بعض حالات الذهان تكون الأسباب العضوية واضحة، كأن يترتب الذهان على ورم بالمخ، أو على التسمم مثلاً، وعندئذ نصف هذا النوع من الذهان بأنه ذهان عضوي organic psychosis. وفي حالات أخرى، وهي الحالات التي نعثر عليها بكثرة لا تكون الأسباب العضوية قائمة، مثلما في الفصام، وهو اضطراب من الشيوع حتى أننا لنلتقي بالكثيرين من المفصومين في حياتنا الخاصة والعامة. ولم تعرف أسباب الفصام العضوية حتى الآن معرفة يقينية، ولذلك لا نقول إنه ذهان عضوي وإنما نطلق على هذا النوع إسم الذهان الوظيفي functional psychosis، أي الذي تسوء فيه الوظيفة ولا نجد لهذا السوء فيها ما يبرره عضوياً، فالعقل مثلاً يتشوش ويتعطل توجهه، ويثرثر المريض بكلام غير مترابط، وانفعالاته لا يتحكم فيها، وليس لها أي معنى أو داع، ولا يتبين أنّ هناك تلفاً في تركيب المخ يتسبب عنه كل ما سبق، فنقول عندئذ إنّ الاضطراب يتناول الوظيفة ويقتصر عليها، ولعله لهذا السبب يفضل ألا نطلق عليه إسم «الذهان» في هذه الحالة، حيث أنّ الاسم يرتبط بتلف عضوي أكيد كأي من الأمراض العضوية التي تكون لها أسماء مشابهة، والأولى أن نقول إنها استجابة ذهانية psychotic reaction، فعندما يتعلق الأمر بسوء وظيفة يكون من الأنسب أن نطلق على ذلك إسم إستجابة.

وتتبع هذه النظريات مدارس في العلاج، فالعلماء الذين تخرجوا من كليات الطب وكانت تخصصاتهم في الأعصاب، يعتبرون كل أنواع الذهان أمراضاً عضوية لها أسبابها العضوية، كأي من الأمراض التي تلحق بالجهاز العصبي المركزي، وتوصف بأنها أمراض أو اضطرابات عقلية mental disorders،

العضو المصاب فيها هو العقل أو بالأحرى المخ. والعلماء المتخصصون في علم النفس، والذين لهم ثقافات إنسانية، يعدون أغلب الذهانات إضطرابات وظيفية تتسبب فيها أساساً الميول النفسية والوجدانية وتراكيب الشخصية، ولذلك فإنّ هذه الميول ترتبط غالباً بأنماط جسمية وصفات وراثية، فمثلاً يربط كريتشمر Kretschmer (١٨٨٩-١٩٦٤) بين نمط الجسم النحيف والقابلية للإصابة بالفصام، ونمط الجسم البدين والميل للإصابة بذهان الهوس الاكتئاب. وهناك ما يثبت أنّ هذه الأنماط والصفات وراثية، وخاصة ما يتصل من بحوث بالتوائم، فحينما يكون أحد التوائم مذهوناً يكون الآخر مذهوناً أيضاً. ولما كانت للبيئة أيضاً تأثيراتها على سمات الشخصية وتشكيلها وميولها فإنه من الصعب أن نميز بين ما يخص الوراثة وبين ما يخص البيئة من هذه التأثيرات.

وهناك من العلماء من لا يبحث فيما يمكن أن يكون للوراثة أو للبيئة من آثار على الشخصية والصحة النفسية، ولكنه يتوجه ببحوثه إتجاهات أخرى فيركز على طبيعة العمليات النفسية والعقلية والوجدانية للمذهونين، ولا يهتم إلاّ بتبين ما يميز الاستجابات الذهانية عن سواها، وماهية الهلوسات الذهانية عن الهلوسات غير الذهانية، والفارق بين الذهان والعصاب. وهذا الجانب من الدراسات يطلقون عليه إسم الظاهراتية phenomenology، أي أنه العلم الذي يهتم بأحوال المذهون الظاهرة، أو بظواهر المرض عنده. ولما كانت الظاهراتية فلسفة أكثر منها مدرسة علمية فإنّ هذا الاتجاه قد تأتّى أصلاً من الدراسات الوجودية والظاهراتية على الإنسان، ويرتبط بفلسفات مارتن هايدجر، ولودفيج بنزفانجر، وميدارد بوس، وآخرين ويستعين بتحليل أحوال المرضى باعتبارها «أسلوب حياة» أو «نمط من الوجود في العالم».

وهناك نظريات يقول بها علماء يذهبون إلى تقويم الأعراض والاتجاهات الذهانية في ضوء تكيف الشخص مع الضغوط النفسية والبيئية، ومن هؤلاء علماء التحليل النفسي، ومن ثم كان

اتصاف هذه النظريات بالدينامية. وتكشف الأعراض الذهانية بمقتضى هذه النظريات عن فشل أصحابها في التكيف، واقتناعهم بنشاط نفسي محدود لقاء أن يضمنوا أنهم يعيشون في أمان نفسي وإن كلفهم ذلك أن يعتزلوا الناس، وأن يتوقف تفاعلهم مع مجتمعاتهم، وبالتالي إطراد ترقّيهم ونموهم من كل النواحي، فمثلاً قد تعطي الهذاءات الشخص المذهون، وخاصة في مرض الفصام، إنطباعاً نفسياً بأنه سليم ومعافى، وأنّ المرض والاضطراب في العالم من حوله، وهو يشعر بتوحده وهويته المتميزة في مقابل اللاهوية للعالم والتفسخ الذي يراه فيه، تصوراً وتوهماً لا عن حقيقة. ويعطيه هذا الانطباع الهذائي للعالم ولنفسه إحساساً بالأمان يجعله في سلام مع أعراضه الهذائية، ولا سلام مع العالم من حوله حيث تباعد تصرفاته الغريبة بينه وبين الناس، وتسجنه عنهم داخل أوهامه وأخاليطه. ومن شأن هذه النظريات الدينامية أن تبرز الأنا الضعيف المتهافت في التداعي بالمرض، وبسببه ينكص المريض إلى أنماط من السلوك الطفولي وتنجزئ وتتوزع، وتنقسم عليه شخصيته.

وبعض النظريات تتوجه في تفسير الذهان وجهة تفاعلية وتركز على علاقات المذهون بأهله صغيراً، وخاصة بالشخصيات المحورية في حياته، وأهمها علاقته بأمه، وعلاقته بأسرته، أو علاقاته التي عموماً مجال الأسرة، وتعتبرها الأصل في تكوين الأنماط الذهانية عنده وتنميتها فيه.

وبعض النظريات ترد الذهان إلى أسباب من القيم والاتجاهات الثقافية السائدة والمعتقدات الدينية، ولربما يمكن أن نطلق عليها إسم النظريات الاجتماعية والثقافية في تفسير الذهان. والكثير من أنواع الذهان يمكن أن نرجع الإصابة بها إلى وجود عوامل ثقافية معينة في بيئة المريض، وفي بلادنا العربية مثلاً هناك الكثير من الهذاءات التي تعكس انشغالاً حاداً بالجنس، وهناك الكثير من الهذاءات التي تعكس أيضاً انشغالاً بالدين. وتشغل اليهود عموماً توجهات بالعظمة والاضطهاد. ويذهب أغلب العلماء إلى القول بأنّ أمماً بأسرها

وشعوباً برمتها تسلك في حياتها سلوكاً هذائياً، وهناك الكثير من الثقافات المشهورة والشعوب الكبيرة التي تعاني من هذا السلوك الهذائي كالثقافة الآرية والشعوب الجرمانية، والثقافة اليابانية، والصربية. وكان استعلاء النازيين للاضطهاد ومشاركة الشعب الألماني لهم في ممارساتهم ذهاناً جماهيرياً. وليست الممارسات البربرية للشعب اليهودي في إسرائيل إلاّ أعراضاً لذهان جمعي قد استولى على الأحزاب والجماعات الدينية وسيطر على جموع الناس.

وتشمل الذهانات الوظيفية functional psychoses الفصام، وذهان الهوس الاكتئاب، والبارانويا، والذهان الانتكاسي، وبعض الأنواع الأخرى من المتلازمات الذهانية التي يشق تصنيفها. وأما الذهانات العضوية فتشمل الذهانات التي لها علاقة بأمراض تصيب الجهاز العصبي المركزي كالزهري والشلل العام، وذهانات الشيخوخة وما قبلها، وذهان تصلب شرايين المخ، وذهانات الأورام المخية، والذهانات المصاحبة للاضطرابات الصرعية، والذهانات التي تترافق وحالات الإدمان الكحولي، وذهانات التسمم، والذهانات التي لها علاقة بالنهك والأمراض المعدية والخوريا وإصابات الرأس، إلخ.

ويفصح الذهان عن نفسه طبقاً لنوعه، فالفصام schizophrenia مثلاً منه نوع بسيط simple s.، وآخر هيبفريني hebephrenic s.، وثالث كتاتوني catatonic s.، ورابع بارني paranoid s.. والمريض بالفصام ينفر من الناس وينسحب على نفسه، ويضطرب تفكيره ويغترب، وينجزئ سلوكه ويسخف، وكأنه سلوك طفل، ويضحك بلا سبب، ويتخشب متوتراً، ثم ينفجر في حركة دؤوب وكلام يثرثر به، ولا يثق في أحد، ويسيء فهم الناس وتفسير سلوكهم ودوافعهم. وهذه الأعراض قد تكون للمريض، وقد يكون له بعضها دون البعض، وقد تكون له بالإضافة إليها أعراض أخرى، وقد تأتي الأعراض فجأة أو بالتدريج. وفي الفصام لا تسوء الذاكرة والقدرات الفكرية الرئيسية مثلما في أنواع الذهان الأخرى، غير أنّ الهذاءات والهلوسات تكون في الفصام أظهر.

والمريض بذهان الهوس الاكتئاب manic-depressive p. تتراوحه النوبات، بينما يكون عادياً بينها. والسمة الأساسية للذهان الانتكاسي involutional p. هي الاكتئاب يأتي المريض في السن المعروفة بسن اليأس، وقد نطلق على هذا الذهان لهذا السبب إسم الإياس climacterium، وأعراضه القلق والأرق والحركة الدؤوب والأفكار الهذائية ومشاعر الذنب. وأما البارانويا paranoia فهي ذهان شديد التعقيد، وهذاءاته فيها العظمة، أو يستشعر المريض أنه ملاحق ومضطهد. وعموماً فإنّ الأعراض بالذهان العضوي organic p. تتوقف على نوعه، وما إذا كان حاداً أو مزمناً، وفي الأنواع الحادة acute تكون الهلاوس والهذاءات طارئة، بينما تتميز الأنواع المزمنة chronic باضطرابات الذاكرة والحكم والتوجه والاستيعاب والوجدان. ويختلف سلوك المريض بالذهان بحسب شخصيته وطريقته في التجاوب مع الضغوط التي يعاني منها داخلياً أو خارجياً.

ولم يكن الذهان معروفاً باسمه هذا إلى منتصف القرن التاسع عشر، وقبل ذلك أطلق عليه من يدعى وليام كالين Cullen إسم العصاب (١٧٨٠)، ثم ميزوا بين العصاب والذهان فجعلوا العصاب للمرض نفسه، بينما الذهان هي الحالة العقلية والنفسية التي يكون عليها المريض. ومعنى أنه «مذهون» أنّ ذهنه خالطه التشوش واضطربت وظائفه. وكان كريبلين Kraepelin (١٨٢٠) هو أول من صنف أنواع الذهان، وأعطى إسم «العتاه الباكر» للفصام بالنظر إلى أنّ هذه الحالة كما لاحظها كانت تأتي الشبان في باكورة الشباب وفيها تصبح أحوالهم كأحوال المعتوهين. ولم يميز كريبلين بين الذهان العضوي والذهان الوظيفي وإن كان تصنيفه للذهان هو التصنيف القائم حتى الآن.

ولفرويد والفرويديين بحوث في الذهان، وتفسيرات كانت تقدماً علمياً في مجاله، ومنها تفسير فرويد لحالة شريبر Schreber case، وهي من الحالات التي عالجها بالتحليل النفسي وتبين له من خلالها دور الإسقاط projection كحيلة من الحيل النفسية التي يلجأ إليها المريض عندما يحاول أن يخرج ما

بنفسه دون أن يجد اعتراضاً على ذلك من جانب جهازه النفسي، فيلجأ إلى إسقاط رغباته وميوله على غيره وينسب إلى هذا الغير ما بنفسه، وتلك حيلة نجدها كثيراً عند المرضى بالفصام البارني. وكان تفسير فرويد أساس ما عرف باسم سيكولوجية الأنا ego psychology التي تتناول هذا الجزء من نظرية التحليل النفسي الذي مداره الأنا ودوره في تطوير الشخصية، وما يتصل من هذا الدور بوظائف كالذاكرة والحكم واللغة وإصدار القرارات إلخ. مما له توجه إلى الواقع. وأيضاً كانت هناك تفسيرات أخرى، منها تفسير مبير الشامل، وتفسير سوليفان الذي يرجع الذهان إلى الاضطرابات التفاعلية في حياة المذهون.

والمذهون psychotic هو الشخص الذي يعاني من الذهان، وهو غير مسؤول جنائياً، وكانوا قديماً يحجزونه خلف الجدران ويقيدون حركته لخطورته، وربما كان من الممكن أن يستمر الحال كما هو لولا العلاجات الطبية، كالعلاج بالصدمة الكهربية، ولولا العلاج بالعقاقير النفسية التي من شأنها المطامنة من القلق والاكتئاب والهوس، وتهدئة المريض حتى ليسهل السيطرة عليه والتعامل معه وعلاجه علاجاً نفسياً.

ويختلف العصاب بحسب النظرية التي يتبعها القائل بالاختلاف، فأصحاب النظريات العضوية يقولون إنّ الاختلاف بين الاثنين هائل حتى أنه ليس بينهما ما يجمعهما، وكأنما بين الاثنين هوة ليس من سبيل إلى اجتيازها. والذهان إضطراب عقلي أكثر منه نفسي، بينما العصاب إضطراب نفسي أكثر منه عقلي. والذهان أشد وطأة من العصاب وهو يصيب العقل بالاضطراب، بينما العصاب لا يصاب العقل منه بسوء، وإنما السوء يتناول السلوك، وأصحاب النظريات الدينامية يذهبون في تفسير الاختلاف بين الاثنين إلى الاختلاف في الأخذ بالحيل النفسية الدفاعية، فالمذهون حيله الدفاعية أكثر، حتى أنّ شخصيته لتنبو بها عن الواقع نبواً هائلاً، وكان فرويد يقول إنّ المذهون تستغرقه ذاته عن التفكير في الواقع من حوله، حتى أنه في العلاج النفسي للمذهون ليس

من سبيل إلى التواصل معه، وذلك ما لا نجده في العصابي.

ومن الممكن إستحداث أعراض الذهان دون الذهان نفسه بواسطة عقاقير الهلوسة hallucinogens مثلاً، حيث تكون لها تأثيرات ضارة على وظائف الحكم يمكن أن تلحق به أذى دائماً. والذهان بشكل عام يعيق التعلم، ويفسد المهارات، ويحول دون التدريب، ويسوء به الإنتاج، وقد تكون له أوخم العواقب على نمو الجسم، بالنظر إلى أنّ المذهون يهمل في التغذية والوسائل الصحية الأخرى. ويؤدي سوء التوافق المستمر إلى المزيد من الانسحاب واتباع الحيل الدفاعية التي يزداد بها التردي صحياً، غير أنه في بعض الحالات قد يكون المذهون عبقرياً، أو له إنتاج فكري أو فني عظيم. والعلاقة بين الذهان وأمثال هذه الحالات لم تعرف بعد. وكان الروائي إدجار ألان بو Edgar Allan Poe (١٨٠٩-١٨٤٩) والكاتب المسرحي أوجست ستندبرج Stindberg (١٨٧٨-١٩٢٩)، والفيلسوف نيتشه Nietzche (١٨٤٤-١٩٠٠)، والرسام فان جوخ Van Gogh (١٨٥٣-١٨٩٠)، والقصاص يوسف إدريس، والفيلسوف عبد الرحمن بدوي، مذهونين، وعانى من تصرفاتهم الناس من حولهم، إلاّ أنّ الذهان لم يمنعهم أن يكتبوا أو يرسموا روائعهم التي أعجبنا بها كثيراً، وإن كنا نستشعر إزاءها أنها من نتاج مرضي. وكان «بو» ونيتشه يشكوان من حالات الاكتئاب الهوس، بينما كان ستندبرج، وفان جوخ، ويوسف إدريس، وعبد الرحمن بدوي، يعانون من الفصام. وقيل إنّ العبقرية والعمليات الذهانية كلاهما من شأنه تحرير الدوافع التي ما كان من الممكن أن تتحرر بدونها، إلاّ أنه في حالة العبقري فإنّ هذا التحرير للدوافع والطاقات الداخلية يكون إبداعياً، بينما هو في حالة المذهون لا يمارس مهارة معينة تحرير إلى فراغ، فتطيش به حركته، ويضيع تفكيره، وتتوه عنه انفعالاته. وإذا كان كل من العبقري والمذهون يعاني من الصراعات التي قد تتشابه، إلاّ أنهما يختلفان في طريقتهما في التعامل معها، وفي قدرتهما على مسايرة هذه الصراعات.

والذهان نادر عند الأطفال إلاّ أنّ شواهد الفصام الهيبيفريني أو الكتاتوني

قد تظهر خلال المراهقة وفي العشرينات. وغالباً ما تبدأ التطورات البارنية في الثلاثينات وما بعدها. وأما الذهان الانتكاسي فالسن المناسب له هو الشيخوخة التي توصف بأنها سن اليأس. وأما ذهان ما قبل الشيخوخة وذهان الشيخوخة فهما في السن التي يوحي بها إسماهما.

ويبدو أنّ الإصابة بالذهان في الذكور أكبر منها في الإناث، أو أنّ ذلك ما يظهر في مجتمعاتنا على الأقل، بالنظر إلى أنّ الضغوط الاجتماعية على الذكور أكبر، وتكاليف الحياة بالنسبة لهم أبهظ، وكلما ارتقى تعليم الإناث وزاد إقبالهن على العمل ومشاركتهن في أعباء التربية وتكاليف المعيشة زادت إحتمالات الإصابة بالذهان بينهن.

وفي المجتمعات المحافظة تجد الأنثى المتعلمة عنتاً في التكيف مع متطلبات العرف والتقاليد والدين والثقافة عموماً، ولذلك فقد يزيد عدد المريضات بالذهان في هذه المجتمعات عنها في المجتمعات الأخرى الأكثر تسامحاً وتحرراً. وعموماً فإنّ الأنوثة نفسها لها ضغوطها التي تختص النساء بمجموعة من الذهانات لا تصيب الذكور، كذهان النفاس puerperal p.، وذهان الإرضاع lactation p.، وذهان الحمل pregnancy p.، وذهان ربة البيت housewife s p.، وذهان المربيات maid s p.، والذهان الحيضي mentrual، فضلاً عن أنّ ذهان الإياس أو الذهان الانتكاسي تكون شواهده بالإناث، ولم يعرف أنّ للرجال سناً لليأس، بالنظر إلى أنّ الأنثى في هذه السن ينقطع حيضها وذلك ما لا يكون بالرجال.

وليس أكثر من «الهموم» مسبباً للإصابة بالذهان، والهموم يتقاسمها الرجال والنساء، والفقراء والأغنياء، والصغار والكبار، إلاّ أنّ البعض قد يزيد به الهم عن غيرهم. وأيضاً فإنّ الهموم تتفارق، وتختلف ضغوطها بحسب الشخصية والعمر الزمني ومستوى التعليم، فتزيد احتمالات الإصابة بالذهان كلما زاد الوعي بالمشكلة والإحساس بضغطها.

وعلاج الذهان يختلف أيضاً باختلاف نوعه من حيث أنّ بعضه

عضوي وبعضه وظيفي، فأما الذهان العضوي فعلاجه طبي بالعقاقير، أو الجراحة النفسية، أو الصدمة الكهربية، وأما الذهان الوظيفي فعلاجه نفسي يخص عالم النفس وحده، ومن ذلك العلاج النفسي المكثف، والعلاج الجماعي، والعلاج العائلي. ومن العلاج النفسي أيضاً السيطرة على محيط المريض والتحكم في المواقف التي يمكن أن يدخلها. وقد تترابط كل هذه العلاجات معاً وتقتضيها الحالة. ويهدف العلاج النفسي إلى استحداث تغيير أساسي في الشخصية، وفي المحيط الذي يعيش فيه المريض والذي تسببت ضغوطه في تداعي المريض بالذهان، وفي مفهوم الأسرة أو الزملاء عن المرض النفسي أو العقلي، وتكييف أفراد العائلة على ظروف المريض بحيث يمكن أن يكون هناك المزيد من التقبل له بينهم، والفهم لمشاكله وأسباب اضطراباته.



مراجع:

- Lorr, M. and Klett, C. J. and Mcnair, D. M.: Syndromes of Psychosis.
- Eysenck, H. J.: Behavior Therapy and Neurosis.
- Epstein, S. and Coleman, M.: Drive Theories of Schizophrenia.



- ٤ -
المستشفيات والعيادات النفسية

تاريخ المستشفى النفسي والعيادة النفسية، ومجالاتهما. عيادات التوجيه المهني. العيادات النفسية العسكرية. فريق العمل بالعيادة النفسية...



المستشفى النفسي mental hospital والعيادة النفسية mental clinic، كلاهما لعلاج المرضى النفسيين، غير أنّ

المستشفى مؤسسة كبرى ولها تاريخ ممتد من اليونان والعرب حتى وقتنا الحاضر، منذ أبو قراط Hippocrates (٤٦٠ ق.م.)، وجالينوس Galen (١٣١-٢٠١م.)، وتوما الأكويني Acquinas (١٢٧٤)، وورث العرب علم اليونان والرومان، وأسسوا أول مستشفى للعلاج النفسي أو العقلي، بناه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ. في دمشق، وأطلق عليه إسم المارستان، والاسم معرّب عن الفارسية، وكان أبو قراط قد أطلق على المستشفى النفسي إسم asulon وحُرِّف إلى asylum، وأما مارستان فتعني بيت المرضى المجذوبين، ونذكر أنّ أحمد بن طولون كان أول من بنى مارستان في مصر، بناه سنة ٥٢٩ هـ.، وتتابع بناء المارستان، فكان هناك مارستان كافور الإخشيدي سنة ٣٤٦ هـ.، والمارستان الكبير المنصوري، بناه المنصور قلاوون الألفي سنة ٦٨٢ هـ. ونذكر أنّ أول مستشفى نفسي في أوروبا كان في أسبانيا بفالينسيا، قيل بناه العرب، وأعاد الأسبان افتتاحه سنة ١٤١٠م. وقيل إن مستشفى بيت لحم في بريطانيا بني سنة ١٤٠٠. واشتهر من أطباء النفس وعلاجاتهم يوهان شبرنجر، وهاينريش كرايمر، وباراسيلسس بألمانيا، وبودان، وفينسنت دي بول، وفيليب بينييل، واسكيرول في فرنسا، وكولين وكونولي في إنجلترا، وفي أمريكا كان جرايزنجر، وبنيامين Rush، وكانت أول مستشفى نفسي في أمريكا الجنوبية في مكسيكو سنة ١٥٦٦ حاكوا فيها الأسبان الذين حاكوا بدورهم العرب. وأما العيادات النفسية فحديثة نسبياً. وتصمم المستشفيات النفسية تصميمات مختلفة عن تصميمات المستشفيات، ولها عماراتها المستقلة من النواحي الجمالية والهندسية، ومن أشهر مهندسي هذا الفرع من هندسة المستشفيات كيركبرايد Kirkbride (١٨٠٩-١٨٨٣)، ومنها مستشفيات نهارية، وأخرى ليلية. وأما العيادات النفسية فحديثة نسبياً، وتعمل كمؤسسات للإرشاد والتوجيه النفسي والخدمة الاجتماعية. وكان إنشاء أول عيادة من هذا النوع بأمريكا سنة ١٨٩٦ لعلاج الأطفال المتأخرين عقلياً أو خلقياً، أو الذين يعانون نقصاً جسمياً

يؤدي إلى إبطاء أو إيقاف نموهم وتقدمهم، وقد أنشأها بجامعة بنسلفانيا لايتنر ويتمر، وبدأ ينشر سنة ١٩٠٧ البحوث والنتائج التي يخلص إليها في هذا المجال في مجلة «العيادة النفسية» التي كانت أول مجلة في هذا التخصص. وكانت عيادة لندن النفسية لتوجيه الأطفال التي أنشئت سنة ١٩٢٩ نموذجاً للعيادات النفسية التي يمكن أن تعالج هذا النوع من المشاكل النفسية للأطفال، وتقبل بها حالات دون غيرها بحسب تخصصها. وعيادات إرشاد الأطفال child-guidance clinics من ذلك، تبحث في المشكلات اليومية للأطفال، كالعناد، والسلبية، والخجل، والعزلة، والميل لأحلام اليقظة، ومص الأصابع، وقضم الأظافر، وفرط التنشط، والميل للتخريب والعنف، والعصبية، والخوف المرضي من أمور بعينها، والقلق الشديد، والتبول اللاإرادي، والمشي والكلام أثناء النوم، وعيوب النطق والتلعثم، والكذب المرضي، والسرقة، والتأخر الدراسي، والهروب من المدرسة، وغير ذلك من الاضطرابات النفسية أو السلوكية.

وتبحث العيادات النفسية التربوية psycho-educational cs. مشاكل التحصيل المدرسي للطفل، وسلوكه في المدرسة عموماً، وتوجيه الأطفال تعليمياً، ببحث ميولهم، والكشف عن قدراتهم العقلية، وإرشادهم لنوع التعليم المناسب لهم بحسب مستوياتهم التحصيلية. وقد تعرض على المختصين في هذا النوع من العيادات مشاكل الطفل التي مدارها إضطرابات العلاقات في أسرته وانصراف الأبوين عن التعاون مع المدرسة، والحالات التي يرجع التخلف الدراسي للطفل فيها إلى نقص ذكائه، أو ضعف قدراته العقلية، أو عجزه عن التكيف مع زملائه في الفصل بسبب نطقه المعيب، أو بسبب عاهة جسمية عنده. وقد تختص العيادة النفسية في أنواع من الاضطرابات دون أنواع أخرى كعيادات علاج عيوب القراءة، أو التأخر في مواد بعينها كالحساب مثلاً، أو عيادات علاج الانحراف والمنحرفين التي تعرض حالاتها على محاكم الأحداث فتحولها هذه المحاكم إليها – العيادة السلوكية behavior c. من مثل حالات

التشرد، والهروب من البيت، والانتحار. والانخراط في العمل الإجرامي مع العصابات، وارتكاب السرقة، أو إشعال الحرائق، أو إتلاف الممتلكات، أو الاعتداء على الغير، أو الاغتصاب وهتك العرض والاعتداءات الجنسية. وتبحث العيادة النفسية في دوافع الحالة وأسباب الانحراف، سواء كانت من الحدث نفسه أو كانت إجتماعية عائلية. ومن الاضطرابات التي تعرض على العيادة النفسية الملحقة بالمصحات أو المستشفيات النفسية ما يكون له جذور نفسية أو عقلية، وقد يتطور مع إهمال الحالة إلى درجة يتوجب معها إلحاق المريض بالمصحة. وتتفاوت هذه الاضطرابات بين القلق والعصبية والنهك وغير ذلك من الأعراض التي قد تكون عند الأسوياء أيضاً، وبين الهياج والعنف الشديد والتصرف بشذوذ، وبما يهدد المخالطين أو يخشى معه من سوء التصرف مالياً وأدبياً واجتماعياً، ومن ذلك حالات الهستيريا، وإدمان المخدرات أو الكحول، وغشيان المواخير، والمشاعية الجنسية، واللواطة، والسلوك السيكوباتي عموماً.

وعيادات التوجيه المهني vocational guidance cs. من العيادات النفسية المختصة بالإرشاد والتوجيه في مجال التخصص المهني، وتبحث الحالات المرتبطة بالمشاكل المهنية وأمراض العمل، ونواحي التفوق في مختلف الأعمال، والميول والقدرات والإمكانات التي يمكن أن تكون لدى الفرد، والتي بمعرفتها فيه وتنبيهه إليها يمكن توجيهه إلى نوع العمل الذي يناسبه، فيتحقق له بذلك التوافق في مجال العمل. ويقتضي ذلك أن يكون لدى الأخصائيين في العيادة معرفة تحليلية كاملة بنوع العمل أو المهنة، وما يتطلبه من مهارات وإجراءات، وما يستلزمه من معرفة وقدرات، وما قد ينجم عنه من إصابات أو أمراض.

وتلحق بالمستشفيات النفسية عيادات خارجية للكشف على المرضى لأول مرة، ولمواصلة العلاج للبعض - عيادات المرضى الخارجيين outpatient cs.. والعلاج بهذه العيادات كثيراً ما يكون علاجاً نفسياً فردياً. وهناك عيادات

طوارئ emergency cs.، ومراكز صحية نفسية إقليمية community mental health centers. وتبحث العيادة النفسية الملحقة بالمستشفيات العسكرية الحالات المتعلقة بالجنود والضباط، من حيث صلاحيتهم لأنواع معينة من الأعمال العسكرية دون إهمال أخرى، بقياس قدراتهم وفحص استعداداتهم وإمكانات إحتمالهم، وما يمكن أن يتعرضوا له من تدني الروح المعنوية واضطرابات نفسية نتيجة التعرض للإرهاق أو الضغوط الكثيرة والمختلفة في ميادين القتال، مع استبعاد العناصر غير الصالحة واكتشاف أمرها مبكراً بما يفيد تقليل الوقت والجهد في إعداد المتدربين ويعني حسن الاختيار من بينهم للوحدات المناسبة.

وهناك أنواع أخرى من العيادات تتخصص في حالات البغاء، أو الأطفال اللقطاء، أو التبني، أو المشاكل بين الأزواج، أو المشاكل العائلية بين أفراد الأسرة الواحدة، وغير ذلك مما أصبح من التخصصات التي لهذه العيادات، بالإضافة إلى أنها مراكز للتوجيه والتثقيف العلمي فيما يتعلق بالصحة النفسية، بما تقدمه من بحوث وإحصاءات وتحليلات ومساعدات، وبما تساهم به من إعداد لكوادر المتدربين والأخصائيين، ووضع وتنظيم البرامج التربوية، بغرض تحسين أساليبها وطرق التدريس والتعامل مع الأطفال والمعوقين والمتخلفين عقلياً، وقد يكون لهذه العيادات فضل تعديل واستحداث الاختبارات النفسية والتحصيلية وتجريبها وتقنينها.

والعمل بالعيادة النفسية أشمل من العمل بالمستشفى النفسي، ولذلك كان العلاج بالعيادة النفسية غالباً بالأجر، على عكس المستشفيات النفسية فإنها عامة وبالمجان، والمرضى بها ربما يبلغون الألف، وهو ما لا يتوفر في العيادة النفسية. وفريق العمل بالعيادة النفسية، مثله مثل المستشفى النفسي، لا بد إذن أن يضم عدداً من الأخصائيين النفسيين في مختلف المجالات، وكلما كان استقلال العيادة النفسية بمجال من مجالات العلاج والتوجيه والإرشاد الصحي النفسي كلما كان تفرد فريق العيادة

بمعرفة تخصصية في هذا المجال.
والأخصائي الكلينيكي النفسي clinical psychologist قد يكون من أي من الجنسين باعتبار أنّ بعض الحالات يفيد عرضها على أخصائية، وبعضها يستلزم أخصائياً. وعموماً فإنّ المعرفة السيكولوجية اللازمة لأخصائي العيادة النفسية تنصرف إلى علم النفس بمختلف فروعه كعلم النفس الطبي psychiatry، والكلينيكي clinical psychology والفرق بين الاثنين أنّ علم النفس الطبي هو تخصص طبي، وأما علم النفس الكلينيكي فمجاله المعرفة والممارسة السيكولوجية لمساعدة المريض الذي يشكو اضطراباً نفسياً أو سلوكياً، على استعادة توافقه النفسي والاجتماعي. ويلزم لأخصائي العيادة النفسية من المعرفة السيكولوجية بخلاف ذلك: الدراية بعلم النفس الشواذ، وعلم النفس التربوي، وعلم نفس النمو، بالإضافة إلى الطب النفسي، وطرق العلاج النفسي كالعلاج بالتحليل النفسي، أو العلاج السلوكي، وسيكولوجية توجيه الأطفال، والتوجيه المهني، والخدمة الاجتماعية، والصحة النفسية، والتوجيه التعليمي، وباثولوجيا الكلام وعلاج النطق، وقياس الذكاء والاستعدادات، واختبارات الشخصية.
وعند تحويل الحالة للعيادة النفسية تتم لقاءات بين الأخصائيين والشخص المعني، وتكتب عنه تقارير طبية ونفسية واجتماعية، ويرصد تاريخ الحالة. وتبحث الحالات من كل الأخصائيين، وتستعرض التقارير، ويتم الاتفاق على التشخيص ورسم خطة العلاج.



مراجع:

Wolman, B. B.: Handbook of Clinical – Psychology.

Sundberg, N. D. and Tyler, L. E.: – Clinical Psychology.

Lubin, B. and Levitt, E.: The Clinical – Psychologist.



- ٥ -
سيكولوجية الذات

الذات التجريبية، والذات الجسمية، والذات المدركة (بكسر الراء) والذات المدركة (بفتح الراء)، والذات المادية، والذات الاجتماعية. سيكولوجية الأنا بدلاً من سيكولوجية الذات عند فرويد. الوعي بالذات، وتحقيق الذات، وتنمية الذات، وتقدير الذات، وتقوية الذات، والعلاج بتحقيق الذات. الذات الظاهرية.



الذات self قد ترادف النفس psyche كما في قولنا الشي ذاته، أي نفسه، والشيء في ذاته أي في حقيقته، بصرف النظر عما قد نتخيله أو نتوهمه من صور لهذا الشيء، أو ما قد يعتريه من تغيرات في الأعراض والأحوال. والذات بالنسبة للأشياء هي الحقيقة وراء كل الظواهر، وبالنسبة للشخصية هي كل الشخصية، وهي تدرك (بكسر الراء) وتفكر وتنفعل وتدخل الخبرات، وهي من ثم قوام الشخصية، ولكنها ليست الأنا ego، لأنّ الأنا هو هذا الجزء من الشخصية الذي يتعامل مع الواقع، ونحن عندما ننسب، لا ننسب للأنا، ولكننا ننسب للذات، فنقول مثلاً إنكار الذات self-denial؛ وتأكيد الذات self-assertion، وعقاب الذات self-punishment، وتحقير الذات self-abasement؛ والمحافظة على الذات self-preservation؛ وحب الذات self-love؛ وإرضاء الذات self-gratification؛ وخداع الذات self-deception؛ ونقد الذات self-criticism؛ وتقدير الذات self- assessment، إلخ، أو نقول الذات التجريبية empirical self ونقصد بها كل خصوصية الشخص: جسده، وسماته، وقدراته، ومادياته، وأسرته، وأصدقاءه، وأعداءه، ومهنته، وهواياته، إلخ. وتتمايز الذات التجريبية في مرحلة مبكرة عن الأنا، فعندما يلمس الطفل الأشياء يتحصل له الإدراك التدريجي بتمايز «ما ليس ذاته» عن «ذاته» كلما وجد أنّ «ما ليس ذاته» يقاومه ويتسبب له في الألم، وكان قبل هذه

المرحلة تختلط عليه حدود «ذاته» وجسمه، فيبدأ يكتشف جسمه عن طريق حواسه، ويبدأ أيضاً يعي أنّ جسمه يمكن أن يتمايز عنه، وأن يكون مصدر ألم له، وموضوع إدراك منه. والذات في كل ذلك هي التي تدرِك - الذات المدرِكة perceiving self، وهي أحياناً تكون موضوع إدراك من نفسها - الذات المدرَكة perceived self. وأما الأنا فهو هذه الجزئية من النفس التي تكون بها مواجهة الشخص للعالم الخارجي وللناس. والأنا يؤكد به الشخص ذاته حيال كل ما هو ليس بذاته من أغيار. والذات لأنها كلية ربما نصنفها بحسب توجهاتها، فالذات الروحية spiritual s. عند وليام جيمس William James (١٨٤٢-١٩١٠) مثلاً، هي هذا الجانب منها الذي له تطلعات ونزعات وميول؛ والذات المادية material s. هي جانب الذات الذي يتمثل فيما يملكه الشخص من عينيات وماديات؛ والذات الجسمية corporeal s. هي خصائص الفرد التي تكوّن سمات جسمه؛ والذات الاجتماعية social s. هي الصورة المتحصلة له عن الأغيار. ولعل هذه «الكلية» للذات والتي ليست للأنا، هي التي جعلت عالماً من علماء التحليل النفسي يخالف إتجاهات المدرسة التحليلية ويقول بأنّ الذات هي نقطة الوسط في الشخصية أو هي المركز. وهذا العالم هو يونج Jung(5781-1691)، وهو أحد ثلاثة كانت بهم البدايات الأولى للمدرسة التحليلية. ويونج يقول إنّ الذات تجمع حولها جميع نظم الشخصية، وتمد الشخصية بالوحدة والتوازن والثبات. وأما فرويد فقد أسقط من اعتباره الذات بالكلية وأكد على الأنا، وهو عنده الجهاز الإداري للشخصية، لأنه يسيطر على منافذ السلوك، ويختار من البيئة ما يستجيب له، ويقرر الغرائز التي سوف يسمح لها بالإشباع، وكيفية هذا الإشباع، ورغم أنه جزء من الهو id غير المنظم فإنه يصبح منظماً، ويمثل كل ما هو سوي ومنطقي، على عكس الهو. والأنا يدرك ويفكر ويميز، وهو شعوري غالباً، ويتضمن جزءاً لاشعورياً. وهو الذي يكبت ويراقب الأحلام، ويتمايز بعضه فيكون الأنا الأعلى super-ego، يتمثل النواهي والزواجر الاجتماعية، ويصنع الضمير

الشخصي والاجتماعي. ولكل ما سبق فقد جعل فرويد علاج الاعتلال النفسي بتقوية الأنا، وبدون مساعدة الأنا لن يجدي العلاج النفسي، ومن ثم كانت سيكولوجية الأنا ego psychology، في مقابل سيكولوجية الذات self psychology، والأخيرة تؤكد على الجانب الذاتي للإدراك والشعور، وعلى ذاتية الخبرة، وارتباط الأفكار والمدركات بالذات. وفي سيكولوجية الذات يعمل الفرد إستجابة لحاجاته الحقيقية، ويحاول أن يتوجه بعمله بحيث يكون ما يفعله خاصاً به وينتمي إليه، بينما في سيكولوجية الأنا يكون تجاوب الفرد مع الواقع ومتطلباته، ويسيطر مبدأ الواقع reality principle على الأنا ويحكم تصرفاته. والذات لكي يكون العمل عملها لا بد أن تكافح وتجاهد، في حين أنّ الأنا توفيقي. والذات هي الجوهر المميز للفرد، ومن ثم فهي محتوى الوعي، ولا وجود لها خارجه، وذلك ما نقصد إليه باصطلاح الوعي بالذات self consciousness، وهو الوعي بالهوية، وبأني أنا نفسي، ووعيي بذاتي هو وعيي بدوافعي، وبما عليه سلوكي، وبما أقصد منه، وبما أتجه إليه، وأما الأنا فإنما هو بناء معرفي في خدمة الذات. وعندما تتعرض الذات للخطر فإنّ وسائل دفاع الأنا تستنفر للدفاع عن الذات والذود عنها والمحافظة عليها. وكل سلوك يتوجه في مقصوده النهائي إلى تحقيق الذات self realization، وإلى تنمية الذات self development، أي تنمية الشخص لطاقاته وقدراته، وفهم وتقبل ذاته self acceptance. وفي سيكولوجية الذات فإنّ كل سلوك يكون داخل الإطار المرجعي للشخص القائم بالسلوك، والإطار المرجعي له هو مجاله الظاهري؛ والذات الظاهرية phenomenal self جزء متمايز من المجال الظاهري، وهو الجزء الذي يخبره الفرد كسمة مميزة لنفسه (Snygg and Combs: Individual Behavior)، ومن ثم فإنّ الهدف الرئيسي لكل سلوك هو استمرار وتقوية الذات الظاهرية التي هي الإطار المرجعي الوحيد للفرد، أو هي حقيقته الوحيدة. ويبدو أنّ مفهوم الذات self concept الذي أدخله الظواهريون وأخصهم ريمي (Rimy, V.: The Self concept as a Factor in Counselling and

Personality Organization)، قد صارت له أهمية كبيرة في الكثير من الميادين النفسية، وخاصة في التوجيه والإرشاد النفسي، وفي «العلاج الممركز حول العميل» أو «العلاج غير الموجه»، فلكي يتغير السلوك ينبغي التوجه إلى مفهوم الذات عند الفرد المراد تغيير سلوكه فنغيره أولاً، وهي قضية تتصل بحاجة الفرد إلى الاعتبار الاجتماعي. ونتيجة خبرات الذات بإشباع أو إحباط حاجاتها إلى الاعتبار الاجتماعي يكون اعتبار الفرد لذاته self regard، وينمي في نفسه إتجاهاً نحو تقدير الذات self appraisal. والهدف النهائي خلف كل العمليات السابقة هو تحقيق الذات، فغاية كل شخص سواء عن وعي أو عن غير وعي هي أن يحقق ذاته، وكل منا به دافع للخلق والإبداع، وأعظم ما يمكن أن يخلقه كل إنسان في حياته كلها هو ذاته، وهي نموذج الإبداع، ومن الذات التي نبدأ في تشكيلها منذ الطفولة تكون في كل منا عادة الإبداع، سواء للأعمال الفنية، أو الاختراعات، أو الأنظمة الاجتماعية، إلخ، فإذا تحققت للشخصية ذاتها، والذات هي مركز ومناط الشخصية، فإنّ عليها أن تعمل على استبقاء الذات، واستبقاء الذات self maintenance يستوجب فهم الذات self understanding، ومن ثم يكون تفتحنا على الخبرات التي تثري الشخصية وتتبنى بها الذات وتتقوى وترتقي، وتقوية الذات self confirmation مطلب تال، فما أن يرغب الفرد في تحقيق ذاته والحفاظ عليها حتى يرغب في تقويتها ثم في ارتقائها self development، وتقويتها وارتقاؤها مطلب ليس باليسير، وإنما يحتاج للتصميم self determination، والمبادأة، وأن يتمثل ذاته self idealization، وأن يكوّن لنفسه نسق ذات self system، وأن يجد ذاته الحقيقية his true self، وأن يبذل كل ما بوسعه من الجهد والكفاح واحتمال الآلام ليبرز ذاته self salience، فتتميز عن ذوات الأغيار، وليست الحياة مجرد أن نحصل على شيء ونحافظ عليه، ولكننا نريد باستمرار أن نتجاوز الوضع الثابت والواقع الراهن، والإنسان ليس إنساناً آلياً، وهو دائماً يهفو أن يعمل في حرية، والحرية هي الضمان الوحيد لأن يحقق ذاته ويقويها، والعلاج

بتحقيق الذات وتقويتها يقوم على فكرة إحاطة الشخص المريض نفسياً بجو إجتماعي يتمكن فيه أن يعبر عن نفسه ومشاعره ودوافعه بحرية، وأن يتقبل نفسه ومشاعره ودوافعه، وفي بيئة كهذه تتمكن الذات من أن تنمو تلقائياً نحو مزيد من الصحة والقوة، وتكون أكثر كفاية وقدرة على تكوين علاقات إجتماعية أفضل. وفي المصطلح التحليلي النفسي ما يسمى تقمص الذات self identification، وهو: الإعجاب بآخر لقوة شبهه بالذات، وأن يعمل ليكون على شاكلته؛ والتطلع الذاتي النرجسي narcisstic self-peeping هو استراق النظر إلى الذات voyeurism على أساس نرجسي من حب الذات؛ والمعرفة بالذات self knowledge إصطلاح كانط، نقلاً عن اليونان، حيث كان شعار معبد دلفي «إعرف نفسك» know thyself.



مراجع:

- Rogers: Client-centered Therapy.
- Rogers: Counceling and Psychotherapy.



- ٦ -
سيكولوجية الشخصية
Psychology of Personality

الشخصية والشخص والأقوال فيهما. لكل شخصية محدداتها، وللطفل شخصيته كالراشد تماماً. متى ينفرط عقد الشخصية فتنحل أو تنقسم؟ ومتى تستأصل الشخصية؟ مراحل نمو الشخصية. الشخصية عند أصحاب التحليل النفسي. أنماط الشخصية وسماتها. علم الشخصية. تقويم الشخصية بالاختبارات والاستبيانات وتحليل كتابات الشخص وسيرة حياته. الاضطرابات التي تصيب الشخصية وطرق علاج ذلك. الشخصية المعتلة نفسياً أو إجتماعياً والمنحرفة جنسياً.



مفهوم الشخصية personality concept من المفاهيم الشائعة، وقيل فيه إنه مركل افتراضي والتعريف به يتعدد،

ويورد أولبورت Allport سنة ١٩٢٧ نحواً من خمسين تعريفاً، لها توجهاتها الفلسفية والاجتماعية والسيكولوجية. والأصل في اصطلاح الشخصية personality أنه من persona اللاتينية، بمعنى القناع أو الدور الذي يضطلع به الممثل، ويساعده القناع على أن يكون له مظهره هذا الدور، ومن لغة أهل المسرح أنهم يسمون الأدوار شخوصاً، ومن ذلك الشخصيات الدرامية dramatis personae أي أبطال المسرحية، والعرب يعرفون الشخص person بأنه الذي يظهر ويبدو للعيان محط الأنظار.

والشخص في الاصطلاح كائن له مواصفاته التي قد تعطينا الانطباع بهويته، ويغلب ذلك على الإنسان. ومن التجاوزات في العامية أن يقال إنّ للأشياء أو الحيوانات شخصياتها، ومن ذلك أيضاً أنّ العامة تستخدم الشخصية في سياقات مثل قولهم في وصف أحد الناس إنه قوي الشخصية أو ضعيفها، أو إنّ له شخصية مسيطرة authoritative p.، فيصفون الشخص بصفة أو صفات تدل عليه وتكون سمته أو سماته المميزة p. traits، والمقصود بصفة كهذه، بيان فاعلية الشخص وتأثيره على الناس من حوله باعتباره شخصية مؤثرة influential p.، أو تأثره بهم، وما يمكن أن يخلفه في الآخرين من إنطباعات عنه.

والشخصية بلغة علم النفس قد تكون مجموع تأثيراتها في الآخرين، وقد تكون مجموع إستجاباتها لمختلف المؤثرات والمواقف، وهي أسلوب الفرد في التعامل مع البيئة والمجتمع، أو أسلوبه الذي يوفق بين مطالبه ومطالب المجتمع، أو عاداته الثابتة التي تقاوم التغيير، أو هي التنظيم الشخصي الذي يجتمع فيه عقله وجسمه ومزاجه ومهاراته وخلقه واتجاهاته، والذي يحدد توافقه مع البيئة ويتميز به دون غيره من الناس، أو هي ما يمكن أن يجتمع للدارس عنها من معلومات وتفاصيل ونتائج، سواء من ملاحظة ما يقوله أو يفعله صاحبها، أو توصيفه لنفسه، أو ما تأتي به نتائج الاختبارات والاستبيانات والتحليلات النفسية عن شخصيته. ومن أمثال هذه التعاريف قد نخلص إلى أنّ الشخصية ليست سوى مكون إفتراضي كما أسلفنا،

له بناؤه المتكامل، وديناميانه، ووحدته، وانتظامه، ونموه.

ولكل شخصية محددات determinants، أي عوامل تصنعها، وهي عوامل ومحددات بيولوجية واجتماعية. والكثير من الصفات أو السمات التي يمكن أن تصنع الشخصية تتحصل لها وراثياً من حيث الجسم واستعداداته الفسيولوجية والغدية والعصبية. وللوراثة ميكانيزمات تعمل عملها في تصنيع الشخصية من لحظة تلقيح البويضة. ونحن لا نرث الصفات الجسمية فقط، بل والصفات المزاجية والقدرات العقلية والمهارات وبعض الانحرافات السلوكية. والشخصية من وجهة النظر البيولوجية هي معطى بيولوجي إلى حد كبير. وللبيئة أيضاً تأثيرها في اكتساب السلوك وتعديله وتوجيه الاستعدادات الموروثة وجهات إجتماعية. والبيئة منها البيئة الرحمية التي ينمو فيها الشخص جنيناً، والبيئة المادية أي ظروف المجتمع الذي ننشأ ونعيش فيه، سواء الاقتصادية أو التضاريسية أو المناخية، والبيئة الاجتماعية، بالعلاقات المتشابكة بين أفراد المجتمع الواحد، والتي يكون تمثل الأطفال لها، وتعينهم بشخوصها، وامتصاصهم لعاداتها ولغاتها وقيمها وقوانينها وكل ما يمكن أن يصنع ثقافتها. وقد يعتبر البعض الثقافة العام الأساسي في تكوين الشخصية، وقد يغالي هذا البعض حتى ليذهب إلى أنه بدون الثقافة لا يكون لدينا أفراد وإنما كائنات عضوية. والتطبيع الاجتماعي هو حقاً الذي يغير آحاد الناس من كائنات حية بيولوجية إلى كائنات حية إجتماعية تعيش في بيئة تتأثر بها وتؤثر فيها. والشخصية لا تنمو إلاّ في محيط ثقافي، وعن طريق اكتساب النظم والعادات والتقاليد في المجتمع. والشخصية الإنسانية human p. - بحسب الاتجاه الثقافي - هي تنظيم الفرد لأفكاره ونشاطاته واتجاهاته في العمل. في ضوء المعايير الاجتماعية والإطار الثقافي الذي يعيش فيه. والناس في تعرضهم للمعايير الثقافية المتماثلة داخل الثقافة الواحدة تتشابه أساليبهم في الاستجابة، ويكون بهم قدر مشترك من السمات الأساسية التي تصنع ما يسمى بالشخصية القومية national p.

والثقافة هي التي تحدد أهداف التربية ووسائلها بالنسبة للأطفال، وتجعل هناك نمطاً أساسياً للشخصية basic p. pattern، أو ما يسمى الشخصية الأساسية basic p.، تساهم في تشكيله وصياغته مؤسسات الأسرة، والمدرسة، والرفاق، والجامع، وأجهزة الإعلام، وغير ذلك من دين وعرف ومثل وقيم، ومن ثم ينشأ الطفل العربي مثلاً بشخصية أساسية بخلاف الطفل الأميركي، بما يتلقى كل منهما من تدريبات ونظم وتعليم وعادات. وعندما يكبران فإنّ كلاً منهما تكون له شخصيته القومية المختلفة. وتعكس الأسرة كبيئة ثقافية ثقافة المجتمع، وتختلف شخصية الطفل باعتبار ترتيبه بين أفراد أسرته، والعلاقات بين أبويه، والجو الأسري العام، وعلاقته خصوصاً بأمه. والطفل يتعين بالشخصيات المؤثرة في محيطه، ويتعلم من أفراد عائلته حقيقة الدور الاجتماعي social role وأبعاده السيكولوجية، وما يتوقعه منه الغير، ومطالب الدور. وهو يدخل في مواقف عدة تكون له فيها أدوار مختلفة. وستظل المواقف تتغير دائماً طالما هو إنسان يعيش في مجتمع وبيئة حضارية، وستكون له أدوار دائمة. والبعض قد يختار لنفسه المواقف، وقد تفرض عليه أو تعرض له، والبعض أيضاً قد يختار أدواره، وقد يرضى بما يناط به من أدوار، وقد يعاني من تضارب المواقف وصراع الأدوار، ومن ذلك يتشكل السلوك ويكون ضبطه وتوجيهه، وتنمو السمات بتكرار التعرض للمواقف المشابهة والتي تجلب معها احتمالات الاستجابات المتشابهة التي تتثبت وتصبح عادات سلوكية أو سمات. ومثلما يغالي البعض فينسب الشخصية أساساً للثقافة، فقد يغالي أيضاً وينسب الشخصية للمواقف، وقد يؤكد أنه لا وجود لثبات داخلي للشخصية لأنّ كل موقف تدخله له ملابساته التي تستنفر في الشخصية مكونات بخلاف المكونات التي قد تستنفرها مواقف أخرى. وقد يغالي البعض فينسب للطبيعة البيوكيميائية الداخلية، والغدد خصوصاً، أنها الأصل في تكوين الشخصية. ويدعو بعض العلماء إلى تغليب العامل الغدي، وينسب للغدد أنها المنظم للشخصية،

والحقيقة أنّ محددات الشخصية في الإنسان هي محددات بيولوجية واجتماعية. والوراثة والبيئة تتعاوران التأثير على الشخصية، وقد تستحدث الجينات حاملة الصفات الوراثية ما تستحدثه المحددات الاجتماعية من آثار الشخصية، وقد تكون شخصية أحد الناس متسلطة أو عدوانية فيكون ذلك لصفات موروثة عصبية أو عقلية أو مزاجية، أو يكون بسبب إحباطات في البيئة، والنتيجة المنطقية أننا جميعاً نكون بحيث تغلب على بعضنا العوامل الوراثية في تكوين الشخصية أكثر من العوامل البيئية، أو قد تغلب على البعض العوامل البيئية على العوامل الوراثية أو البيولوجية.

والشخصية كما تكون «للبالغ» فإنها تكون أيضاً «للطفل»، ونحن نولد ولنا مظاهر الشخصية، حيث يختلف الأطفال عن بعضهم البعض في نشاطهم الحركي وبكائهم، وشهيتهم للرضاعة، وحجمهم، وأوزانهم، وأنواع المثيرات التي تثيرهم، وأمزجتهم، وتيقظهم أو تبلدهم. ويساهم «النضج» في نمو الشخصية، ويكشف عن حقيقة ما لدينا من قدرات ومهارات ومواهب ومميزات مزاجية، ونكتسب بالتعلم سمات واتجاهات، وتكون لنا «أهداف»، وتتخالف أساليبنا في التكيف مع «ظروفنا الاجتماعية»، وتخلق الظروف التي نواجهها في حياتنا إستعدادات تؤثر على مجرى نمو شخصياتنا.

ومنذ الشهر «الرابع» تظهر للطفل أساليبه المتميزة في السلوك. والحرمان من الأم يتسبب للطفل في السنة «الأولى» في اضطرابات نفسية لها مردودها على نمو شخصيته، وقد تظهر عليه علامات عدم النضج الانفعالي وأعراض المرض النفسي. وفي الوسع التنبؤ بما ستكون عليه شخصية كل طفل لو علمنا الأسلوب الذي عومل به من ذويه. ويكتشف الطفل جسمه بالتدريج، ويبدأ في التعرف على ذاته الجسمية. وتتطور لدى الطفل ذاته مع نمو شخصيته، والذات the self هي لب الشخصية. والطفل يبدأ في إدراك وجود العالم الخارجي والآخرين قبل أن يدرك ذاته، ثم يتعرف على ذاته بأن يدرك أنّ له خصوصيات وممتلكات، وله إسم يتردد على سمعه باستمرار ويعرف به أنه هو لم

يتغير. وهوية الذات self-identification من المدركات التي تتحصل للطفل في سنواته الباكرة. وفي سن «الثانية والثالثة» يبدأ في القيام بنشاطات يحب أن يأتيها بنفسه وأن يتمها، ويظهر به الميل إلى الاستقلال في النشاط، ويسميه البعض الميل إلى الاستقلال الذاتي self-independence، غير أنه قبل سن دخول المدرسة، أي ما بين الرابعة والسادسة، يكون قد عرف أشياء كثيرة، ودخل في العديد من الخبرات، وبدأ يفقد هويته ويختلط عنده الوهم بالحقيقة، ويسيطر عليه اللعب الإيهامي fictional play. وفي هذه السن تتسع ذاته وتمتد self-expansion لتشمل الأشياء من حوله، ويبدأ من جديد يتعرف على ذاته بأبعادها الجديدة الممتدة، ويقوى عنده الشعور بالهوية في السن من «السادسة» حتى «الثانية عشرة»، ويبدأ يتعرف على الرفاق companions ويتمثلهم فتتوه عنه هويته من جديد. وفي هذه السن يكون واقعياً أكثر، ومحباً للاستطلاع، وتتكون لديه الذات العاقلة rational self، وتكون وظيفتها تنظيم نشاطاته وعلاقاته وتجنيبه المشاكل. وفي مرحلة المراهقة، في نحو «الثانية عشرة» يعاود إكتشافه لذاته، بعد أن كان قد فقدها تقريباً في ولاءاته لأسرته والمدرسة والنظام، وقواعد الرفاق، والأدوار الاجتماعية المتتالية التي علموه القيام بها. وفي هذه السن يعامل مرة كطفل كما كان، ومرة كمراهق له مطالب مختلفة وشخصية مغايرة، فيضطرب لذلك سلوكه وانفعالاته ويميل للتمرد. وتتوقف صورة المراهق adolescent عن ذاته على تقبل الآخرين لشخصيته أو رفضهم لها، وتلح عليه الحاجات الجنسية فيضطرب لها وجدانياً، وقد يجد حلاً لمشكلاته في أحلام اليقظة، وفي الاستمناء masturbation، وقد يكون عملياً فيدفعه ذلك إلى أن يطيل التفكير في حاضره ويربطه بمستقبله، ويفكر في مهنة يختارها ودراسة ينكب عليها، أو قد يجد العزاء لما يستشعر من إنفعالات، ولما يواجه من مآزق فكرية، بأن ينخرط في التدين فيفقد ذاته - مع التطرف - في الذات الإلهية. وهو إذ يدخل في خبرات جديدة تماماً، ومن نوع مختلف عن

خبرات الطفولة، يتعدل سلوكه بالتعديل المستمر لصورته عن ذاته ومستويات طموحاته. وقد يحكمه مبدأ الواقع reality principle فيفكر كشاب أن تكون له أهداف يخطط لها ويعمل على تحقيقها، ويزيد وعيه بنفسه وبما حوله وتتكون له الذات العارفة knowing-self بتراكم خبراته الشعورية عن نفسه والآخرين، واستخلاصه للقيم، واكتشافه للمعاني الأخلاقية والمثل.

ومرحلة الشباب تحتاج لنضج الشخصية p. maturation بالنظر إلى كثرة المشاكل التي يمكن أن تواجه الشاب. وكانت الدراسات في نمو الشخصية p. development تنصرف في أغلبها إلى المراحل الأولى التكوينية في الطفولة الباكرة والمتأخرة والمراهقة، على اعتبار أنّ معظم تراكيب الشخصية تظهر وتتشكل خلالها، إلاّ أنه قد زاد الاهتمام مؤخراً بالمراحل بعد المراهقة. ونمو الشخصية عملية دائبة لا تتوقف، ولا يعني النمو أنه للأفضل، ولكنه يعني استمرار التطور والتغير والتعديل. وقد يتعارض ذلك مع ما نلحظه من ثبات نسبي للسلوك.

وللشخصية بناء organization، وهو يمثل ثباتاً نسبياً مع الزمن. وبناء الشخصية فكرة إفتراضية كفكرة الشخصية وفكرة الذات. وقد توصف الشخصية بأنها ضعيفة أو قوية البناء، ومن ذلك اصطلاح إنفراط عقد الشخصية disorganization of p.، وانحلالها disintegration of p.، والشخصية المنقسمة split p.، والشخصية المزدوجة multiple p.، وكلها مفاهيم تشير إلى ما يمكن أن يلحق بناء الشخصية وتكاملها self-integrity من اضطراب أو سوء انتظام، فإذا عولج هذا الاضطراب فإنه يعالج بإعادة الانتظام إلى البناء p. reorganization. وتكوّن الشخصية p. formation يعني تناميها، بأن تكتمل تراكيبها، وعكس ذلك استئصال الشخصية amputation of p.، بمعنى الحد من وظائفها p. functions، أو تحريف هذه الوظائف، أو تعطيل نمو أبنيتها واستكمالها لهذه الأبنية. وتعني وحدة الشخصية unity of p. أنها شخصية غير منقسمة على نفسها، وأنّ أبنيتها تمارس وظائفها في انسجام.

وأبنية الشخصية تختلف تبعاً لمنظور الشخصية وبحسب نظريات الشخصية، وهناك مثلاً البناء الثلاثي للشخصية الذي قال به فرويد، والذي أساسه الهو id، والأنا ego، والأنا الأعلى super-ego، وكل وظائفه وخصائصه ودينامياته ومبادئه وميكانيزماته. والهو هو النظام الأصلي ويوجد من لحظة الميلاد ويظل معنا طوال الحياة، وهو الجزء من الشخصية الذي يشتمل على كل ما هو موروث وغريزي، والعمليات العقلية المكبوتة، والرغبات التي حيل بينها وأن تتحقق. والهو يعمل بمقتضى مبدأ اللذة pleasure principle، ولتحقيق اللذة وتجنب الألم، ويستخدم لذلك ما يسمى بالفعل المنعكس والعمليات الأولية، والفعل المنعكس reflex رد فعل طبيعي يؤدي إلى خفض التوتر مباشرة، والعمليات الأولية elementary processes تحاول خفض التوتر بطريقة غير مباشرة بتكوين صور للموضوع من شأنها إزالة هذه التوتر، كما في الأحلام.

والأنا يتخارج من الهو، ويتبع مبدأ الواقع، وعملياته ثانوية وليست أولية، بمعنى أنه لا يشبع الرغبات بصور ولكن بموضوعات من الواقع يفرغ فيها التوتر. والأنا هو الجزء المنظم من الهو.

والأنا الأعلى هو المركب الثالث الذي يتكون في نهاية عملية النمو، ومعنى أنّ الشخصية صار لها أنا أعلى أنها أصبحت ناضجة. والأنا الأعلى هو التجسيد الداخلي للقيم، وهو مثالي، وهدفه الكمال وليس اللذة.

وهذه الوحدات الثلاث للجهاز النفسي في الشخصية لا تعمل منفصلة ولكنها متداخلة. ونظرية التحليل النفسي psycho-analysis theory في الشخصية هي نظرية دافعية تذهب إلى وجود حوافز غريزية صادرة عن حاجات جسمية، كالجوع والعطش والنوم والجنس، وإشباعها أمر حيوي، وحوافز أساسها غريزة الحياة أو إيروس eros، وغريزة الموت أو ثاناتوس thanatos، والأولى هدفها الحفاظ على الحياة والتكاثر الجنسي، والقوة الحيوية الدافعة لها هي الليبيدو libido.

وفكرة بناء الشخصية ونموها عند فرويد أشبه بالبناء حقيقة حيث يسير

البناء من أسفل إلى أعلى، وشكل البناء وقوته يرتبطان بأساسه، وتغيير شكل البناء يعني هدمه من أساسه. وأساس تكوين الشخصية هو سنوات الطفولة الباكرة، وبقدر ما يكون الأساس متيناً تأتي الشخصية قوية التماسك ومستقرة، والتعديل الذي يمكن استحداثه في البناء لا ينبغي أبداً أن يتجاوز حدود الأساس أو شكل البناء، وإن حدث تجاوز من هذا القبيل إنهار البناء.

ومراحل نمو الشخصية عند فرويد أربع، هي المرحلة الفموية oral، ثم الشرجية anal، فالقضيبية phallic، فالتناسلية genital، والأولى ترتبط في تكوين الشخصية بالمنطقة الفموية التي مناطها الرضاعة والمص والعض، ونتائجها لذيذة وتصبح منطقة شبقية erogenous zone، ومن ثم يصبح الفم من الآن فصاعداً مصدراً للذة. والمنطقة الشرجية زمن استثارتها السنة «الثانية» من العمر عندما يبدأ تدريب الطفل على الإخراج، والتخلص من فضلات الأمعاء هو تخلص من شيء مؤلم ويحدث شعوراً بالراحة، ولكن المطلوب من الطفل أن ينظم عملية الإخراج، وعملية تدريبه يتوقف عليها نمو الكثير من السمات عنده، فقد يتعلم أن يقبض على فضلات الإخراج ويعمم هذه الاستجابة فيكون عنيداً وشحيحاً، وقد تتبين له أهمية عملية الإخراج مما يصاحبها من إهتمام عائلي فيكون مسرفاً وكريماً، واستثارة حساسية هذه المنطقة يجعلها المنطقة الشبقية الثانية. وتعتبر الفترة من سن «الثالثة» حتى «الخامسة» من أخصب فترات نمو الشخصية، ذلك أنّ الطفل يكتشف فيها أعضاءه الجنسية، ويستشعر اللذة من العبث بها، ويميل إلى الوالد من الجنس المقابل، فالصبي يميل أكثر إلى أمه ولكنه يتعين بأبيه، والبنت تميل لأبيها وتتعين بأمها، ويبدأ الصبي يخاف الأب وأن يخصيه فعلاً بحسب تهديداته له كلما ضبطه يعبث بأعضائه الجنسية، وتبدأ عقدة أوديب Oedipus complex وعقدة الخصاء castration c. عملهما، وتكون ازدواجية ambivalence المشاعر تجاه الوالدين، ومعاناة الصراع نتيجة لذلك. ويتوقف نمو الشخصية واتجاهاتها الجنسية على عملية حل هذا الصراع.

والمرحلة الأخيرة في نمو الشخصية هي المرحلة التناسلية، حين ينضج الطفل جنسياً ويدخل المراهقة، ويتوجه نشاطه الجنسي إلى موضوع من غير جنسه، ويبدأ يمارس الحب. وفي هذه المرحلة التي ينضج فيها الشاب يكون تفكيره في الاستقرار فيميل إلى أن يتعلم مهنة، وأن يستقل بنفسه، وتكون له زوجة وأطفال، ويتميز نشاطه الجنسي في هذه المرحلة بأنه نشاط تناسلي، أي الغرض منه التناسل وليس الإشباع النرجسي. وهذه المراحل الأربع وإن كانت متدرجة إلاّ أنّ آخر مرحلة وهي التناسلية تظل بها بقايا من المراحل الثلاث السابقة، ويعتمد التنظيم النهائي للشخصية على مقدار مكونات هذه المراحل في الشخصية، وهو ما نسميه عمليات التثبت fixation processes.

والشعور conscious له أيضاً عند فرويد أبنية، ويعني الشعور الوعي بمجريات الأمور والأشياء من حولنا وما قبل الشعور preconscious منطقة هامشية تكون فيها الذكريات التي تستدعى عند اللزوم وتختزن ما لا يتوجه إنتباهنا إليه مباشرة. واللاشعور unconscious هو منطقة المكبوت repressed وموقعها أعماق النفس، وتفرض عليها رقابة، ولا يسمح للمكبوت بالمرور إلى الشعور لوجود رقيب censor ينبغي التمويه عليه، ولا يتم المرور إلاّ رمزياً أو في شكل الأحلام.

ويُعتبر فرويد بحق الأب لنظرية الشخصية، وأبنيته نقلها عنه تلاميذه وعدلوا فيها وأضافوا إليها، ومنهم من انفصل عنه واختلف معه، ومن هؤلاء يونج Jung (١٨٧٥-١٩٦١)، وأبنية يونج هي الأنا ego، واللاشعور الشخصي personal unconscious وعقده، واللاشعور الجمعي collective u. وأنماطه الأولية، والقناع persona والأنيما anima، والأنيموس animus وأخيراً الظل shadow. وبالإضافة إلى ذلك توجد الاتجاهات الانطوائية introversion والانبساطية extraversion، ووظائف التفكير والوجدان والإحساس والحدس، وأخيراً الذات التي هي الشخصية المكتملة. ومن تلاميذ فرويد كذلك ألفرد أدلر Adler (١٨٧٠-١٩٣٧)، ونظريته في الشخصية تقوم

على اعتبار الإنسان كائناً اجتماعياً يؤثر الغير على نفسه، ويكوّن لنفسه أسلوبه الخاص في الحياة وتغلب فيه الناحية الاجتماعية. ويقول أدلر بالذات الخلاقة creative self ويعقد لها السيادة في بناء الشخصية، والإنسان عنده أكثر من كونه حيواناً لديه استعدادات غريزية موروثة، وأكثر من كونه نتاج البيئة، فهو مفسر الحياة ومعطيها قيمتها، وهو الذي يعيشها ثرية خصبة حافلة بالمعاني، يسعى فيها للتفوق والقوة striving for superiority، أن تكون له ذاته التي تخلق له شخصية ليست كأي شخصية، ولها أسلوبها الفريد. وأما المحدثون من أتباع نظرية التحليل النفسي في الشخصية فقد أدخلوا الكثير من التعديلات على الأنا ووظائفه، وابتعدت نظرياتهم عن وظائف الأنا الدفاعية من كبت ونكوص وإسقاط وتعيين، إلى وظائفه التركيبية والتكاملية، مركزين على عملياته السوية التوافقية العاقلة أكثر من التركيز على تكوناتها المرضية، وافترضوا أنّ الأنا لا يتخارج من الهو ولكنه يكون مثله موروثاً، ومن أمثال أفكار كهذه عن أبنية الشخصية ووظائفها ظهرت سيكولوجية الأنا ego psychology، حيث يمثل الأنا فيها نظاماً عقلياً مسؤولاً عن الإنجازات العقلية والاجتماعية، وله دوافعه ومصادر طاقاته وأهدافه. ومن ثم فإنّ النظريات الحديثة للتحليل النفسي والتي مدارها الشخصية يقل فيها الدور البيولوجي ويزيد الدور الاجتماعي في تشكيل الشخصية ودفع نموها، ويتجه البحث فيها على دور المتغيرات السيكولوجية والاجتماعية، أي على اكتساب سمات للشخصية عن طريق الخبرة والظروف الاجتماعية.

والسمة trait مفهوم من مفاهيم بناء الشخصية، ومن معانيها أنّ الشخصية تصبح لها بالسمة نزعة للاستجابة بطريقة معينة، وأولبورت (١٨٩٧-١٩٦٧) هو عمدة السماتيين، أي القائلين بالسمة، كما أنّ كاتل Cattel (١٩٤٥) هو المخطط للبناء السماتي للشخصية. وتتكون السمات من تكرار المواقف المتشابهة، والتي تتكرر بها استجابات الفرد المتشابهة أيضاً، فتتكون بذلك ما يشبه العادات السلوكية. والسمة عادة سلوكية ينقلها الفرد معه من موقف

لموقف، ومعنى ذلك؛ أنه بسبب السمات فالاحتمال أن يأتي السلوك بشكل معين. والسمات منها الرئيسي الذي يكون كالعاطفة السائدة فيطبع الشخصية بطابعه، وذلك ما نعنيه بقولنا عن شخصية إنها سادية أو ماسوشية أو مسيطرة. ومن السمات ما هو مركزي، وعادة ما توجه الشخصية عدة سمات، هي ما نحاول أن نصف به الشخصية عندما نكتب مثلاً خطاب توصية أو تزكية لصالح أحد الناس. وغير ذلك هناك سمات أقل أهمية وهي لذلك ثانوية، بمعنى أنها أقل ثباتاً وعمومية. ولا ينبغي أن يفهم أنّ السمات، وهي الوحدات التي يشتمل عليها بناء الشخصية في ضوء نظرية السمات، تعمل منفصلة عن بعضها ولكنها تعمل مجتمعة وفي توافق، وكل سلوك هو أثر مركب للسمات في الشخصية.

وأسلوب النمط type إمتداد لأسلوب السمات في وصف أبنية الشخصية، ويصنف الفرد باعتبار انتمائه إلى أحد الأنماط، بما يكون فيه من صفات أو سمات تصنع هذا النمط، فمثلاً النمط المنطوي يدخل فيه أن تكون للشخصية سمات إيثار العزلة على الاجتماع، والتأمل على الحركة البدنية. ولغة الأنماط هي أقدم وصف الشخصية، وكان أبو قراط Hippocrates في القرن السادس قبل الميلاد يقول إنّ بناء الشخصية يتوقف على الخلط humor أو السائل الذي يسري في الجسم، وأنه لذلك هناك أربعة أنماط هي الصفراوي choleric، والسوداوي melancholic، والدموي sanguine، والبلغمي phlegmatic. وفرويد كما أسلفنا يجعل الأنماط أربعة أيضاً هي نمط الشخصية الفموي، ونمط الشخصية الشرجي، ثم النمط القضيبي، وأخيراً النمط التناسلي. ويونج يجعل الأنماط إثنين هما المنطوي ونقيضه المنبسط. وقياس سمات الشخصية وتحديد الأنماط التي تشكل بناء الشخصية هو ما يسمى قياس الشخصية p. measurement. وهو عملية ضرورية لتقويم نظريات الشخصية، وبدون قيام علم للتقويم فلن يكون هناك علم للشخصية personology، أو علم نفس الشخصية personality psychology.

وعالم نفس الشخصية يهمه إلى جانب دراسة السمات الشخصية أن يقومها أيضاً ككل، أي بكل أبعادها. وكانت نزعة علماء نفس الشخصية تتجه ناحية البحث في أبنية الشخصية التي تدفع الفرد إلى السلوك بطرق مختلفة بصرف النظر عن الموقف، ولكن الاتجاه الحديث يفهم سلوك الفرد بالإشارة إلى متغيرين ولكنهما متفاعلان، وهما الفرد والموقف، أو الفرد في الموقف، فإذا كنا نعرف الشخص بما فيه الكفاية، وفي مواقف متعددة، فإنّ من الممكن القيام باستدلالات عن طريقته في الاستجابة عادة، وذلك على افتراض أنّ هذه الطريقة ستكون أقل أو أكثر نمطية، بالإضافة إلى أنه من الممكن تكوين مفهوم عن أنواع المواقف التي يمكن أن يستجيب لها الفرد بهذه الطريقة أو تلك. إذن فتقويم أية استجابة سلوكية لا يتوقف على سمات الشخصية أو نمطها ولكن على نوع الاستجابة كذلك، وعلى الموقف الذي تحدث فيه الاستجابة أو السلوك. ومن أساليب التقويم الحصول على تاريخ حياة الشخص المقوم، سواء من زملائه، أو أسرته، أو أصحابه، أو مباشرة من الشخص نفسه. ويعيب هذه الطريقة أنها إستبطانية introspective تعتمد على التذكر، والناس غالباً ينسون التفاصيل، أو يبالغون، أو يمتدحون، أو يذمون. وأحياناً تكون هناك تقارير موضوعية كشهادة الميلاد، والتاريخ المدرسي، والمرضي، وتقارير الشرطة، إلخ. وأهم من ذلك الاعتماد على كتابات الشخص أو خطاباته الشخصية، وهي بمثابة وثائق شخصية تسمح برؤية الشخص داخل حياته الطبيعية الشاملة، والقيام باستدلالات عن دوافعه وطرق تكيفه ووجهة نظره في الأمور. والمقابلة interview كذلك يمكن استخدامها لغرض التقويم والحصول على بيانات تاريخ الحياة. وهناك أيضاً الاستبيانات questionnaires التي يختار فيها المفحوص بين عدد من الاختبارات، أو يجيب على كل فقرة بنعم أو لا أو لا أعرف، ومن ذلك سميت إختبارات محددة structured tests، لأنها تحدد الاستجابات البديلة، والمثال على ذلك استبيان مينيسوتا المتعدد الأوجه

Minnesota Multiphasic Personality Inventory (MMP) وقد صمم لقياس عدد من السمات. والاختبارات الإسقاطية projective tests إختبارات غير محددة unstructures، وقد صممت على أساس تقديم مواقف لمثير غامض يقوم المفحوص بتفسيره. ويرتبط الإسقاط بالميكانيزم الدفاعي الذي يحمل الاسم نفسه، والذي ينسب فيه المفحوص الدافع للسلوك إلى آخر وليس لنفسه، ولأنّ مهمة الإسقاط تسمح بمدى واسع من الاستجابة فالاختبار يسمى لذلك إختباراً غير محدود، ولعل أشهر إختبارات الإسقاط هو اختبار رورشاخ Rorschach test ويتكون من عشر بطاقات تُعتبر المثير، ويفحص الشخص كل بطاقة ليقول ماذا تبدو له أو ماذا تشبه، وتسجل الإجابات ويتم تفسيرها في ضوء طريقة الشخص أو أسلوبه لأداء الاختبار، من أمثال تعبيراته الانفعالية أو توصيفاته الخيالية. واختبار تفهم الموضوع Thematic Appreciation Test (TAT) مثل آخر للاختبارات الإسقاطية، ويحتوي على مجموعة من عشرين رسم أو صورة غامضة معظمها من المجلات العادية، ويصور معظمها رجالاً ونساءً في مواقف وعلاقات متعددة، ويطلب من المفحوص أن يحكي عن بعض الصور أو كلها، وعما يفكر فيه أصحابها، أو يشعرون به، والأحداث التي أدت إلى هذا الموقف والنتيجة، والمفروض أنّ القصص تعكس عملية تقمص المفحوص للشخصيات المصورة، ومن ثم تكشف عن صراعاته ودوافعه ومصادر التهديد عنده، إلخ.

وهذه المقاييس وغيرها تستخدم كثيراً في حالات العلاج النفسي. وهناك اضطرابات نفسية يطلق عليها إسم إضطرابات الشخصية p. disorders، نتيجة اضطراب في نمو الشخصية يلحق ضرراً بالغاً ببناء الشخصية فيأتي سلوك الشخص منحرفاً أو سيئ التوافق، وقد يكون الضرر سماتياً أي يلحق السمات، وهو ما يسمى إضطرابات سمات الشخصية personality trait disturbances، ومن ذلك أن تكون الشخصية غير مستقرة إنفعالياً emotionally unstable personality، فلا يسيطر صاحبها على انفعالاته وتطيش

أحكامه ويضل سلوكه؛ أو تكون الشخصية عدوانية سلبية في عدوانيتها passive aggressive، فيعتمد صاحبها على الغير ويركن إليهم في سلبية، وتظهر عدوانيته بأن يكون عنيداً أو متباطئاً، لا يفهم بسرعة، ويتحرك بعد فوات الأوان، وتنتابه أحياناً فورات غضب ليس فيها أذى لغيره. والشخصية القهرية compulsive p. يعاني صاحبها من تشدد وتزمت وحنبلية تجعله يكرر فعل الأشياء، على عكس صاحب الشخصية الوسواسية obsessive p. الذي تعاوده الأفكار المتشككة دوماً. والشخصية غير الناضجة immature p. صاحبها أهوج لا يحتمل الفشل ولا الإحباط ولا الضغوط، ويتصرف في رعونة وطفولة. والشخصية الهستيرية hysterical p. صاحبها له تصرفات تلفت انتباه الناس، ويسلك بشكل زاعق، ويميل إلى مسرحة ما يقول، ويحب أن يقوله ويفعله أمام الغير. وربما يتأتى الاضطراب في الشخصية نتيجة ضرر يشمل نمط الشخصية أي تنظيمها كله، ولذلك فإنه من الصعب علاج هذا النوع من اضطرابات الشخصية، ومن ذلك الشخصية القاصرة inadequate p. التي يشكو صاحبها خوراً، وتهافتاً نفسياً، وقلة حياء، وضحالة في الأحكام، وسوء تصرف؛ والشخصية الفصامية schizoid p. وأعراضها السلوكية أن يميل صاحبها لاعتزال الناس، وأن يكتم مشاعره ولا يصرح بما يفكر فيه؛ والشخصية النوابية cyclothymic p. التي يتصف سلوك صاحبها بأنه مرة مقبل، ومرة مدبر، أو مرة يصدر عن حماس، ومرة لا يكون به العزم، وينقصه النشاط، وتنتابه حالة اكتئاب؛ والشخصية البارنية paranoid p. التي يبدي صاحبها التخوف والتشكك من الناس بدون سبب، ويميل إلى تكذيبهم، ويتصرف معهم بصلف وكبرياء؛ والشخصية التي يشكو صاحبها من هوس خفيف hypomanic p.، فيكون به اندفاع، ويتصرف بحماس ليس له ما يبرره، فهو الهوس بهذا الشيء أو ذاك، ويتكلف له ويغرب في السلوك؛ والشخصية الملانخولية melancholic p.، والملانخوليا melancholia هي السوداء أو الاكتئاب، وصاحبها يميل إلى الاكتئاب لأنه يخشى النتائج، ويخاف أن يؤذي

غيره، أو ينتج عن سلوكه ضرر، أو أن يصادم مشاعر الغير.

وقد يتناول إضطراب الشخصية توجهات الشخص الاجتماعية، وذلك ما يطلق عليه إسم إضطرابات الشخصية المعتلة إجتماعياً sociopathic p. disturbance، ومن ذلك الشخصية المعادية للمجتمع antisocial p. التي توقع صاحبها في مشاكل إجتماعية لا يتعلم منها أبداً، وتتكرر معه باستمرار، ويعاقب عليها فلا يجدي العقاب، ويظهر على صاحبها أنه لا ولاءات عنده ولا انتماءات، وهو أناني، ومحب لنفسه وغير ناضج إنفعالياً، وغير مسؤول، ومع ذلك فهو يدرك سلوكه ويعقلنه باستمرار. والشخصية اللاإجتماعية dysocial p. ينشأ صاحبها في وسط لاأخلاقي، ومن ثم فهو يحترف كل ما يصادمه بالقيم الاجتماعية في تبجج وبإصرار، وقد تكون له ولاءات إلاّ أنها لطبقة الخارجين على القانون من أمثاله. والنوع الثالث من هذه الاضطرابات هو المنحرف جنسياً sexual invert مثال اللوطي homosexual، والمستعري exhibitionist، والفيتيشي fetishist، والمتشبه جنسياً transvestite، والسادي sadist، إلخ.

ونظرية الأخلاط humoral theory من أقدم النظريات في أنماط الشخصية p. typology، وتُنسب لأبوقراط (٤٦٠ ق.م)، ومن دعواها أنّ سوائل الجسم أو أخلاطه أربعة هي: الدم، والسوداء، والصفراء، والبلغم. وقد تأتلف بنسب متساوية فيكون اعتدال المزاج واستواء صحة الجسم، وقد تختلف فيزيد أحدها فيغلب على المزاج طبع هذا السائل أو الخلط الزائد. والمزاج طبع هذا السائل أو الخلط الزائد. والمزاج الدموي - كما قلنا من قبل - يناسب الخلط الدموي، والسوداوي يناسب السوداء ((black bile، والصفراوي يناسب الصفراء، والبلغمي أو اللمفاوي يناسب البلغم phlegm. وما يذكره أبو قراط يقول بمثله تقريباً أمباذوقليس Empedocles (٤٥٠ ق.م.)، وعنده أنّ كل كائن في الطبيعة - ومن ذلك البدن الإنساني - قوامه عناصر أربعة هي: الهواء air، والتراب earth، والنار fire، والماء water، ويناسبها على الترتيب المزاج الهوائي airy temperament ويقابل

المزاج الدموي عند أبو قراط، وهو المزاج المتفائل الذي يطفر بالنشاط والحبور ويفعم بالسعادة والرضا والانبساط، فيكون لذلك متناسق التكوين من حيث ملامح الوجه والعظام والعضلات، ويغلب على انفعالاته وتسهل استثارتها في غير عمق وليس لها دوام: والمزاج الترابي earthy t. ويقابل المزاج السوداوي عند أبو قراط، ويتميز بالانطواء على النفس وضعف الصحة ونحول الجسم وكبت الانفعالات، إلاّ أنها تكون قوية وعميقة إذا استثيرت؛ والمزاج الناري fiery t. ويناسب المزاج الصفراوي عند أبو قراط، ويميل إلى المشاكسة والشغب وحب القتال، ونمط الجسم عنده قوي وعضلي، وانفعالاته عميقة وتغلب فيها الغيرة والحسد والحقد، ومن ثم تكون غالباً نكدة وتطبعها الجدية؛ والمزاج المائي watery t. ويناسب المزاج البلغمي أو اللمفاوي عند أبو قراط، وصاحب هذا المزاج بليد كسول، وبدين محب للأكل، وغير مكترث لشيء، وله وجه سمين مستدير وجلد غليظ، وانفعالاته سطحية وبطيئة، واستثارتها ضعيفة، ويغلب على حياته المرح والسرور.

وقيض لنظرية الأخلاط أن تروج لقرون إلى أن اكتشف هارفي Harvey (١٥٧٨-١٦٥٧) الدورة الدموية، وجاءت كشوف الكيمياء الحيوية لتحل الهرمونات hormones محل الأخلاط، أو أن يصبح إطلاق اسم الأخلاط مقصوراً على إفرازات الغدد الصماء التي تصبها في مجرى الدم وتؤثر في المزاج العام وانفعالية الأفراد، ومن ثم توجه سلوكهم. ولربما يصير تصنيف الشخصية بحسب ضعف إفرازات هذه الغدد أو زيادتها أو سوء وظيفتها، وبعض الناس لديهم سوء وظيفة للغدة الأدرينالية أو الدرقية أو النخامية مثلاً، وقد يكون هناك فرط إفراز hyper، أو نقص إفراز hypo، وهناك علاقة بين شكل الجسم وأداء هذه الغدد لوظائفها، وبين هذا الأداء والأحوال المزاجية لصاحبها. وقد تنسب هذه الزيادة أو النقص في الإفرازات إلى عمل الجهازين السمبثاوي والباراسمبثاوي وكلاهما يناقض الآخر، والبعض يغلب عليه الجهاز السمبثاوي sympathetic فتقل إفرازاته ويكون كبت الانفعالات أو قمعها، والبعض قد يغلب عليه الجهاز

الباراسمبثاوي parasympathetic فيكون فرط الإفرازات وإطلاق الانفعالات وإشباع الرغبات واستحداث حالات السرور والرضا والراحة.



مراجع:

Hall and Lindzey: Theories of - Personality.

Dollard and Miller: Personality and - Psychotherapy.

Vernon, P. E.: Personality - Assessment.

Welpman, J. M. and Heine, R. W.: - Concepts of Personality.



- ٧ -
سيكولوجية القلق

القلق النفسي، والقلق العضوي، والقلق العصابي. إستجابة القلق، والقلق الرهابي، وقلق الانفصال. والقلق الأولي، وقلق الأنا، وقلق الهو. القلق الاضطهادي، والقلق الاكتئابي، والقلق الهستيري، والقلق الجنسي. القلق الوجودي، والاستعداد للقلق، وعلاج القلق...



القلق anxiety في اللغة هو الاضطراب والانزعاج، وفي اللاتينية anxietas هو حالة من الوهن والخور والخوف والترقب. والقلق بوجه عام ظاهرة طبيعية تأتينا كلما أعوزنا الأمن، أو استشعرنا التهديد والمخاطر، أو كان هناك من الشر ما نترقبه أو نتوقعه. والقلق نفسي المنشأ psychogenic بخلاف ذلك فهو قلق هائم free-floating anxiety، لا يرتبط بشيء معين، وليس له مصدر خارجي، ولذلك يتميز في القلق نوعان، الداخلي المنشأ endogenous a.، والخارجي المنشأ exogenous a. أو المستثار provoked a.، أي الذي يستثيره سبب من خارج الشخص الذي يشكو القلق. فإذا كان مثير القلق شيئاً أو شخصاً قد يتسبب في إلحاق الضرر وليس الأذى، فإنّ القلق يقال إنه قلق

بسيط، والقلق الخارجي مرتبط بأسبابه ووقتي، بينما القلق النفسي دائم ولا يرتهن بسبب، وإن كان يتخذ هذا الشيء أو ذاك سبباً، ويتعلق به حتى ليبدو كما لو كان هو المصدر له، وهو في الحقيقة قلق أصيل true a.، وأساسي basic a. يدخل في تركيب المريض به، ويولد به كاستعداد وراثي ينتقل عبر الأجيال عن طريق الجينات، بدليل أنّ التداعي بهذا القلق يزيد عند ذوي القرابة الوثيقة إذا كان أحدهم مريضاً به، عنه عند غيرهم ممن لا تربطهم صلة قرابة بواحد من المرضى. وهناك احتمال قوي بوجود نمط وراثي لواحد من الجينات السائدة من شانه أن ينقل الاستعداد للإصابة بالقلق من أحد الأبوين ولا يستدعي أن ينتقل بالوراثة من كلا الأبوين. وهناك من القلق ما يكون سببه عضوياً - القلق العضوي organic a. - كحالات القلق المصاحبة لسقوط الصمام الميترالي، والقلق الذي ينشأ نتيجة اضطراب بيولوجي ويزول بزوال هذا الاضطراب بعقاقير تعيد إلى الجسم توازنه الأيضي، مثل العقاقير الكابحة للأمينات الأحادية المؤكسدة، ومضادات الاكتئاب. وقد تفيد المهدئات في القلق النفسي، غير أنها ليست العلاج له كشأن أي العقاقير، ولا علاج لهذا القلق إلاّ بما يدخل ضمن اختصاص المعالجين النفسيين وهو العلاج النفسي psychotherapy، وأحياناً العلاج السلوكي behavior therapy.

ويفرق فرويد بين نوعين من القلق، الأول القلق الموضوعي objective a.، أي الذي مصدره موضوع من خارج المريض بالقلق object a.، ويتوقف فهمه على فهم أسبابه ومن ثم يكون التصدي له بالعلاج بعلاج الأسباب، ومن ذلك القلق الاجتماعي socialized a.، وهو خوف من العقاب بسبب سلوك لا يقره المجتمع. والقلق الثاني هو القلق العصابي neurotic a.، وهو قلق عام أو هائم كما أسلفنا، يكون ترقباً مبهماً لشر مستطير قد يحذر المريض به من هذا الشيء أو ذاك، فقد يرهب الثعابين أو الفئران، أو تأتيه أعراض القلق لمجرد تواجده في أماكن مفتوحة أو أماكن مغلقة أو مرتفعة. والقلق العصابي من هذا النوع يكثر بين النساء خصوصاً، وعند المراهقين والرجال

الذين يشكون إضطرابات جنسية. ويذهب فرويد إلى تفسيره بأنه نتيجة إنحراف في تفريغ الطاقة النفسية في المجال النفسي وصرفها إلى مجالات جسمية، فتكون من ثم حالات التعب التي يشكو منها المريض بالقلق النفسي، أو أن يشكو تصبب العرق بدون أن يبذل جهداً أو يكون هناك ارتفاع في حرارة الجو، أو يدق قلبه بشدة ويغثى ويسهل، وكلها أعراض بديلة يستنفد فيها الطاقة النفسية التي استثيرت ولم تجد المنصرف الطبيعي لها في تحقيق الرغبات وإشباع الغرائز. ويطلق فرويد لهذا السبب على نوع القلق العصابي إسم القلق الغريزي .instinctual a، وهو القلق الذي تدفع إليه غرائز الحرص والحذر، مصدره الأساسي أن نكبت الرغبات التي أساسها الغرائز أو نعاني مواقف نعاقب فيها على إشباع إحداها، فنتوقع ذلك من بعد نتيجة التأثير الصادم للخبرات الماضية، ونعيش في حذر من العقاب، ويطلق فرويد على أمثال هذه المواقف إسم مواقف الخطر danger-situations، وخطورتها على الأنا هي التي تدفعه إلى الاستجابة لها بالقلق. واستجابة القلق anxiety-reaction هي ما سبق من الأعراض الجسمية، وهي ذلك الاضطراب النفسي - كالتشوش الذهني، وسوء التوجه، والنسيان، والعي في الكلام، أو العنة - قد تأتي المصاب بالقلق، كظاهرة عجز يمكن أن تلحق هذا العضو من جسمه أو ذاك وترتبط به.

وعصاب القلق a. neurosis من أبرز أعراض القلق المنتشر، ويتميز بأنه من غير سبب ظاهر، وهو مرض العصر ويصيب الرجال والنساء، فأما الرجال فلأنهم يفرضون على أنفسهم العفاف ويمتنعون عن الزواج، أو لأنهم مروا بتجارب جنسية محبطة لهم كالفشل في الحب أو في الزواج، أو لأنهم يمارسون الجماع الناقص، أو لأنهم أصيبوا بالعنة لسبب أو لآخر، ومن ذلك التقدم في السن، وأما النساء، فعند المراهقات قد يصبن بهذا العصاب لتوقع الحيض وظهور الخواص الجنسية الثانوية؛ وعند العانسات اللاتي يعانين الحرمان الجنسي؛ وعند المتزوجات إذا كان أزواجهن يجامعوهن جماعاً ناقصاً؛

ويأتي هذا العصاب الكثيرات من الأرامل والمطلقات، والنساء في سن اليأس. واستجابة القلق قد نعني بها القلق النفسي المنشأ psychogenic - الذي أساسه التجارب والخبرات النفسية الصادمة، والتي يكون فيها القلق إستجابة معممة لا تتعلق بشيء معين بقدر ما تكون سلوكاً مضطرباً عاماً يأتيه الشخص المصاب - ويشتهر لذلك باسم اضطراب القلق المعمم generalized anxiety disorder. ويصنف علماء النفس عادة إستجابة القلق بحسب المواقف المرتبطة بها، أو الأفكار التي تدفع إليها، ويُرتِّبونها في مدرج يطلقون عليه إسم مدرج القلق anxiety hierarchy. وفي العلاج السلوكي يكون فك الارتباط بين استجابة القلق والموقف بحسب ما يأتي من هذه المواقف أولاً. فالفكرة التي يكون لها التأثير الأكبر تكون لها الأولوية في العلاج، ثم تليها الفكرة الأقل في التأثير وهكذا. وهناك اضطرابات قلق في الطفولة والمراهقة anxiety disorders of childhood and adolescence يميزها القلق ذو الطابع العام، ومن شأن ذلك أن يسلك الطفل أو المراهق السلوك التجنبي، أي الذي يتجنب به أن يدخل المواقف الصادمة له، كما في القلق الرهابي phobic anxiety المرتبط بالفوبيا أو الرهاب، كأن نخشى مثلاً أن نتواجد داخل المصاعد، أو نخاف المشي في الشوارع والساحات، فتأتينا النوبة في شكل هلع نفسي تصحبه الأعراض الجسمية للقلق، أو كما في الاضطراب الذي يُطلق عليه إسم إضطراب القلق الزائد overanxious disorder، ويكون أيضاً في الطفولة خصوصاً، وذلك أننا في الطفولة يكون الأنا غير ناضج، ومن ثم يكون دخولنا خبرات نحن غير مؤهلين لها، ولا تناسب عمرنا، مما يجعل الأنا يستجيب باستجابة القلق، ويعممها على أية مواقف مماثلة نحذرها ونخشى مغبتها، وذلك ما نراه عند البعض كلما تواجدوا في مواقف الاختبارات. وفي الطفولة أيضاً قد نعاني اضطرابات قلق الانفصال separation-anxiety disorder، وهو يأتي الكثيرين ممن لديهم الاستعدادات بالتداعي بالقلق كلما كان انفصالهم عن أحبائهم أو الشخصيات

التي لها أكبر التأثير في حياتهم، أو حتى انفصالهم عن البيئة التي عاشوا فيها. وتتوفر الخبرة بالانفصال من الطفولة، وخاصة عندما يعاني الطفل من الانفصال عن أمه، وينمو به هذا القلق حتى لتأتيه الأفكار بأنّ أبويه ربما يصيبهما مكروه وهما بعيدان عنه ويقلق على مصيرهما، أو قد تأتيه المخاوف أنه سيضل لو انتزع من أمه، أو أنّ أحداً سيختطفه أو يقتله. ومن شأن الذي يستشعر هذا القلق أن ينتحي بنفسه بعيداً، ويرين عليه الاكتئاب وينسحب على نفسه. ومن مظاهر ذلك أن يرفض الطفل التوجه إلى المدرسة، أو يتمارض ليظل إلى جوار أمه. ويتمثل قلق الانفصال separation a. بشكل طبيعي في بكاء الطفل وما قد يبديه من اهتياج نتيجة ابتعاده عن أمه. والطفل يتمثل الأم في أول حياته إمتداداً له، وانفصاله عنها بين الحين والآخر يجعله يدرك أنهما موضوعان مختلفان، ويؤهله هذا الانفصال للاستقلال عنها، إلاّ في الحالات التي يتثبت فيها القلق. وتثبت القلق anxiety fixation من إصطلاحات مدرسة التحليل النفسي، ويعني أنّ من القلق ما يمكن أن يتثبت من الطفولة ويلاحق صاحبه على مراحل العمر المختلفة وحتى الموت. ولا يكون هذا التثبيت عادة إلاّ مع الاستعداد للقلق anxiety preparedness، وهو هذه الرهافة للأحداث، والتوتر العصبي، والحساسية الزائدة التي يتميز بها البعض عصبياً وتأتيهم وراثياً. وقيل إنّ الاستعداد للقلق يكون القلق البدائي primal anxiety، أي أننا عندما نولد نعاني أول ما نعاني الانفصال عن الرحم، بالولادة وما يصاحبها ونلقى إلقاءً في عالم، مع الوجود به تكون هجمة الأحاسيس والاستثارات، ويستقبلها أغلبنا كالصدمة. ويتحدث بعض العلماء عن صدمة الميلاد birth trauma ويقصدون بها هذه الهجمة السابقة والتي يفاجئنا بها الميلاد، والتي بها نعرف - لأول مرة وللأبد - القلق الذي يكون أساساً لكل قلق لاحق، يتولد عنه وينبني عليه. والقلق البدائي بخلاف القلق الأوّلي primary anxiety، حيث هذا القلق الأخير قد يصاب به البعض عندما تكون الخبرة

صادمة وأكبر من أن يحتملها الأنا، فينهار أمامها ويتحلل بها تماسكه. ويوصف القلق حينئذ بأنه أولي لأنه يتعلق بما يجري للأنا، على عكس نوع آخر من القلق يطلق عليه فرويد إسم القلق الإشاري signal anxiety أو التحذيري، الذي يأتينا فيكون بمثابة المنبه أو المحذر للأنا حتى يستعد للحدث الصادم الوافد. ومن شأن هذا القلق المحذر، أن يتقوى به الأنا، أو أنه يصنع للأنا مناعة ضد الأحداث الصادمة من نوع ما.

وقد تلفت النظر مظاهر القلق عند الأطفال الرضع، وذلك ما يجعل البعض يتحدثون عن القلق الفموي oral anxiety، أو القلق من المرحلة الفموية، وهو اصطلاح آخر لقلق الانفصال الذي يترتب على المعاناة من الابتعاد عن الأم والحرمان من الثدي. وبعض الأمهات إما يرضعن أطفالهن بطريقة لا يستشعر الطفل معها بحنان الأم، ولا يحس أنه والثدي موضوع واحد، وإما يكن أمهات نابذات rejective mothers، يرفضن أطفالهن، ويرهبن الإرضاع كتوهُّم لأن يبتلع الطفل الثدي، أو بمعنى مجازي أن تتوه ذات الأم في واقعها كمرضعة، وتنسى نفسها في هذه الوظيفة. ويسجل علماء النفس حساسية شديدة للأطفال لتقبل الأبوين لهما، حتى بالنسبة للطفل الوليد، عن طريق الإحساس الجلدي، وما يستقبله الطفل من أصوات أو صور منفرة أو مشجعة. والشح أو الفقر في الأحاسيس له مخاطره، كما أنّ لفرط هذه الأحاسيس محاذيره عندما لا تكون أحاسيس إيجابية، أو تكون محبطة. واستجابة الطفل لهجمة الأحاسيس بعد الميلاد، أو في المواقف الحياتية التالية، تولد فيه نوعاً من القلق يسميه فرويد القلق الآلي automatic anxiety، لأنه قلق طفولي يأتي تلقائياً، وأوتوماتي، ومصدره إما موضوع خارجي، أو من داخل الشخص نتيجة حساسية ورهافة في الطبع، إلاّ أنّ أغلبه مصدره ضعف الأنا وتهافته، وعدم نضجه من الطفولة، فإذا هاجمته دوافع داخلية من الهو فإنّ الأنا يستجيب بالقلق الطفولي أو التلقائي السابق، ويصف فرويد نوعه الذي مصدره الهو أو رغباته، بأنه قلق الهو id-anxiety، ويصفه أيضاً بأنه قلق الأنا ego-

anxiety، باعتبار أنه قلق داخلي المصدر، يستجيب به الأنا لما يعاني منه من رغبات أو دوافع غريزية. وقلق الأنا يختلف عن القلق العادي أو البسيط كما سبق، وذلك لأنّ القلق العادي يكون بفعل الخوف، أو أنّ الغالب فيه استجابة الخوف، والخوف لا يتحصل إلاّ لوجود موضوع خارجي يهدد الأنا على الحقيقة، بينما تكون مخاوف الأنا فيما يسمى القلق النفسي النشأة: مخاوف متوهمة من موضوعات خارجية، وهي متوهمة لأنّ القلق أصلاً داخلي وهائم ومعمم، ويمكن أن يتلبس أي موضوع فيبدو مرتبطاً به.

وقد تكون إستجابة القلق من الاستجابات المصاحبة لاضطرابات أخرى، ففي اضطرابات الاكتئاب قد يظهر القلق بشكل أكثر تعقيداً، إذ يترافق والخوف على الموضوعات الطبية الأثيرة من المريض، أو الخوف على الأنا من الانهيار والتداعي والتحلل، ويطلق العلماء على ذلك إسم القلق الاكتئابي depressive a.. وهناك أيضاً القلق الهذائي paranoid a. الذي منشؤه تحسُّب الشر من الآخرين، والاعتقاد خطأ بأنهم مصدر خطر، ويسمى أيضاً القلق الاضطهادي persecutory a. والقلق الهستيري hysterical a. غالباً ما يكون من أعصبة الطفولة، والعرض الرئيسي فيه الخوف الذي يتعلق فيه القلق العام بموضوع معين يمثل رغبة مكبوتة أو محرمة، ويعم الخوف بمثابة التحذير للأنا لينتبه للموقف فيتجنبه، أو أنّ الخوف الداخلي يسقط على شيء خارجي فيصبح مصدراً للخوف، ومن ثم مصدراً للقلق كلما واجهناه. ومن مظاهر هذا القلق أنه قد يكون فجائياً وقد نتوقعه، وما لا نحذره نطلق عيه إسم القلق التلقائي spontaneous a.، وما نتوقعه نسميه القلق المتوقع anticipatory a.. وتكون الرغبات الجنسية من دواعي استدعاء القلق عند الكثرة، وتفجر الاستثارات الجنسية أعراضه، وتكون بداية لنوبة من نوباته. وقد يكون الخوف من بلوغ الهزة الجنسية مدعاة للقلق الجنسي sexual a.، وقد يتحصل ذلك من وقوع نوبة قلق مع ترافق الهزة، فتكون النتيجة خشية بعض النساء والرجال من التجربة، فيكون تماسكهم أحياناً وامتناعهم أحياناً، وقد يصابون

من ذلك بالعنة. وقد تبين أنّ إدمان الخمر المخدرات قد تستحدثه محاولة البعض السيطرة على أعراض القلق عندهم، أو التحكم في المخاوف التي تدفع إليها. ومثلما يكون القلق إستعداداً موروثاً أو نولد به، فإنّ ما نتعلم أن نخافه يكون إشراطياً، فوقوع نوبة القلق خلال قيامنا بأمر من الأمور يجعلنا نكتسب بالتبعية الاستجابة لهذا الأمر بالقلق، فإذا حدث مثلاً وكنا نركب المترو وانتابنا القلق، فلسوف تأتينا استجاباته الجسمية كلما وجدنا أنفسنا في نفق لا ارتباط بينه وبين النفق الأول، وذلك من تأثير ما يقال له التعلم الشرطي. وقد يكون تعلم استجابة القلق بميكانيزم تعميم المنبه، فالمريضة التي تزور جارتها وتشاهد قطة عندها تلاعبها، فقد تأتيها النوبة فتتجنب من بعض كل القطط ثم كل الحيوانات ذات الفراء. أو قد يكون تعلم استجابة القلق عن طريق التعلم بالمكافأة، ومن أبرز هذا التعلم أنّ إعطاء التعويضات المالية عن العجز لمريض بهذه الأعراض قد يؤدي إلى تدعيم المرض. وقد يدعم المرض أن تخف النوبة لو أنّ المريض هرب من الموقف المحرج له، أو تجنب الموقف الذي يخشاه، فتعمل هذه الراحة المتحصلة على تدعيم السلوك الهروبي، أو السلوك الاجتنابي، كلما توقعنا القلق. ومن المألوف أن يلتمس البعض الخلاص من القلق أو التخفف منه بأساليب، منها أن يلتزم قراءة القرآن، أو يحمل إحدى الرقى، أو يردد التعاويذ. وبعض الأطفال يحملون معهم لعباً تشعرهم بالأمان، ومن المصطلحات الشائعة إصطلاح «بطانية الأمان» security blanket، فبعض الأطفال يشعرون الأمان من القلق بتمسكهم ببطانياتهم، حتى ليحملونها معهم أينما باتوا، وكلها من آثار التعلم الشرطي، فكما نتعلم الربط بين مواقف معينة والخوف، فكذلك يمكن أن نربط بين أشياء معينة والشعور بالراحة والخلاص، والكثير من المرضى بالقلق تكون لهم بطانيات أمنهم التي يصحبونها باستمرار، للتخفف من القلق، أو لمنع النوبة، أو لمواجهة الخبرة بطريقة ما.

ويقوم العلاج النفسي للقلق النفسي المنشأ على تبصير المريض بحالته بعد

الاستماع إليه، وربط أعراضه بأسبابها من حياته الخاصة، سواء كانت هذه الأسباب ضغوطاً خارجية حالية أو من ماضيه، وتقوية الأنا لتحمل هذه المواقف.

وكذلك يقوم العلاج السلوكي على نزع الخوف وترقب السوء من المريض بالقلق المرتبط بمواقف معينة، بتعويده على هذه المواقف مجازاً وحقيقة، وإعادة تعليمه حتى لا يكون به هذا الخوف منها. غير أنّ الخلاص من القلق بالكلية مستحيل، وإنما يتم التخفف منه، وقد نتخلص من نوباته، ولكنه يظل مع ذلك قلقاً هائماً وإن كان بسيطاً، وقد تتعاورنا حالة القلق والخلاص منه، وتتفاوت نوباته زمنياً.

ويبدو أنّ القلق لم يتطرق إليه بالبحث قبل فرويد Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٥) سوى الوجوديين existentialists، وأخصهم الفيلسوف كيركجارد، ومعظم كتاباتهم يبرز فيها الطابع التحليلي النفسي. والقلق الوجودي existential anxiety هو قلق عام يصاحب اكتشاف المرء لذاته، وشعوره بأنه حر، وتلزمه المسؤولية في الاختيار، وكلما يختار يعيش القلق. ولعله لهذا السبب يطلقون على هذا العصر الذي نعيشه إسم زمن القلق age of anxiety.



مراجع:

- Sartre: L'Etre et le Néant.
- Rank, Otto: The Trauma of Birth.
- Kiergaard: The Concept of Dead.
- Freud: The Problem of Anxiety.
- May, R.: The Meaning of Anxiety.
- Eysenck, H. J.: The Dynamics of Anxiety and Hysteria.



- ٨ -
سيكولوجية الإسقاط

الإسقاط والتهرب من التبعة وتبرير الخطأ. الهذاءات والإسقاط. العلاج النفسي الإسقاطي علاج مساعد...



الإسقاط projection عملية دفاعية نمارسها كثيراً في حياتنا اليومية، وننقل بها اللوم للآخرين بدلاً من أن نوجهه لأنفسنا، وننسب بها فشلنا وتقصيرنا لغيرنا، ونسقط من خلالها مشاعرنا الدونية، أو دوافعنا المحظورة إجتماعياً أو أخلاقياً، أو غير المرغوبة من الأنا الأعلى أو الضمير أو قوى الضبط الأخلاقي، على موضوعات من العالم الخارجي أو أشخاص غير أنفسنا. ويتم ذلك بالعديد من الطرق، فالطفل الصغير يتخلص من المساءلة بأن يقول عن الطفل الآخر إنه الذي بدأه بالضرب، والرجل الذي يتورط أخلاقياً مع فتاة يتحلل من المسؤولية بأن يتهمها بأنها أغوته، والذي يغش يستشعر راحة داخلية عندما يقول إنّ كل الناس تفعل ذلك، وإنه لا أحد بمنجاة من الخطأ أو الخطيئة، والمتعصب لدينه أو لوطنه أو لطبقته الاجتماعية أو لحزبه قد يقول نحن لا نكرههم بل هم الذين يكرهوننا، ونحن لم نبدأهم بالعداء بل هم الذين يناصبوننا العداء، ومن ثم فإنّ الإسقاط وسيلة من وسائل التهرب من التبعة، وإلقاء وزر الأمور السيئة على الآخرين، وتبرير للسلوك الخاطئ. وقد نشعر ونحن نمارس الإسقاط ببعض الراحة، ونتخفف من ضغط الإحساس بالمسؤولية، وقد يزايلنا عذاب الضمير، ونتخلص من مشاعر الذنب، إلاّ أنّ ذلك يكون على حساب تزوير الحقيقة، والمغالطة في النطق، وتشويه الواقع. وربما كان يفيدنا أن نلجأ إلى الإسقاط في حياتنا العادية، فالقليل منه قد يفيد وتستقيم به حياتنا نوعاً ما، عندما نستشعر عجزاً عن أن نكون واقعيين، أو أن نغير واقعاً، وذلك قصور إنساني فينا يظهر بشكل أو بآخر ومع آحاد الناس كبيرهم وصغيرهم، إلاّ أنّ الإسقاط عندما يكون نمط السلوك المفضل أو الدائم لدى الفرد، فإنّ من شأن ذلك أن يفسد علاقته بالآخرين، ويشوه الواقع المنظور، ويسيء إلى الفرد نفسه وإلى من يتعامل معهم، فيشككه فيهم، ويملأه بالحقد عليهم، والكراهية لهم. وقد يشعر بعض الناس الذين تواجههم مشاكل لا يستطيعون لها حلاً، أنهم يعيشون في عالم معاد لهم يتهددهم من كل جانب، ومن كل الناس.

وقد لا يقوون على أن يردوا السبب في ذلك لأنفسهم، فينسبون مشاكلهم لغيرهم، ويسقطونها عليهم، ويتصورون أنهم يكيدون لهم ويدبرون ضدهم المؤامرات، وقد يغالون أكثر من ذلك فيتوهمون أنهم يطاردونهم ويقتفون أثرهم، أو يتبصصون عليهم من النوافذ، أو يرسلون في أثرهم الجواسيس. ولو استشعروا أنه تأتيهم أفكار لا يرضون عنها، ويحاولون أن يتنصلوا منها، وأن يتخلصوا من إسارها، فيعجزون، فتلح عليهم، فقد ينسبون هذه الأفكار إلى غيرهم ويدعون عليهم أنهم يسحرون لهم، وأنّ سحرهم يصلهم ويغويهم ويملأهم بالأفكار «القذرة مثلهم»، وتلك أعراض يقال لها الهذاءات delusions، وهي من الظواهر المرضية للفصام من النوع البارني أو الهذائي، ومن نتائج عملية الإسقاط.

والعلاج الإسقاطي p. therapy أحد طرق العلاج النفسي التي يستعين فيها المعالج النفسي بالطرق والاختبارات الإسقاطية p. technique and tests، لسبر أغوار الشخصية، وتكوين صورة كلية عنها. ويعكس العلاج الإسقاطي مفاهيم التحليل النفسي. ويمهر المعالج الإسقاطي في تفسير ما تظهره نتائج الطرق والاختبارات الإسقاطية التي منها بقع الحبر ink blots، والصور الغامضة ambiguous pictures، والجمل الناقصة incomplete sentences، والرسم الإسقاطي p. drawing، واللعب الإسقاطي p. play، والسيكودراما psychodrama، وكلها أساليب الغرض منها تعويض المفحوص لمواقف تستثير فيه كوامنه، وتكشف عن ديناميات شخصيته، وعن دوافعه وصراعاته وانفعالاته ونزعاته المكبوتة أو المكفوفة، ورغباته التي لم تتحقق والتي تتطلب الإشباع. وتقوم فكرة العلاج الإسقاطي على أنّ المفحوص الذي يشكو اضطراباً نفسياً سيستجيب للمنبهات الإسقاطية، بأن يسقط عليها ما يجيش داخله فيه من أفكار ومشاعر ورغبات، فينسج حول البقع مثلاً حكايات ويتخيل لها موضوعات، أو يستكمل جملة ناقصة ويستطرد حتى ليكون ما يكمله قصة، أو قد يرسم ما يراد منه رسمه، أو يتخيل

في الدمى المقدمة له أشخاصاً يعكس وجودهم وجود أشخاص حقيقيين في حياته من عائلته أو معارفه، ويكشف عن اتجاهاته نحوهم فيما يصدر عنه من تعبيرات لفظية أو انفعالية وغير ذلك من السلوك الظاهر، أو يتخيل نفسه في مشهد مع شخص وهمي أو حقيقي يمثل من يعرفهم المفحوص في الحياة، كالزوج أو الزوجة أو الأب، ممن يتعامل معهم فيما يهمه ويضطرب له ويعيشه بكل انفعالاته. ويرصد المعالج النفسي ذلك كله وسلوك المفحوص وتردده، والزمن الذي استغرقه في الاستجابة، وما يتكرر من استجاباته، وما كان مثيراً أكثر من غيره، ويعكف على دراسة ذلك كله، ويغير في الاختبارات ويستعيد المشاهد ليتأكد مما لاحظه، ويحاول تفسيره بما له من دراية وعلم في ضوء المدرسة السيكولوجية التي يتبعها، والغرض من الاختبارات الإسقاطية التي يجريها. وهو إذ ينتقي الأسلوب والاختبار الإسقاطي للحالة التي يعالجها، إنما يختار الأنسب لها، وعندما ينتقي من الاستجابات عليه أن يختار ما يرى أنه أكثر تعبيراً عن حالة عميله. وهو يقرأ الاستجابات على المفحوص ويطلب منه التعليق عليها والتداعي لها بطريقة التداعي الحر free association في التحليل النفسي. وبديهي أنّ هذه الطريقة في العلاج لا تصلح مع الحالات المرضية الشديدة، ولا تصلح وحدها للعلاج، وإنما هي طريقة مساعدة، ولا بد فيها أن يكون المريض واثقاً من المعالج، وراغباً في العلاج، ومؤملاً في نتيجته، بحيث يساعد المعالج النفسي عليه.



مراجع:

- Rabin, A.: Projective Techniques in Personality Assessment.
- Frank, L. K.: Projective Methods for the Study of Personality.
- Rorschach, H.: Psychodiagnostics.



- ٩ -
سيكولوجية الإحباط

الإحباط ومسبباته. جماعة ييل وفروض الإحباط العدوان، والإحباط النكوص، والإحباط التثبيت. إحتمال الإحباط. الإحباط قد يعوق الأنا أو الأنا الأعلى. العدوان المترتب على الإحباط واتجاهاته...



الإحباط frustration حالة نفسية تترتب على إعاقة السلوك نحو هدف أو إشباع حاجة أو دافع، وربما يكون العائق خارجياً من بيئة معادية، أو ظروفاً إجتماعية غير مؤاتية، وربما يكون داخلياً نتيجة قصور في الشخصية، أو صراعات نفسية، أو مشاعر ذنب تقعد بالمرء عن تحقيق ما كان يريد تحقيقه. وقد يستجيب المرء للإحباط بالعدوان، أو بالنكوص، أو بالتثبيت، وقد يستمر على المحاولة ويثابر عليها ويغالي فيها، أو تقل دافعيته بمجرد الفشل في المحاولة الأولى، فيكف عن المحاولة، أو يقل عدد محاولاته. ويقوم فرض جماعة ييل Yale group (التابعين لجامعة ييل في كونيتيكيت بالولايات المتحدة)، المسمى فرض الإحباط - العدوان frustration-aggression hypothesis على دعوى أنّ الإحباط قد يؤدي إلى العدوان الصريح أو الضمني، وأنّ وجود العدوان في موقف من المواقف يعني أنّ هناك إحباطاً يدفع إليه ويستحثه. وأما فرض الإحباط - النكوص frustration-regression hypothesis فيقوم على زعم أنّ الإحباط قد يستجيب له الفرد بسلوك أقل نضجاً لا يتناسب مع المتوقع منه في مثل عمره، كأن يتصرف الرشيد كالمراهقين أو كالأطفال وهو المقصود بالنكوص. وهناك أيضاً فرض الإحباط - التثبيت frustration-fixation hypothesis وهو أن يدفع الموقف المحبط الفرد إلى أن يكرر السلوك المخفق نفسه، وكأنما قد تثبت معه هذا السلوك لمثل هذا الموقف، أو كأنما قد ارتبط الاثنان مع تكرار الموقف واستمرار المشكلة، ولا يحيد المفحوص عن هذا التثبيت ويتخلص منه إلاّ بالترشيد أو التوجيه guidance.

واحتمال الإحباط frustration tolerance هو الاصطبار على التوتر والقلق اللذين يترتبان على العجز عن إشباع

مطلب أو دوافع، أو بسبب تأجيل هذا الإشباع لأجل قد يطول. واحتمال الإحباط ضرورة من ضرورات التطور النفسي، وبه يقوى الأنا وتتماسك الشخصية ولا ينفرط عقدها، وضعف هذا الاحتمال أو العجز عن مدافعة إلحاح الحاجة للإشباع الفوري يعني أنّ الشخصية تشكو ضعفاً نسبياً في البناء.

واختبار الإحباط المصور لروزنتسفايج Rozenzweig picture-frustration test إختبار إسقاطي، منه نوع للأطفال من ٤ إلى ١٣ سنة، ونوع للراشدين من ١٤ سنة فأكثر، ويحتوي على مجموعة من الرسوم الكاريكاتورية، كل منها لشخصين في موقف محبط، وأحد الشخصين هو العائق والمسبب للإحباط، والثاني هو الضحية والذي يعاق مسعاه ويستشعر لذلك الإحباط، والأول يقول شيئاً، والمفروض أن يكتب المفحوص ما يخطر على باله كرد أو استجابة على ما يقوله الأول. والموقف المحبط إما من النوع المعوق للأنا ego-blocking، ويحال فيه مباشرة بين المرء وما يصبو إليه، بعائق شخصي أو لا شخصي، وإما من النوع المعوق للأنا الأعلى superego-blocking، كأن يكون سباباً موجهاً للثاني، أو اتهاماً يكيله له الأول. وتقوم دراسة الإحباط المصور على فرض أنّ المفحوص يتعين بضحية الإحباط في كل صورة، ويُسقط ميوله الاستجابية فيما يقدم من ردود فعل مكتوبة أو شفوية. وعند تقويم الاختبار تصنف كل إستجابة طبقاً لنوعها واتجاه العدوان. وتشمل أنماط الاستجابة نمط غلبة العائق obstacle-dominance، أي أنّ ما يسترعي الانتباه في الاستجابة هو توجهها لحماية الفرد الضحية، ونمط إلحاح الحاجة need-persistence، بمعنى أنّ الاستجابة للموقف المحبط يغلب فيها أنّ الضحية لا يستسلم للموقف، ويحاول أن يتقدم بحل للمشكلة المسببة للإحباط. ويتجه العدوان في الإحباط إما إلى البيئة extrapunitive aggression، وإما إلى ذات الشخص intropunitive aggression، وإما يكون العدوان طائشاً لا وجهة له، ويحاول به صاحبه أن يصرف فيه طاقته العدوانية دون التورط في الموقف المحبط.



مراجع:

Dollard and Miller et al: - Frustration and Aggression.



الباب الثامن

الاختبارات النفسية
في خدمة الحياة المدنية والصحة النفسية
التربية والتعليم والإعلام

\- ١ -

إختبار بنتر وكاننجهام للمرحلة الابتدائية

Pinter-Cunningham Primary Test

يستخدم هذا الاختبار منذ سنة ١٩٢٣، ويعد من أفضل الاختبارات الجماعية لأطفال المرحلة الابتدائية، ولا تزيد الاختبارات اللاحقة عليه من نوعه على ما يشتمل عليه من موضوعات، وله ثلاث صور أ و ب و ج، وكل صورة تشتمل على سبعة إختبارات فرعية، الأول: إختبار الملاحظة العامة common test observation، بأن يطلب من المفحوص أن يؤشر على الأشياء اللازمة تحت عنوان عام، كأن تكون ما نحتاجه إذا كان خروجنا والدنيا تمطر. والثاني: إختبار إدراك الفروق الجمالية aesthetic differences test بأن يعرض على المفحوص مثلاً ثلاث صور لمنزل ويطلب منه أن يحدد أيها الأجمل. والثالث: إختبار تحديد الأشياء المترابطة associated objects test بأن تعرض على المفحوص مجموعة من الصور، بينها صورتان لشيئين مترابطين، كأن يكونا دجاجة وبيضة، فيميز الصورتين بما بين الشيئين من الترابط.

ومن الاختبارات الفرعية تمييز الأحجام discrimination of size test بتحديد أطوال الملابس أو أحجامها اللازمة لشخص في صورة، بأن تكون استجابة المفحوص بأنّ هذا الحذاء أو ذلك الجورب كبير أو واسع جداً، أو صغير أو ضيق جداً، أو مناسب. واختبار أجزاء الصورة picture parts test ويشتمل على مجموعات من الصور متزايدة في الصعوبة لأطفال وحيوانات ولعب مختلفة، وغير ذلك مما يمكن أن يوجد متحققاً كأشياء مستقلة متعينة ضمن أشياء أخرى، وعلى المفحوص أن يبحث بينها عن تلك الأشياء الموجودة في الصور، أو التي يمكن أن تلحق بها. واختبار إكمال الصورة picture completion test بأن تقدم الأشياء المكملة لها ضمن أشياء أخرى، ويطلب من المفحوص إستخراجها. واختبار الرسم بالنقط dot drawing test بتقديم مربعات منقطة،

ويطلب من المفحوص أن يصل بين النقط ليصنع رسوماً كالرسوم التي في المربع النموذج.



مراجع:

- Encyclopedia of Psychology. Search Press.



- ٢ -

إختبار بندر جشطلت
Bender Gestalt Test

إختبار شخصية يلقي الضوء على بناء الشخصية وديناميـاتها، واختبار كلينيكي صممته بندر سنة ١٩٣٨ ليكشف أساساً عن التلف العضوي بالمخ الذي يمكن أن يترتب عليه تشوه في الإدراك، حيث قد تبين أنّ أكثر الأعراض شيوعاً في اضطرابات المخ العضوية تقع في المجال الإدراكي البصري الحركي وفي الذاكرة، ومن ثم فقد كان إسم هذا الاختبار «إختبار بندر جشطلت البصري الحركي» Bender Motor Visual Gestalt Test.

ويتكون الاختبار من تسع بطاقات عليها أشكال هندسية أو أنماط أو جشطلت من النوع نفسه الذي سبق أن استخدمه فيرتهايمر من مؤسسي مدرسة الجشطلت في تجاربه على الإدراك البصري.

وتفسر بندر Lauretta Bender (١٩٣٥) نتائج الاختبار وفق مفاهيم الجشطلت. وقد ظل الاختبار يطبق على الأطفال والراشدين إلى أن قننه وصححه كمياً على عينة من الراشدين باسكال وسوتيل، على أساس نوعية الأخطاء التي تميز الأسوياء من غير الأسوياء. وتعطى البطاقات تباعاً للمفحوص فيحاول أولاً أن يقلد رسماً، ثم يحاول من بعد أن يرسمه من الذاكرة.

ويُستخدم الاختبار علاوة على ما سبق كاختبار يقيس نضج الأطفال، حيث قد تبين أنّ الطفل المتوسط حتى سن الرابعة لا يستطيع أن يقلد في الرسم إلاّ شكلاً بسيطاً واحداً، بينما يستطيع طفل السابعة أن يقلد رسمين بدقة، في حين

يتمكن طفل العاشرة أن يرسم الأشكال كلها بإتقان إلاّ شكلاً واحداً، وعلى العكس فإنّ الطفل المصاب بالفصام لن يرتقي في رسمه مع تقدمه في العمر وسيظل على حاله يرسم دوائر مرتجلة. ويدل العجز عن التمييز بين الأشكال على اضطراب في التنظيم الإدراكي، كما يدل العجز على نقل الزوايا والنقط والمنحنيات بدقة على اضطراب في التنسيق البصري الحركي، وفي بعض الحالات قد يكون مؤشراً على عدم اتزان إنفعالي. وقد يطلب من البعض إضفاء معنى على الأشكال، وقد يقال مثلاً إنّ صف النقط هو سرب من الطيور، والتفكير العيني من هذا القبيل قد يكون تفكيراً مريضاً يوحي بأنّ صاحبه يعاني من مرض عضوي بالمخ أو من الفصام. وقد يعكس الطفل الأشكال بحيث يكون اليسار يميناً واليمين يساراً، ومن دأب صغار الأطفال، والأطفال الذين يعانون من صعوبات في القراءة، والذين يفضلون استخدام اليد اليسرى على اليمنى، أن يفعلوا ذلك ولو فعل الراشدون مثلهم رغم عدم أميتهم، لكان ذلك مؤشراً على اضطراب أعمق.

والبعض قد يدأب على تكرار النمط نفسه دون تغيير، وهو مؤشر محتمل على تلف بالمخ. وقد يميل البعض إلى المغالاة في تبسيط الرسوم، وهو ميل طفولي يوجد عند الذين يعانون نقصاً عقلياً أو تلفاً عضوياً في المخ. ولعله من سمات السيكوباتيين أن يتعجلوا في رسومهم، ولا يجهدوا أنفسهم، وتكون رسومهم المنقولة ضخمة، والخطوط فيها لا تلتقي. وتذهب «بندر» إلى أنّ ميلهم إلى ترك فراغات يدل على عجز فيهم عن إتمام أي عمل، والرغبة عندهم على أن يتركوا لأنفسهم فرجة أو فسحة تكون مخرجاً لهم في أية مواقف، بسبب شعورهم الدائم بالقلق والشكوك التي تساورهم باستمرار.

ولقد تعرض اختبار بندر جشطلت للكثير من الدراسة والبحث، وكانت هناك اختلافات كثيرة في تفسير الرسوم قبل وبعد الإصابات في المخ والتجارب الصادمة. وأظهر الاختبار جدواه في التشخيص السيكايتري، وما يزال يحافظ على قيمته كأفضل اختبار للمهارات البصرية الحركية.



مراجع:

Tolor and Schulberg: An Evaluation - of the Bender Gestalt Test.



- ٣ -
إختبار التداعي اللفظي
Word Association Test

إختبار إسقاطي يسبق كل الاختبارات والوسائل الإسقاطية الحالية تاريخياً بما لا يقل عن نصف قرن، ويستخدمه التحليليون كثيراً، وأذاعوا استخدامه، ويستخدم من قبل السيكايتريين لتشخيص الاضطرابات الانفعالية، ومن قبل علماء النفس لدراسة عمليات التفكير ومعوقاتها، ومن قبل علماء الاجتماع في دراساتهم على الاتجاهات والتعصب، ومن قبل المهتمين بالتسويق السلعي لكشف التوجهات النفسية للعملاء من جهة أسماء الشركات المنتجة أو أسماء السلع.

وقد وضع هذا الاختبار جالتون Galton لأول مرة سنة ١٨٧٩ في دراساته على الفروق بين الأفراد، ثم استخدمه كريبلين Kreapelin سنة ١٨٩٢ في دراسته على الشواذ، ووصفه بدقة، واستعان به فونت Wundt (١٨٣٢-١٩٢٠) في بحوثه النفسية المختبرية، وروج له المحللون النفسيون.

وكان أول أبرز اختبار تداعي للألفاظ هو اختبار أو قائمة يونج Jung Free Association Test، وتضم مائة كلمة إختارها بعناية لتمثل في رأيه مركبات أو عقداً إنفعالية، فإذا تليت على المفحوص تباعاً فإنه يستجيب لها بكل ما تستثيره فيه هذه الكلمات من أفكار أو وجدانيات تتعلق بها من قريب أو بعيد، وهو من خلال استجاباته يسقط دخائله ويكشف عن دينامياته اللاشعورية.

ويتكون اختبار تداعي كنت روزانوف Kent Rosanoff Free Association Test سنة ١٩١٠ من مائة كلمة أيضاً، إلاّ أنها عن أسماء أو أوصاف ليست لها مدلولات إنفعالية مثل «جبل ومنضدة، وفاكهة، وبارد، وحلو، إلخ». والمفروض أنه في حالة ما إذا كان المفحوص يشكو

اضطراباً إنفعالياً، أن تمس الكلمات المنبهة مناطق مؤلمة، وتستثير وجدانات وأفكاراً تسعى إلى التعبير عن نفسها شعورياً، وهي ليست في الحقيقة عفوية لأنها ذات دلالة.

ويتألف إختبار تداعي رابورت وجيل وشافر Rapport-Gill-Schafer Association Test من ستين كلمة قد اختيرت على طريقة كلمات يونج، على أساس أنها كلمات ترتبط بصراعات نفسية جنسية. وللاختبار هدف مزدوج هو المساعدة على اكتشاف التلف في عمليات التفكير، والإشارة إلى مناطق الصراع الداخلي ذات الدلالة. وتحلل النتائج بالنسبة إلى أنّ هذه الاستجابات قد تكون إستجابات عادية مألوفة ومطروقة، أو استجابات غير عادية وخاصة بالنسبة لصاحبها، وبالنسبة لزمن الرجع وسرعة أو بطء ردود الفعل، وما قد يواكب التداعيات من اضطرابات قد يعبر عنها في شكل تعطيل للتداعي أو تخلف عنه أو كف لعملية التداعي. وقد يتسم التداعي بالسرعة والثراء في الألفاظ والتعبيرات والتفرد في المضمون. وقد تكون بالتداعيات ميوعة وتفكك. وقد تكون تداعيات مبتسرة غير مسترسلة وليست ذات دلالة، فيكتفي المفحوص بترديد الكلمة المنبه، أو يفسرها تعريفاً من غير دلالات سيكولوجية. وهذا التعطيل أو التأخير أو الكف للتداعيات نمارسه في الحياة اليومية عندما لا نجد ما نقوله في المواقف المحرجة، أو عندما ننسى كل ما حفظناه في حالات الخوف في الامتحانات، وتلكم مظاهر للعجز عن استدعاء الاستجابات الملائمة.

ونلاحظ أنّ الاختبارات أو قوائم الكلمات التي نوهنا عنها، يترك أمر الاستجابة عليها للمفحوص، وذلك بسبب التسمية الأولى لاختبارات التداعي اللفظية، بأنها اختبارات تداعي حر free association tests، على عكس اختبارات التداعي المقيد controlled a. ts. التي تقوم على الاختيار الجبري forced choice، مثلما عند ثرستون Thurston Homographic Free Association Test سنة ١٩٥٢، فمثلاً كلمة revolution يترك المفحوص ليختار الاستجابة عليها أن تكون turning-round أو upheaval، والمعنيان يحتملهما اللفظ، واختبار

ثرستون الذي يرد فيه ذلك المثل، هو اختبار للاتجاهات الاجتماعية. وأيضاً فإنه في اختبار تداعي جودإنف Goodenough Free Association Test سنة ١٨٤٣ تترك للمفحوص حرية الاستجابة على كلمة قوس bow مثلاً بين أنها سهم arrow أو دبوس شعر، وبحسب هذا الاختيار تكون توجهاته نحو الأنوثة أو الذكورة، ومثل ذلك في اختبار فولي وماكميلان Foley MacMillan سنة ١٩٤٣، واختبار مونستربيرج Munsterberg سنة ١٩٠٧ (أنظر أيضاً الاختبارات الإسقاطية وسيكولوجية الإسقاط).



مراجع

- Jung, C. G.: Studies in Word Association.
- E. A. Esper: A History of Psychology.
- Foley, J. P.: The Use of the Free Association Technique in the Investigation of the Stimulus Value of Trade Names.
- Foley and Z. L. MacMillan: Free Association as Related to Differences in Professional Training.



- ٤ -

إختبار تفهم الموضوع
Thematic Apperception Test (TAT)

إختبار إسقاطي projective test، في مقدمة الاختبارات الإسقاطية التي تستخدم لدراسة الشخصية، والكشف عن الاضطرابات النفسية والصراعات وأنواع السلوك العصابي أو الذهاني أو السيكوباتي. والاختبار من تصميم موراي ومورجان Murray-Morgan، توفرا على إعداده بالعيادة النفسية لجامعة هارفرد ونشراه سنة ١٩٣٥، ومن ذلك التاريخ وهو يستخدم بشكل واسع في العيادات النفسية في أوروبا وأمريكا. وتقوم فكرة الاختبار على تقديم صور غامضة تباعاً للفرد المراد فحصه، ويطلب منه تأليف قصة من خياله حول أشخاص وأحداث وأماكن الصورة، على زعم أنّ موضوع الصورة بمثابة موقف غامض، وأنّ الناس قد اعتادوا على تفسير أمثال هذه المواقف الغامضة على حسب خبراتهم، وبحسب مرادات نفوسهم ورغباتهم

وطموحاتهم، وأنهم قد جروا، حتى عندما يبدعون القصص والروايات، على أن يبنوها على تجاربهم الشخصية، وما يعتمل في نفوسهم ويراودهم من خواطر، ومن ثم فإنّ تقديم هذه الصور الغامضة سيستحث فيهم الخيال، ويؤلب مشاعرهم، ويوقظ صراعاتهم، فتخرج منهم على شكل إسقاطات ينسبونها لأشخاص الصور وأحداثها.

وصور الاختبار تشتملها بطاقات عددها عشرون بطاقة (وفي المراجعة كان عدد الصور ثلاثين)، تقدم للمفحوص تباعاً على جلستين، وهي صور باللونين الأبيض والأسود، إلاّ بطاقة واحدة خالية تماماً، حيث يكون تأليف القصة إزاءها من وحي المفحوص تماماً، ومتروكاً له أمر أحداثها وأشخاصها. ويكون تقديم الصور للمفحوص وفق ترتيب معين تشير إليه الأرقام المسجلة على ظهرها، وإلى جانب الرقم على الصورة يوجد حرف يشير إلى نوع الشخص الذي تقدم إليه، وما إذا كان ذكراً أم أنثى، حدثاً أو راشداً. واستبدال الصور في هذه الأحوال لا يعني إنقاص عددها، إذ هي في كل الأحوال تسع عشرة صورة، بالإضافة إلى البطاقة البيضاء، ويطلب من المفحوص أن يبدأ في روايته عن الصورة بالأحداث التي يرى أنها تسبق حدث الصورة، ثم يعرج على حدث الصورة، ثم يختم روايته بالنهاية التي يراها لها. ومن رأي موراي أنّ القصة تكون مناسبة عندما تبلغ كلماتها بالنسبة للراشد ٣٠٠ كلمة، وبالنسبة للطفل في نحو العاشرة ١٥٠ كلمة، ويرصد زمن الرجع والزمن الكلي للاستجابة للصورة، وأخطاء المفحوص، مثل أخطاء النطق وفلتات اللسان. وعادة ما يذكر المفحوص قصصه شفوياً. وفي الاختبارات الجمعية تعرض الصور إسقاطاً على شاشة، ويكتب المفحوصون إستجاباتهم، وترصد الاستجابة الشفوية بالتسجيل الصوتي. ومن المفيد أحياناً أن يختار المفحوص بنفسه الصور التي يفضلها أكثر من غيرها، والتي يفضلها أقل، وأن يذكر أسباب تفضيله أو عدم تفضيله.

والتأويل interpretation هو أهم ما في خطوات هذا الاختيار، وتتعدد طرق التأويل فيها بحسب خبرة الأخصائي

النفسي القائم به، والمدرسة التي يتبعها، والغرض من الاختبار. ويوصي موراي بالتحليل الدقيق لكل عبارة ولكمة في القصة، في ضوء من إحتياجات المفحوص والضغوط الواقعة عليه، ويعني ذلك أنّ هذا الاختبار ليس سوى حلقة من سلسلة من الاختبارات والمقابلات والاستبيانات حول المفحوص تكمل بعضها بعضاً. ويهتم موراي بالشخصية الرئيسية في القصة. ومن تعريفات موراي لبطل القصة أنه الشخصية التي يتعين بها المفحوص، فيظهر إزاءها اهتماماً أكثر من غيرها، ويتعاطف معها، ويعكس مشاعرها ودوافعها، وتكون له وجهة نظرها، ولذا كان من المستحب أن تتضمن كل صورة شخصية واحدة، وتتنوع من حيث الجنس والسن لتناسب المفحوص جنساً وسناً. وقد يحدث أن يتعين المفحوص بشخص من الجنس الآخر. ويتوصل الأخصائي النفسي من خلال دراسته للتفاعل بين المفحوص والبطل، وتقييم المفحوص لحاجات البطل والضغوط عليه، والكيفية التي يجعله بها يسلك إزاء هذه الضغوط، ومقاومته لها أو انهياره، والظروف التي يخلقها لنجاح البطل، والظروف التي تجعله يذهب به إلى الفشل، والعقاب الذي يُنزله به لو اعتدى، ومشاعر الذنب التي يمكن أن يتصورها له، ويسمي موراي هذه التفاعلات في القصة أفكاراً أو تيمات أو موضوعات themes (ومن ثم كان إسم الاختبار (thematic)، تشتبك وتكوّن الحبكة أو البناء الدينامي للحدث.

ولقد اشتقت من اختبار تفهم الموضوع إختبارات أخرى على منواله، تقيس الاتجاهات نحو مختلف الموضوعات، مثل المشكلات العمالية والأقليات، وتوجهت بعض الاختبارات عليه إلى قياس حاجات أو دوافع مفردة، كالجنس والعدوان، ومن ذلك اختبار ماكليلاند McClelland لقياس الحاجة للتحصيل سنة ١٩٥٣ والذي استخدم فيه أربع صور، منها صورتان من اختبار تفهم الموضوع. وأعدت نسخة من التات (يعني اختبار تفهم الموضوع) للاستخدام مع الزنوج، باعتبار أنه قد تبين أنّ الزنوج لا يستجيبون بكفاءة لصور التات التي أشخاصها من البيض، ومن ثم

استخدمت في البطاقات صور لزنوج بدلاً من صور البيض، إلاّ أنّ عدم اعتياد الزنوج على أن تكون الصور لأشخاص منهم كان يوحي لهم بأنّ موضوع الصور أجناسي racial في المقام الأول، ويدور حول التفرقة العنصرية racial discrimination. ورغم أنه قد قيل إنّ التات صالح للتطبيق على الأطفال في سن الرابعة فما فوق حتى العاشرة، إلاّ أنه قد أعدت منه نسخ للأطفال، أبرزها إختبار الصورة - القصة لسيموندز Symonds Picture-Story Test للمراهقين، واختبار التفهم للأطفال Children's Apperception Test (CAT لبيلاك G. Bellak and S. S. Bellak)، واختبار ميتشجان للصور Michigan Picture Test.

وفي اختباري سيموندز وبلاك استبدلت صور التات برسوم لمواقف تهم المراهقين والمراهقات. ويَستخدم إختبار الأطفال كات CAT صور الحيوانات بدلاً من الناس، بدعوى أنّ الأطفال لديهم الميل لأن يروا أنفسهم في الحيوانات أكثر من الناس، ولذلك فقد وضعت الحيوانات في هذا الاختبار في مواقف بشرية نمطية، تستثير خيال الأطفال فيما يتصل بمشكلات كالتغذية وغير ذلك من الأنشطة الفموية، والتنافس بين الأشقاء، والعلاقات بين الطفل والوالدين، والعدوان، وضبط الإخراج، وغير ذلك من الخبرات التي تخص الأطفال. غير أنه قد ثبت من خلال عدد من الدراسات، أنّ الأطفال من الخامسة فما فوق يستجيبون لصور البشر، على عكس ما يذهب إليه مؤلفو هذا الاختبار، ليس أقل بل ربما بأزيد مما يستجيبون لصور الحيوانات، ولذلك أعد بيلاك وهارفيتش Hurvich إختباراً معدلاً من الكات أطلقا عليه إسم CAT-H، جعلا فيه الصور لأطفال من البشر، ومن ثم كانت الإشارة إليه بالرمز H إختصاراً لكلمة Human يعني بشراً، فهو اختبار لتفهم صور لحكايات عن الأطفال من البشر.

وأما اختبار ميتشجان للصور فقد جاء تصميمه من خلال التجارب على الاستجابات الانفعالية للأطفال، في السن بين الثامنة والرابعة عشرة، والتي كان يجريها قسم الصحة النفسية التابع لجامعة ميتشجان. ويتكون الاختبار من

ست عشرة صورة، على طريقة صور التات TAT ، إختيرت لتمثل الصراعات العائلية ومشاعر نقص الكفاءة، والصعوبات الجنسية، وغير ذلك من المشاكل الوجدانية. وهناك اختبارات أخرى عديدة، بعضها المنبه فيه سمعي وليس بصرياً، وتصلح لذلك لاختبار العميان أو الذين يشكون عيوباً بصرية. ويشتمل أحد هذه الاختبارات على عشرة مواقف سمعية على أشرطة تسجيل، تتضمن العديد من الأصوات، منها ما يخص الآلات الكاتبة، والرياح، والانفجارات، وصدام القطارات، والحوار بين أشخاص. وبعد الاستماع لكل موقف يطلب من المفحوص أن يؤلف قصة حوله تشتمل على ما سمع من أصوات، وينبغي أن تدور القصة كما في التات على ما حدث وأدى إلى هذه الأصوات وما ترتب عليها من نتائج.

ومن هذه الاختبارات أيضاً صور بلاكي Blacky Pictures، من إعداد بلوم C. S. Blum، وتدور حول مشاكل التطور النفسي الجنسي، ويتكون الاختبار من عشر بطاقات مرسومة بطريقة الكارتون، بطلها كلب إسمه بلاكي، يمكن أن يكون ذكراً أو أنثى حسب تصور المفحوص له، وبقية الشخصيات هي: أمه، وأبوه، وشقيقه الذي يمكن أيضاً أن يكون ذكراً أو أنثى. وقد أُعد الاختبار أصلاً للكبار، ويوصف بأنه صالح أيضاً للتطبيق على الأطفال بطريقة إختبار التات، بأن يحكي المفحوص قصة عن كل رسم. غير أنّ المشرف على الاختبار عند تقديم الرسم للمفحوص يقول بضع كلمات تمهيدية، تحدد الموقف في الصورة، وذلك إجراء غير معمول به في الاختبارات الإسقاطية عادة، وبعد أن ينتهي المفحوص من سرد روايته يقوم بتوجيه بعض الأسئلة المقننة له.

وثمة اختبار آخر بأسلوب تأليف القصص نفسه حول الصور، وهو اختبار القصة المصورة Make-A-Picture Story أو MAPS، من إعداد شنايدمان E. S. Shneidman (١٩٤٧). وهو كاختبار التات يقيس القدرة على التخيل والإبداع. ويطلب فيه من المفحوص أن يؤلف هو نفسه الموقف الدرامي، بأن يختار الشخصيات التي تتناسب مع مشاهد

مصورة على بطاقات، كأن يكون المشهد لحجرة جلوس، أو لحمام، أو حتى مشهد حلمي أو مسرحي، أو كأن يكون فتحة كهف من الكهوف، وعلى المفحوص أن ينسج قصة حول المشهد. ويتكون الاختبار من اثنين وعشرين مشهداً مصوراً، بالإضافة إلى بطاقة فارغة ليس فيها أي مشهد، وعلى المفحوص أن يتصور لها مشهداً من عنده، والأشخاص التي تناسبه، والقصة التي يمكن أن تدور فيه. وهناك أيضاً سبعة وستون نموذجاً من الكرتون لآدميين، منها تسعة عشر نموذجاً لذكور راشدين، وأحد عشر نموذجاً لإناث راشدات، ونموذجان يمثلان شخصين لا نتبين حقيقة جنسهما، ونماذج لاثني عشر طفلاً، ونماذج لأفراد يمثلون الأقليات، كأن يكونوا شرقيين أو زنوجاً، إلخ، وستة نماذج لشخصيات خرافية أو خيالية، كبابا نويل مثلاً، ونموذجان لحيوانين، كأن يكونا كلباً وثعباناً، وخمسة نماذج مسلوتة silhouettes، بالإضافة إلى نماذج أخرى لأشخاص وجوههم غير محددة الملامح، وقد ارتدت معظم النماذج ملابس كاملة، والقلة ملابسهم جزئية، أو أنهم عراة. وعند تقويم الاختبار يبرز المشرف عليه مشهداً من المشاهد، ويطلب من المفحوص أن يختار أو أكثر من بين هذا الحشد السابق ويضعها بإزاء المشهد، ويحكي قصة عن تلك الشخصية أو الشخصيات، وحقيقتها، وما تفعله في هذا المكان، وما تفكر فيه، وما تشعر به، والنهاية التي يمكن أن ينتهي إليها ذلك كله.



مراجع:

McCledland et al: The Achievement - Motive.

Murray, H. A.: Thematic- Apperception Test. Cambridge.

Murray: Thematic Apperception Test - Manual.

Bellak, L.: Thematic Apperception - Test Blank.



- ٥ -

إختبار الذكاء غير المتحيز ثقافياً لكاتل

Culture-Free Intelligence Test (IPAT-C-F-I)

إختبار ذكاء من نوع إختبارات الورقة والقلم pencil and paper type tests، لا يختص ببيئة ثقافية دون بيئة ثقافية أخرى، وليس لبنوده علاقة بالمقومات الثقافية لمجتمع ما، ومن رأي «كاتل Cattle» - وهو الذي أشرف على وضعه أنّ الاختبار صالح لذلك للتطبيق على أفراد أي مجتمع، بدعوى أنّ الذكاء في أساسه قدرة على إدراك العلاقات المجردة. ولربما تتهيأ الفرصة لهذا السبب، وبهذا الاختبار، لمقارنة ذكاء الأفراد من مختلف البيئات الثقافية ببعضهم البعض، وإن كان هذا المطلب عسير التحقيق فعلاً. وينسب الاختبار لمعهد قياس الشخصية إلينوي Illinois (١٨٦٧) حيث كان يعمل فريق كاتل، وذلك سبب تسميته IPAT إختصاراً لاسم المعهد. ويتكون الاختبار من ثلاثة مستويات من مجموعات من مختلف الأشكال التي تتدرج في الصعوبة، ويطلب من المفحوص أن يستكمل الناقص من كل مجموعة، أو يستخرج الشاذ الذي لا ينتمي لها. والمستوى الأول يصلح لاختبار الأطفال من سن ٤ إلى ٨، وللمتخلفين عقلياً من الراشدين. والمستوى الثاني يصلح للأطفال من سن ٨ إلى ١٢ وللراشد المتوسط. والمستوى الثالث يصلح للأطفال من ١٢ سنة حتى الراشد المتفوق. ولكل مستوى صورتان متكافئتان. واختبارات المستوى الأول يمكن تطبيقها فردياً على الأقل بالنسبة لبعضها. واختبارات المستويين الآخرين يمكن إعطاؤها إما فردياً أو جماعياً. ويشتمل المستوى الأول على ثمانية إختبارات، أربعة منها فقط يقول الكتيب الخاص بالاختبار إنها متحررة من التحيز الثقافي، والأربعة الأخرى تتطلب فهماً للألفاظ ومعلومات ثقافية نوعية. أما اختبارات المستويين الثاني والثالث فمتشابهة، إلاّ فيما يخص تدرج الصعوبة. ومن منشورات المعهد نفسه مقياس إبات للقلق Ipat Anxiety Scale

وضعه كاتل أيضاً بالاشتراك مع شاير Sheier سنة ١٩٥٧، وهو عبارة عن استبيان يتضمن أربعين مادة موضوعها القلق. وأيضاً أصدر المعهد والمؤلفات نفسها كاتل وشاير «بطارية إبات للقياس التحليلي الموضوعي للقلق Ipat Co-A Anxiety Battery، على أساس مبادئ التحليلية العاملية.



مراجع:

Cattell, R. B. and Cattell, A. K. S.: - IPAT Culture Free Intelligence Test.

Cattell, R. B. and Sheier, I. H.:- Handbook for the A-O- Anxiety Battery.



– ٥ –

إختبار رسم الرجل

Draw-a-Man Test (DAM)

وضعته فلورنس جودإنف Goodenough سنة ١٩٢٦، ويطلب الاختبار من المفحوص «رسم صورة رجل، وأن يرسمه بأفضل ما يستطيع». وظل الاختبار مستخدماً بدون تغيير حتى سنة ١٩٦٣، ثم أجري له تعديل ونشر تحت إسم إختبار الرسم لجودإنف وهاريس Goodenough-Harris Drawing Test، وفي هذه النسخة المعدلة - كما في الاختبار الأصلي - كان التأكيد على دقة المفحوص في الملاحظة، وتطور القدرة على تكوين المفاهيم العقلية والإدراكات الصحيحة، وليس على المهارة الفنية، ويظهر ذلك في إدراج تفاصيل أجزاء الجسم والملابس، والنسب بينها، والمظهر العام. وتتضمن مكونات الرسم ٧٣ بنداً، تمثل تدرجاً في صعوبة الاختبار وتعكس التمايز في الأعمار. ويحصل المفحوص على درجة البند إذا استكمل محكات الدرجة عليه. وكان تقنين الاختبار الأصلي على عينة من مائة طفل من الذكور والإناث، من كل مرحلة عمرية، إبتداءً من الحضانة حتى نهاية الإعدادية، واختبرت العينة باعتبار تمثيلها للريف والحضر ومختلف المهن.

والجديد في التعديل أن يطلب من

المفحوص رسم إمرأة بالإضافة إلى رسم الرجل، وكذلك رسم نفسه، وتتكون بنود إختبار رسم المرأة Woman Scale من ٧١ بنداً، مشابهة للبنود في اختبار رسم الرجل Man Scale. وأما الاختبار المطلوب فيه أن يرسم نفسه Self Scale، فقد تكرر استخدامه كاختبار إسقاطي للشخصية، وإن كانت نتائجه غير مشجعة. والتعديل الجديد مقنن على عينة أكبر، تشمل ٣٠٠ من الذكور والإناث لمختلف المراحل، من سن الخامسة حتى الخامسة عشرة وتمثل سكان الولايات المتحدة، من حيث مهنة الآباء والمناطق الجغرافية. والاختبار بالإضافة إلى استخداماته الكلينيكية، كبديل لاختبار ستانفورد بينيه وغيره من اختبارات الذكاء اللفظية، فإنه قد استخدم في عدد من الدراسات على عينات من حضارات وأعراق مختلفة، وذلك لأنّ رسم الرجل أو المرأة ليس فيه تعامل مع معلومات جغرافية، ولا يختلف في الحضارات المختلفة، باعتبار أنّ الرجل والمرأة هما كذلك في أية حضارة، إلاّ أنّ الاختبار مع ذلك أثبت خطل هذا الرأي، وأنّ الأداء عليه يعتمد على الفروق الحضارية والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية للمفحوص. وقد حاول ماكوفر K. Machover أن يتلافى هذا النقص وصمم اختباراً باسم «إختبار رسم شخص Draw-A-Person Test» سنة ١٩٤٨ ويتضمن قائمة من الأسئلة للمفحوص بعد أداء الرسم المطلوب، بعضها للأطفال، وبعضها للكبار، عن الشخص المطلوب رسمه، عن عمره، ودراسته، وما إذا كان متزوجاً، وصورته عن جسمه e.body imag



مراجع:

Goodenough, F. L.: Measurement of – Intelligence by Drawings.



– ٧ –

إختبار رورشاخ لبقع الحبر

Rorschach Inkblot Test

إختبار إسقاطي إبتكره هيرمان رورشاخ (١٨٨٤-١٩٢٢)، وضمنه كتابه

Psychodiagnostics: A Diagnostic Test Based on Perception (١٩٢١)، بعد تجارب إستغرقت عشر سنوات، بدأها سنة ١٩١١ في محاولة لاستخدام بقع الحبر في دراسة الخيال. ولم يكن رورشاخ أول من لجأ إلى بقع الحبر كمادة إختبار نفسي، إذ كان قد سبقه غيره إليها. وأسلوب الرورشاخ، باعتباره أسلوباً إسقاطياً، ليس اختباراً بالمعنى المستخدم في اختبارات الذكاء أو الاستعدادات، وتعد مشكلة الثبات ومشكلة الصدق من المشكلات الأساسية في تطبيقه، والأحرى أنه مواد يستخدمها الكلينيكي لاستثارة إسقاطات المفحوص، ولأنه ليس اختباراً بالمعنى الاصطلاحي، فمن الصعب الحكم على استجابات المفحوص بالصواب أو بالخطأ، وإنما تكون هذه الاستجابات إنعكاساً لديناميات شخصيته المعرفية والانفعالية، ولقوة الأنا عنده في مواجهة الواقع، ولصراعاته وميكانيزماته الدفاعية.

ويتكون الاختبار من عشر بطاقات، مطبوع عليها بقع حبر متماثلة الجوانب، خمس منها اللون المستخدم فيها هو الأسود بظلاله الرمادية، وبطاقتان بهما لمسات إضافية من اللون الأحمر، والبطاقات الثلاث المتبقية تتضمن ظلالاً باستيلية مختلفة. وتقدم البطاقات تباعاً للمفحوص، ويقوم الفاحص بتسجيل إجاباته، وزمنها، والوضع الذي نظر منه المفحوص للبطاقة، وملاحظاته عليها، وتعبيراته الانفعالية، ومظاهر سلوكه العرضي أثناء الإجابة. ويهم الفاحص بعد ذلك أن يتحرى الجوانب من البقعة التي استثارت المفحوص، وهل كانت إستجاباته للبطاقة ككل، أو لجزء منها، أو لتفاصيل عليها، ومدى تأثير الأشكال والألوان والظلال والحركة على الاستجابة، والتفسيرات التي يقدمها، وشيوع المضمون الذي تشتمل عليه هذه التفسيرات في كل أو بعض الاستجابات، وما يمكن أن يحتويه من توجهات جنسية أو عدوانية، أو ما يتعلق منه بنواحي القلق ومشاعر الذنب. وهذه الجوانب التي كانت تهم رورشاخ، والتي يعتد عليها أسلوبه في التقويم، وما زالت مستخدمة، رغم ما أدخله الإسقاطيون من بعده من تطوير،

سواء على التقديرات أو التفسيرات، ومن هؤلاء بيهن Behn، ودراي فوخس Drey Fuchs، وزوليجر Zulliger، وهارور Harrower، وكلوبفير، وغيرهم كثيرون، وقد أنشأ هذا الأخير معهد رورشاخ، ثم جمعية الأساليب الإسقاطية، وهي التي تتولى إصدار مجلى الأساليب الإسقاطية.



مراجع:

Klopfer, B. et al: Developments in the – Rorschach Technique. Vols 1 & 2.



– ٨ –

إختبار زوندي
Szondi Test



إختبار إسقاطي، تُعرض فيه مجموعات من الصور لمرضى بأنماط مختلفة من الاضطرابات العقلية، ليختار المفحوص من بينها ما يجد له في نفسه صدى طيب، وما يصدمه وينفره بشدة.

ويتكون الاختبار من ثمان وأربعين بطاقة موزعة على ست مجموعات، وكل مجموعة تقدم صوراً لوجود مرضى سيكايتريين باللواط، والسادية، والصرع، والهستيريا، والكتاتونيا، والبارانويا، والاكتئاب، والهوس. وتعرض المجموعات تباعاً على المفحوص على جلسات، وتعطى له تعليمات بأن يختار من المجموعة أحب صورتين لديه، ثم ينتقي الصورتين اللتين يكرههما أكثر من غيرهما. وتستغرق الجلسات الست ستة أيام. والاختبار سهل التطبيق، ولا يتطلب أية استجابات لفظية ومن ثم يمكن استخدامه مع الأميين والمتعثرين في القراءة، أو الذين يعانون من عجز قرائي، أو الذين يحسون الارتباك في مواقف الاختبارات المعقدة.

والاختبار يقوم على أساس من النظريات التكوينية في الشخصية، وصممه سيكايتري مجري يدعى ليبوت زوندي، وطبقاً لما يذهب إليه من رأي يطلق عليه إسم تحليل المصائر fate analysis فإنّ حياة الأفراد تسير وفق خطة تحكمها الجينات المتنحية الكامنة. وتصدر ألصق الدوافع بنا من منطقة لم

تكتشف بعد يسميها زوندي اللاشعور العائلي familial unconscious، ويشتمل على هذه الميول الجينية فينا، ومن خلال هذا اللاشعور الذي يقابل زوندي بينه وبين الشعور فرويد الفردي، واللاشعور الجمعي عند يونج، يوجه أسلافنا إختياراتنا في الحياة عبر المكبوت عندهم، والذي ينتقل إلينا في الجينات المتنحية الكامنة، فلئن كانت الجينات السائدة تفعل فعلها صريحاً، وتنقل الموروث في الطول ولون البشرة والعينين والشعر والكثير من الصفات المزاجية، فإنّ الجينات المتنحية لها تأثيرها كذلك، وإن كان متخفياً ولكنه يفسر عن نفسه، مثلاً عندما يتزوج رجل وامرأة لهما الجينات المتنحية نفسها، فعندئذ تظهر الصفات التي كانت كامنة، وهذا المكبوت العائلي هو الذي يتحكم لاشعورياً في مصائرنا، وفي الحب والزواج والمهنة، وحتى في نوع الوفاة. ويطلق زوندي على هذه الظاهرة إسم الانتحاء التكويني genotropism، ويزعم أنّ هناك انتحاءً لبيدياً، أو شهوياً يختص باختيارات الحب والزواج، وانتحاء مهنياً عمله اختيارات الدراسة والمهنة، وانتحاء للموت يظهر أثره في الانتحار، والميل للحوادث، والسلوك الذي من شأنه استحداث الدمار والقتل. ويضرب زوندي المثل بهذا الإجبار الذي يلزم الناس عند الحب والزواج، حيث كثيراً ما يقع الانجذاب بين الاثنين من أول نظرة، ورغم وجود فروق إجتماعية مثلاً أو غيرها، وهو انجذاب لا يمكن أن يكون سطحياً، ويتم على أعمق المستويات النفسية، ويصفه زوندي بأنه انتحاء تكويني، لأنّ الدافع إليه هو الجينات المتنحية المتشابهة والمتجاذبة.

وعلى أساس من هذه النظرية التي لا يدعمها الدليل، وتظل موضوع الكثير من الجدل، يقول زوندي إنّ المفحوص في اختياراته لبعض الصور ونبذه للبعض، لا يصدر في سلوكه سطحياً عما يحب أو لا يحب، ولكنه يستجيب لدوافع أعمق مصدرها خاصة ذاته، وتتحكم في اختياراته عوامل وراثية متنحية كامنة، ومن ثم يكشف عن شخصيته الحقيقية.

ومن الممكن تطبيق الاختبار دون أن نسلم مع زوندي بنظريته. وعند رصد

نتائج الاختبار يفرد الفاحص صفحة للاختيارات الموجبة، وأخرى للاختيارات السالبة. ويرتبط تفسير الاختيارات بنظام الحاجات عند زوندي، ومن رأيه أنّ فئات الصور الثماني تتحدد الاختيارات عليها من خلال موجهات دافعة drive-vectors أربعة، ويشتمل كل موجه على فئتين أساسيتين، فمثلاً يتضمن الموجه ج S-vector الدافع الجنسي، ويعبر عنه في اختيار صورة المريض بالجنسية المثلية، أو المريض بالسادية مثلاً. وتفضيل صورة المريض بالجنسية المثلية مؤشر للحاجة إلى الرقة والحنان والأنثوية والأمومة والسلبية، وقد يعبر عنه في اختيار مهن معينة كالحلاقة والرقص والتجميل. وتفضيل صورة المريض بالسادية يعبر عن وجود دافع جنسي ذكوري، وميل للعدوانية، ويظهر في اختيار مهن معينة كالجزارة، وتدريب الحيوانات، والملاكمة، وغيرها. والموجهات الثلاثة الباقية هي الموجه ن T. vector، ويتكون من العاملين - الصرع والهستيريا، والموجه ذ Sch-vector، ويتكون من العاملين - الكتاتونيا والبارانويا، والموجه ث C-vector، ويتكون من العاملين الاكتئاب والهوس. ويفترض أن يسيطر التفاعل بين هذه الموجهات الأساسية الأربعة على الشخصية برمتها ويوجه سلوكها. ويعني اختيار المفحوص لكل صور الفئة أنه يتعين مع هذه الفئة، ويعني رفضه لكل صور الفئة أنه ينكر ما تمثله من مشاعر، أو أنها مشاعر لا يجد فيها نفسه. ويشير تساوي الاختيارات إلى تناقض إنفعالي، ويشير غياب التفضيل أو عدمه في فئة من الفئات إلى عدم وجود توتر في دائرة هذه الفئة، بينما يشير اختياره لأربع صور مثلاً من الفئة أنّ دائرة هذه الفئة مشحونة ومتوترة.

ولقد تعرض اختبار زوندي للكثير من النقد العملي والنظري، ويبدو كما لو كان قد أقيم على نظريات مرفوضة من زمن بعيد في الغريزة ودلالات ملامح الوجه، ولا تتفق الأنماط الكلينيكية الثمانية في اختبار زوندي مع أنماط الاختبارات الإسقاطية التي يعتد بها، مثل اختبار رورشاخ، واختبار تفهم الموضوع، كما أنّ محاولات التثبت تجريبياً من أنّ فروض الاختبار قد باءت كلها بنتائج

سلبية. وعند استخدام الاختبار كاختبار كلينيكي فإنّ قيمته محدودة جداً، وذلك لأنّ صور الاختبار ربما تكون مألوفة في بلدان أوروبا إلاّ أنها بالقطع ليست كذلك في بلاد غيرها، ثم إنّ التعويل على هذا العدد القليل منها كمحدد لشخصية أمر لا يدعو إلى الاعتماد كلية على الاختبار.



مراجع:

Szondi: Experimental Diagnostics of Drives.

Heinelt, G.: Bildwahlverfahren. In Heiss, R.: Handbuch der Psychologie vol. 6.

❖ ❖ ❖

- ٩ -

إختبار السفينة

Ship Test

❖ ❖ ❖

عبارة عن لوحة خشبية، بها أماكن لعشر قطع تأخذ معاً شكل سفينة في البحر، وعلى المفحوص أن يثبّت القطع في أماكنها. والاختبار ضمن الاختبارات الأدائية performance tests التي صممها نوكس Knox، والتي كان يقيس من خلالها المستويات العقلية للمهاجرين، الذين يتحدثون بلغات غير الإنكليزية لدى وصولهم إلى الشاطئ الأميركي، عابرين المحيط في سفن بخارية.



مراجع:

Encyclopedia of Psychology. Search Press. Vol. 3.



- ١٠ -

إختبار شيكاغو غير اللفظي

Chicago Nonverbal Examination



إختبار أدائي جماعي صدر سنة ١٩٣٧ عن جامعة شيكاغو، ومنه نسخة معدلة سنة ١٩٤٧ ويقيس ذكاء الأطفال في السن من السادسة حتى مستوى

الرشد، ولا يستغنى به عن مقياس ستانفورد بينيه، ولكنه يعتبر مكملاً له، حيث أنه يقيس الجوانب غير اللفظية للذكاء التي لا تمثل جيداً على هذا المقياس الأخير. والاختبار يصلح خصوصاً للأطفال الذين يعانون صعوبات في القراءة، أو عدم القدرة على الكلام واستخدام اللغة، ويتضمن عشرة إختبارات فرعية هي: إختبار رموز الأرقام؛ بأن يطلب من المفحوص تكرار ما يلقى على مسامعه من سلاسل رقمية، بإيقاع زمني مقنن بين كل رقم وآخر؛ واختبار المغاير: بتحديده بين متشابهات؛ واختبار إدراك البعد الثالث بصرياً: والغرض منه قياس القدرة على إدراك الأشكال ثلاثية الأبعاد، كأن يطلب من المفحوص عدّ المكعبات التي تصنع شكلاً هرمياً؛ واختبار التصميمات الهندسية الورقية: بتحديد الأشكال الهندسية التي يمكن أن تستخدم في تصميم شكل هندسي كامل؛ واختبار الإدراك البصري للتفاصيل: بمطابقة عدد من التصميمات ذات التفاصيل الكثيرة؛ واختبار ترتيب الصور: بحيث يأتي ترتيبها ليصنع منها شكلاً متكاملاً؛ واختبار التتالي المنطقي: ويشبه الاختبار السابق باستثناء أنّ الترتيب يقصد به تمثيل سلسلة من الأحداث يفترض منطقياً أنها متتالية؛ واختبار السخافات: بتحديد الزائد أو الناقص في الصور المقدمة؛ واختبار المطابقة بين الصور: بتحديد الجزء ضمن أجزاء من صور، والذي يكمل شكلاً مقدماً؛ واختبار رموز الأرقام: ويشبه الاختبار الأول، سوى أنه أكثر صعوبة.



مراجع:

Hinde, R.: Non-Verbal Examination. -



- ١١ -

إختبار كولومبيا للنضج العقلي

Columbia Mental Maturity Scale (CMMS)



إختبار غير لفظي صُمِّم للأطفال المعوقين المصابين بالشلل التوافقي عن

جامعة كولومبيا، والغرض منه استيضاح القدرة على التعلم بمعناه الواسع، وليس التعلم الدراسي. ومن الضروري أن يتم هذا الاختبار في فترات مبكرة، وأن يتابع بانتظام حتى سن المدرسة. وتعد الاختبارات الأدائية غير اللفظية مناسبة لهؤلاء الأطفال. ويصلح اختبار كولومبيا للأطفال من سن ٣ إلى ١٢ ويتضمن مائة بند، كل منها يحتوي على مجموعة من الرسوم قد تكون ثلاثة رسوم، أو أربعة، أو خمسة، مطبوعة على بطاقات ٦ x ١٩ بوصة، والمطلوب من الطفل أن يتعرف إلى الرسم الذي لا ينتمي لمجموعته، ويظهر تعرفه بالإشارة، أو بأن يومئ برأسه، بما يعني منه اكتشاف الارتباط أو عدم الارتباط بين الرسوم، ويتفق ذلك مع مفهوم سبيرمان Charles Spearman (١٨٦٣-١٩٤٥) للذكاء من أنه تعلم العلاقات. ولكي يزيد الاهتمام عند الطفل ويكون للاختبار جاذبيته، تختار البطاقات والرسوم متنوعة الألوان، وللاختبار صدق مرتفع بمحك ارتباطه بستانفورد بينيه (وهو اختبار للذكاء صادر عن جامعة ستانفورد يراجع اختبار سيمون بينيه للذكاء بإشراف تيرمان سنة ١٩١٦ ثم بمراجعة ميريل سنة ١٩٣٧، وروجع مرة ثالثة سنة ١٩٥٩).

❖ ❖ ❖

مراجع:

Harris, D. B.: The Concept of- Development.

❖ ❖ ❖

- ١٢ -
إختبار متاهات بورتيوس
Porteus Labyrinth (Maze) Test

❖ ❖ ❖

إختبار من نوع إختبار المتاهات Labyrinth أو maze test، وكثيراً ما يسمى Porteus Maze فقط، وضعه S. Porteus ضمن إختبارات Arthur Point Scale of Performance Tests سنة ١٩٣٣، وتمت مراجعته سنة ١٩٤٣، وهو اختبار ذكائي

أدائـي، تـدرج فـي الصـعـوبـة، ويـبـدأ بـمـا يـنـاسب الأطـفـال في الـثـالـثة من الـعـمـر العقلي، ينتهي بما يناسب من هم في سن الـرابـعة عشـرة. والـمـتاهـات مـتـتـالـيـة، ولا يوجد اختبـار متاهة يقيس سن الثالثة عشرة؛ وبالنسبة للأطفال الصغار تلقى عليهم التعليمات للاختبار بلغة دارجة بسيطة جداً، ويطلب من المفحوص أن يجري بقلمه على ممرات المتاهة، إبتداءً من المدخل، وانتهاءً بالمخرج، على أن لا يلمس قلمه جوانب الممرات، ولا ان يدخل في مكان لا يستطيع الخروج منه، فإذا حدث وأخطأ يجرب محاولة جديدة بمتاهة جديدة، ليس فيها خط من خطوط المتاهة التي استخدمت. ويعطى المفحوص محاولتان إذا كان يشكو تخلفاً عقلياً، وأربع محاولات في حالة المستويات العقلية الأعلى، وتحسب له المحاولة الناجحة فقط. وتقيس هذه المتاهات قدرة الفرد على الاستبصار والتخطيط، وعلى التعلم، وتتفوق في ذلك على الاختبارات اللفظية، وتصلح للأسوياء والجانحين والمنحرفين وضعاف العقول، وليس فيها حد زمني، ولا يستعجل المفحوص، وتصلح كاختبارات مفردة، كما تصلح كاختبار ضمن مقياس أعم مثل مقياس آرثر الأدائي.



مراجع:

Porteus, S.: The Porteus Maze Test – and Intelligence.

Porteus, S.: The Validity of the – Porteus Maze.



- ١٣ -
إختبار المصفوفات المتدرجة
Progressive Matrices Test



إختبار غير لفظي وضعه رافين Raven لقياس الذكاء العام بمفهوم سبيرمان Spearman (١٨٦٣-١٩٤٥)، للذكاء ويتطلب لذلك إدراك العلاقات بين الأشكال المجردة، ويعتبره أهل الاختصاص أفضل الاختبارات المتاحة

لقياس الذكاء العام، ويتضمن ستين بنداً تصلح لمستويات عمرية تبدأ من سن الخامسة حتى مستوى الراشدين، ولا تتعلق البنود بخصائص حضارية معينة، الأمر الذي يُدخل الاختبار ضمن الاختبارات غير المتحيزة حضارياً، أي التي يمكن تطبيقها في أكثر من مجتمع وثقافة. والبنود عبارة عن أشكال هندسية مختلفة بينها جزء ناقص، ويطلب من المفحوص التعرف على الجزء الناقص من بين عدد آخر من الأشكال المشابهة للإجابة الصحيحة. وتنقسم البنود أو المصفوفات إلى خمس مجموعات، كل مجموعة تحتوي على ١٢ مصفوفة تتزايد في الصعوبة باستمرار، والمجموعات الأولى تتطلب من المفحوص دقة في التمييز، بينما تتطلب منه المجموعات الباقية إدراك التشابه والتغير في النسق بالنسبة للمواضع أو العلاقات. والاختبار يمكن إعطاؤه فردياً أو جماعياً، وليس له حد زمني، ويتطلب بشكل عام قدرة تحليلية، وقدرة على الاستبصار من خلال المسح البصري. وللاختبار صورة ملونة حديثة مصفوفاتها ملونة تسهل الفهم للأطفال، خصوصاً بين سن الخامسة والحادية عشرة، وحتى الأطفال المتخلفين عقلياً. وكان تطبيق الاختبار على عينات مختلفة من مجتمعات متباينة مدعاة لمقارنات حضارية متعددة. وفسرت عوامل الاختبار على أنها عامل الذكاء العام، إلاّ أنّ عوامل أخرى قد تبين أنها تؤثر أيضاً في الأداء، منها عامل إدراك العلاقات المكانية، ودقة الإدراك، والاستدلال الاستقرائي.



مراجع:

Raven, J. C.: Guide to the Standard – Progressive Matrices.

❖ ❖ ❖

– ١٤ –

إختبار مكعبات ويجلي

Wiggly-block Test

❖ ❖ ❖

إختبار أعده أوكونر O'Connor لتقويم إدراك المكان، وهو عبارة عن مكعب مستطيل نحو عشرين سنتيمتراً،

ومقسم إلى تسعة مكعبات، كل منها مشكل بطريقة بحيث تكون حوافه مسننة وملتوية، وعلى المفحوص أن يعيد جمع المكعب الكبير بإدخال المكعبات الصغيرة في أماكنها وبأسرع ما يمكنه.



مراجع:

Encyclopedia of Psychology. Search - Press.



- ١٥ -
إختبار مكعبات نوكس
Knox Cube Test

❖ ❖ ❖

إختبار أداء وضعه نوكس، وأُدمج ضمن مقاييس أخرى مثل مقياس الأداء لبنتنر وباترسون Pintner-Paterson Scale، ومقياس الأداء لآرثر Arthur Performance Scale، وهو عبارة عن أربعة مكعبات مثبتة على قاعدة، ويمسك الممتحن بقلم، والمفحوص بقلم آخر، ويدق الممتحن على المكعبات بنظام معين، ويطلب من المفحوص أن يقلده الطريقة نفسها، ثم تتدرج الدقات في الصعوبة، بزيادة عدد الدقات، واختلاف نظام الدقة. ويعطى هذا الاختبار مرتين، وتحسب الدرجة بحساب متوسط الدرجتين للمرتين.



مراجع:

Dictionary of Behavioral Science. -



- ١٦ -
إختبار نبراسكا لاستعداد التعلّم
Nebraska Test of Learning Aptitude

❖ ❖ ❖

إختبار غير لفظي وضعه هكسلي سنة ١٩٥٥ برعاية جامعة نبراسكا، لقياس ذكاء الأطفال الذين يعانون الصمم الكامل، ويستخدم لهذا السبب لغة الإشارات والبيان العملي في التعليمات. وكان وصفه بأنه اختبار لاستعدادات التعلم، لأنّ بنوده تمثل

القدرات التي يمكن أن يستخدمها الطفل الأصم في المدرسة. والعمر العقلي يسمى على الاختبار العمر التعليمي (.L.A) learning age، فمثلاً إذا كان طفل عمره التعليمي خمس سنوات، فمعنى ذلك أنه قادر على أداء ما يمكن أن يؤديه طفل أصم متوسط الذكاء في الخامسة من عمره.

والاختبار يتكون من أحد عشر اختباراً فرعياً، الثمانية الأولى منها للأطفال من الثانية حتى العاشرة، والستة الأخيرة للأطفال من إحدى عشرة سنة حتى السابعة عشرة، ومعنى ذلك أنّ هناك ثلاثة إختبارات متوسطة تناسب كل الأعمار. وهذه الاختبارات كالتالي: نظم الخرز bead stringing: ويطلب فيه من الطفل أن ينظم عدداً من الخرز الملون من مختلف الأشكال على هيئة خاصة؛ وتذكّر الأشياء الملونة memory for colored objects: بعرض نماذج ملونة على الطفل المفحوص، ثم يطلب منه تذكر ألوانها بالتعرف إلى هذه الألوان على شريط يحتويها أمامه؛ واختبار التعرف على الصور pictorial identification: بعرض مجموعات من الصور عليه، ثم تعرض عليه صور منفصلة ليتعرف منها على ما عرض عليه من المجموعات؛ واختبار الترابط بين الصور pictorial associations: بعرض مجموعات من الصور، كل منها صورتان ومكان لصورة خالية، ثم تعرض عليه صور منفصلة ليختار منها صورة ترتبط بالصورتين؛ واختبار ثني الورق paper folding: بعرض قطع من الورق وطريقة ثنيها عليه، ثم يطلب منه أن يقوم بالشيء نفسه؛ واختبار مدى الانتباه البصري visual attention span: بعرض عدد من الصور عليه، ثم تعرض عليه صورة أخرى، ويطلب منه التعرف عليها بين صنف الصور الذي عرض عليه أولاً؛ واختبار نماذج المكعبات block patterns: بعرض مكعبات صغيرة عليه، ونماذج لتصميمات لها، ثم يطلب منه عمل نماذج مماثلة لمكعبات أخرى؛ واختبار إكمال الرسوم completion of drawings: بعرض مجموعة من الرسوم، بكل رسم منها جزء ناقص، ويطلب منه إكمال الجزء الناقص، واختبار ذاكرة الأرقام memory

of digits: بعرض مجموعة من الأرقام متسلسلة، يتعرف فيها على الأرقام السابقة بعد إخفائها، وترتيبها نفسه؛ واختبارات المكعبات المحيرة: puzzle blocks بعرض نماذج ليبني مثلها من مكعبات صغيرة؛ واختبار المتشابهات المصورة pictorial analogies: بعرض مجموعة من الصور المتشابهة في كتيب، ثم مجموعات من الصور ليختار منها الصورة المتشابهة مع الصورتين المتشابهتين من مجموعة الكتاب.



- ١٧ -
إختبارات الاستعدادات الفارقة
Differential Aptitude Test (DAT)



نشرها بينيت Bennet، وسيشور Seashore، وويزمان Wesman سنة ١٩٤٧ كوسيلة إختبار في مجالات الإرشاد التعليمي والمهني للطلاب في المرحلة الدراسية الإعدادية والثانوية، كما أنها تصلح للتطبيق على الراشدين. وقد أعد المؤلفون كل اختبار في صورتين متكافئتين B-A، ثم أعدوا بعد ذلك الصورتين L-M، ثم الصورتين S-T. واختيرت الاختبارات على أساس انخفاض الارتباط بينها فيما عدا اختبار السرعة الكتابية. وقد تم تقنينها على عينات كبيرة ممثلة تمثيلاً جيداً للمجتمع الأمريكي، ومعاملات ثباتها مرتفعة، والارتباطات بين درجاتها وبين درجات الاختبار للمواد الدراسية في المدارس التي أخذت العينات منها مرتفعة، ورغم أنها مصممة لقياس قدرات متمايزة، إلاّ أنّ هناك من الدلائل ما يشير إلى وجود عامل مشترك يقف خلف كل أشكال الأداء عليها.

وعدد الاختبارات ثمانية، جميعها من إختبارات القوة power test، فيما عدا اختبار السرعة والصحة الكتابية. وترصد الدرجات على الاختبارات في صفحة نفسية توزع فيها المئينيات توزيعاً إعتدالياً. وتعد اختبارات «الدات» هذه من

أحسن اختبارات القدرات تقنيناً وصدقاً وثباتاً، ويستغرق تطبيقها أكثر من الأربع ساعات. وعدد هذه الاختبارات سبعة، هي: إختبار الاستدلال اللفظي: verbal reasoning ويتكون من بنود متشابهات مزدوجة، ويقيس القدرة على فهم الكلمات والتجريد أو التعميم، والدرجة عليه لا دلالتها في توجيه الطلاب للدراسة الجامعية؛ واختبار القدرة العددية numerical ability: وله شكل العمليات الحسابية، ويتطلب فهماً للعلاقات بين الأعداد، ودلالته تنبؤية عن التحصيل الدراسي في المواد الرياضية، وفي الإنجاز المهني المتعلق بالإحصاء والمحاسبة وغيرهما؛ واختبار الاستدلال المجرد: abstract reasoning ويتكون من سلاسل من الأشكال المتعلقة ببعضها، والمطلوب من المفحوص إكتشاف الشكل المكمل للسلسلة. والمقصود بالاختبار أن يكون مقياساً غير لفظي للقدرة على الاستدلال، وهي قدرة أساسية في الدراسات والمهن التي تتطلب إدراكاً للعلاقات بين الأشياء مقابل إدراكها بين الألفاظ والأعداد. ويكمل الاختبار مع الاختبارين السابقين قياس جوانب الذكاء العام؛ واختبار العلاقات المكانية space relation: ويقدم فيه تخطيط لشكل على ورق مقوى، وعلى المفحوص أن يختار من بين خمسة أشكال مجسمة ذلك الذي يمكن تشكيل الورق المقوى المخطط على منواله. والاختبار يقيس القدرة على التعامل مع الأشياء المتعينة عن طريق التصور البصري، وهي قدرة مهمة في أعمال الرسامين والمهندسين وغيرهم؛ واختبار الاستدلال الميكانيكي: mechanical reasoning وتقدم فيه أشكال وأدوات ميكانيكية، يختار المفحوص من بين شكلين، الشكل الصحيح، ودلالته تنبؤية عن النجاح في الدراسات والمهن التي لها طبيعة ميكانيكية، كالتجارة والصناعة وغيرهما؛ واختبار السرعة والدقة الكتابية: clerical speed and accuracy وهو اختبار السرعة الوحيد في المجموعة، ويقيس سرعة الاستجابة في الأعمال الإدراكية البسيطة، ويتضمن أعداداً وحروفاً، ويتطلب سرعة الانتقال من صفحة لأخرى والتذكر لمدد صغيرة، وله دلالاته في التوجيه لدراسة

السكرتارية وامتهان المهن المشابهة؛ واختبار الاستخدام اللغوي: language usage test، وهو اختبار في الهجاء spelling، ويتكون من قائمة من الكلمات بعضها به أخطاء إملائية، وعلى المفحوص أن يبينها؛ واختبار الاستخدام اللغوي، وهو اختبار في الجمل sentences، وتقدم فيه جملة مقسمة إلى أجزاء، وعلى المفحوص أن يبين الجزء منها الذي يتضمن أخطاء لغوية تركيبية ونحوية. والاختباران السابقان مكملان لبعضهما، ويقيسان مهارات ضرورية في الدراسة وفي عدد من المهن. والطالب الذي يحصل على درجة مرتفعة في الاستدلال اللفظي ودرجة منخفضة في الاستخدام اللغوي، يحتاج إلى دروس علاجية في هذه المهارات.



مراجع:

Bennet, G. K., Seashore, H. G. and - Wesman, A. G.: Differential Aptitude Tests.



- ١٨ -
الاختبارات الإسقاطية
Projective Tests



هي اختبارات شخصية، يكشف من خلالها المفحوص عن سماته المميزة ومشاعره واتجاهاته وأنماط سلوكه، عن طريق إستجاباته على مادة الاختبار غير محددة البناء unstructured، كأن تكون صوراً غامضة أو بقع حبر.

والأحرى أن نطلق على هذه الاختبارات إسم «الطرق أو الأساليب الإسقاطية projective techniques or methods» وذلك أنها تفتقد مقومات الاختبار من حيث التقنين والثبات والصدق والمعايير. واصطلاح «الأساليب أو الطرق الإسقاطية» إستخدمه لأول مرة L. K. Frank سنة ١٩٣٩ إلاّ أنّ هذه الأساليب كانت من الوجهة التطبيقية معروفة من قبل ذلك بسنوات وتمارس على نطاق واسع، وكان هيرمان رورشاخ Herman Rorschach يجري تجاربه

مستعيناً ببقع الحبر ink-blots كأداة من أدوات القياس النفسي منذ سنة ١٩١١، وكان ألفريد بينيه Alfred Binet يستخدمها من قبل ذلك في دراسة الخيال والإبداع. والطريقة بشكل عام تقوم على العملية اللاشعورية للإسقاط التي يعزو بها الفرد أفكاره واستجاباته الخاصة لغيره من الناس، ويسقط تفسيراته وتأويلاته على ما يرى ويسمع. وتهيئ مادة الاختبار الموقف الذي يستثير المفحوص ويستنفر فيه هذه الاستجابات، فيسقط الجوانب الداخلية من شخصيته من خلال تأويلاته وتخيلاته، وبهذا الشكل يكشف عن غير وعي منه عن الخصائص تحت السطح التي لا تفصح عن نفسها صراحة بواسطة هذا النوع من الاختبارات الاستخبارية للشخصية. ولعل أبرز ما يظهر من صفات هذه الاختبارات أو الطرق الإسقاطية أنه يقدم فيها منبه غير محدد الهوية ولا البنية، ويحتمل أن تكون الاستجابات عليه متنوعة وبلا حدود، فيستثير المفحوص لأن يدرك الموقف ويتصوره من وجهة نظره هو، كما أنّ هذا المنبه المعروض عليه مبهم وغامض، ولم يكتمل له بناء أو تعرف له هوية. والتعليمات التي تعطى للمفحوص موجزة وعامة كي تسمح له بأن يتخيل في هذا المنبه ما يشاء، وأن يعبر عما يلم به من أفكار أو يكتنفه من مشاعر في حرية، بالإضافة إلى أنه من الممكن حجب الغاية من الاختبار عن المفحوص، وأن يذكر له أنه اختبار للخيال أو للقدرة على تأليف القصص، أو أن يقدم له الاختبار دون أن يذكر عنه أي شيء، ولا يقدم له أي تفسير. ولعل من مزايا هذه الطرق الإسقاطية أنّ المفحوص من غير المحتمل أن يزيف إستجاباته عليها، لأنها تتضمن معلومات عن أشياء من الواقع، أو تتطلب أن يجيب على أسئلة معينة، ولا يدري كيف يمكن أن يقوم الفاحص إستجاباته ولا ماذا سيستخلص منها، إلاّ أنّ مادة الاختبار مع ذلك مادة قد جهد معدو هذه الاختبارات أنفسهم في تصميمها، ولها قيمتها وتقديرها، وقد أعدت بحيث تجعل من اللقاء بين الفاحص والمفحوص حولها فرصة وطريقة لتوثيق العلاقة بينهما.

ولقد كان إعداد معظم هذه الطرق

أو أدوات القياس الإسقاطية من خلال الحاجة إليها لأغراض العلاج النفسي، ومن ثم كان اعتبارها طرقاً أو إختبارات كلينيكية، وبعض هذه الاختبارات أعد ليكون ختبارات للخيال أو للإبداع، والبعض الآخر قد كان إعداده لتطبيقه في مجال العلاج بالفن أو العلاج باللعب. وعموماً فإنّ هذه الطرق أو الاختبارات الإسقاطية تظهر تأثراً شديداً بنظرية التحليل النفسي، بتأكيدها على القوى اللاشعورية، وبعلم نفس الجشطلت الذي ينصب تناوله للشخصية من وجهة نظر شاملة كلية. وكنتيجة لهذه التأثيرات من هذين المصدرين السابقين فإنّ الفاحص يحاول أن يترسم لنفسه صورة لديناميات وبناء شخصية المفحوص بشكل عام، بما في ذلك استجاباته الوجدانية، وعلاقاته الاجتماعية، والشواهد على سوء توافقه، ودوافعه وميوله واتجاهاته ومستواه الفكري.

وهناك العديد من الاختبارات الإسقاطية مع أنّ الكثير منها لم يتم تقويمه تماماً، ويمكن أن تصنف من عدة وجوه، من حيث نمط المنبه مثلاً، وطريقة تقديم الاختبار، وأسلوب تأويل الاستجابات. ولعل أفضل التصانيف هو تصنيف ليندزي Lyndzey الخماسي على أساس نمط الاستجابة، فأولاً: هناك طرق أو أساليب التداعي associative techniques، وفيها يستجيب المفحوص للمنبه بإعطاء أول كلمة أو صورة أو فكرة تطرأ على باله، ومن أمثلتها: «إختبارات تداعي الكلمات Word Association Tests و«اختبار رورشاخ لبقع الحبر Rorschach Inkblot test؛ وهناك ثانياً: الأساليب أو الإجراءات البنائية أو التكوينية construction procedures، وتتطلب من المفحوص أو يؤلف أو ينسج قصة أو ما شابه ذلك، ومن أمثلتها «إختبار تفهم الموضوع Thematic Apperception Tests أو (TAT)، «وعمل قصة مصورة Make a Picture Story؛ وهناك ثالثاً: أساليب أو أعمال التكملة completion tasks، كأن يطلب من المفحوص تكملة جملة أو قصة، ومن أمثلتها «تكملة الجملة Sentence Completion، «ودراسة الإحباط المصور لروزينزفايج Rosenzweig Picture Frustration Study،

بالإضافة إلى اختبارات تكملة القصة وتكملة الحوار؛ وهناك رابعاً: أساليب الاختيار أو الترتيب choice or ordering devices، وتتطلب من المفحوص إعادة ترتيب الصور أو تسجيل التفضيلات وما شابه ذلك، ومن أمثلتها «إختبار زوندي Szondi Test، «واختبار ترتيب الصور لتومكنز وهورن Tomkins-Horn Picture Arrangement Test؛ والتصنيف الخامس: هو الأساليب أو الطرق التعبيرية expressive methods، ويكون بها تقويم أسلوب المفحوص ونتاجه النهائي، ومن أمثلتها «إختبار رسم الشكل Figure Drawing Test، «واختبار رسم المنزل والشجرة والشخص House - Tree - Person Test، «واللعب الإسقاطي Projective Play، «والدراما النفسية Psychodrama.

«واختبار الرورشاخ» - كأي من الاختبارات الإسقاطية - طريقة أو أسلوب إسقاطي وليس اختباراً بالمعنى المستخدم في اختبارات الذكاء أو الاستعدادات وغيرهما، ويستخدم على نطاق واسع في بحوث الشخصية والحضارة والتطبيق الكلينيكي، باعتباره أداة تشخيصية، ولتقويم فعالية العلاج النفسي الإسقاطي. والمهم في هذا الاختبار ليس ما يجيب به المفحوص، ولكن الطريقة التي يستجيب بها للبقعة. وتكتسب كل استجابة معناها لا بمفردها وإنما بالنسبة لمجموع الاستجابات.

ويشكل «إختبار تفهم الموضوع» أداة مفيدة في الدراسة الشمولية للشخصية، وفي تفسير إضطرابات السلوك والعصاب والذهان والاضطرابات النفسية البدنية. وتتعدد طرق تفسيره بحسب منظور الفاحص نفسه. وهناك الكثير من الاختبارات من نوع «التات»، منها «إختبار الصورة القصة لسيموندز Symonds Picture-Story Test، ويستخدم رسوماً تمثل مراهقين ومراهقات، «واختبار التفهم للأطفال Children Apperception Test (CAT) لبيللاك وبيللاك Bellak and Bellak، «وصور بلاكي Blacky Pictures لبلوم G. C. Blum، ورسومه الكاريكاتورية وتدور حول كلب إسمه بلاكي وعائلته. ومن أهداف «إختبار القصة المصورة Make a Test

Picture-Story لشنايدمان Schneidman دراسة الجوانب السيكولوجية للإنتاج التخيلي. وأما أساليب التكملة، فمادة الاختبار فيها لفظية غالباً، وبعضها مصور إلاّ أنّ الاستجابات تكون كتابية أو شفوية. وطريقة تكملة الجمل أسلوب إسقاطي شبه محدد البنية ويقترب من تداعي الكلمات، وكان إيبنجهاوس Ebbinghaus (١٨٥٠-١٩٠٦) من أوائل من استخدم هذا الأسلوب سنة ١٨٩٧ باعتباره اختباراً للقدرة العقلية والتفكير، وفيما يبدو فإنّ باين Payne كان أول من استخدمه كاختبار للشخصية Payne Sentence Completion Blank (١٩٢٨)، ونشرت رود Rodd إختبارها للكشف عن مشاكل الشباب واتجاهاتهم وصراعاتهم وتوافقهم (١٩٤٦)، ثم نشر شتاين Stein إختباره لاستخدامه في العيادة النفسية لمتطوعي الحرب (١٩٤٧)، ويبدو أنّ هذا العام نفسه (١٩٤٧) شهد أكثر من إختبار من هذا النوع، ومن ذلك إختبار تكملة الجمل لساخس Sachs، واختبار روتر وويلرمان Rotter and Welerman. وفي اختبارات تكملة القصص والحوار يعطى المفحوص وصفاً لموقف أو اكثر، أو قصة ناقصة، ويطلب منه أن يبني عليها قصة من عنده، وتكون الاستجابات شفهية عند الأطفال، وفي حالة الحوار يعطى المفحوص البداية ليكمل الحوار عليها. ويجمع إختبار الإحباط المصور بين اللفظ والصورة، وتشتمل الصورة على شخصيتين كاريكاتوريتين تواجه إحداهما موقفاً محبطاً، بينما تذكر الثانية شيئاً يستثير الإحباط، أو يلفت النظر إليها، ويذكر المفحوص ما يمكن أن تعلق به الشخصية الأولى على ما تقوله الثانية. وأما اختبار زوندي - وهو من اختبارات الاختيار أو الترتيب - فيتكون من مجموعات من الصور لأفراد من فئات كلينيكية مختلفة، ليختار المفحوص من بينهما الصور الأقرب لنفسه، والأكثر تنفيراً، ويرتبها على هذا الأساس من المفاضلة.

وكان تحليل الإنتاج الفني من أولى محاولات إعتبار الرسم وسيلة إسقاطية، ومن هذه المحاولات تحليل بيركهارت سنة ١٨٥٥ لإنتاج فناني عصر النهضة، ودراسة نولان لويس سنة ١٩٢٨ لرسوم

المرضى بالعيادة النفسية. ونبَّه فرويد إلى أنّ الرسم، بالإضافة إلى الأحلام، يكشفان عن ديناميات الشخصية. وفي «اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص (House-Tree-Person Test) يطلب من المفحوص أن يقوم بالرسم في كراسة لها أبعاد مقننة، وتوجه له أسئلة بعد ذلك حول ما رسم. ولا يختلف إختبار رسم الشخص عن ذلك سوى أنه يطلب من المفحوص رسم شخص آخر من غير جنس الشخص الأول وتوجه إليه أسئلة حول الرسمين. ومن هذه الاختبارات كذلك - إختبار ليفي Levy «رسم حيوان وقصة عنه»، واختبار وارتيج «تكملة الرسم Wartegg Drawing Completion Form، واختبار هاروار Harrower «رسم أبغض المفاهيم» إلخ.

وكانت نشأة أساليب اللعب والدراما النفسية في مجال علاج الأطفال، ثم طُورت لاستخدامها في تشخيص حالات الأطفال والراشدين. ويفترض أنّ استخدام الدمى - التي تمثل الأطفال والكبار من الجنسين، ومن مختلف الأعمار - ونماذج الأثاث والحمامات وأدوات المطبخ، وغير ذلك مما يلزم إستخدامها في اللعب مع الأطفال، يكشف عن إتجاهاتهم نحو العائلة ونحو أشقائهم، وعن مخاوفهم وعدوانيتهم وما إلى ذلك. ويسجل الفاحص ما يختاره الطفل من هذه البنود السابقة، وما يفعله بها، وما يصدر عنه من تغييرات لفظية وانفعالية، وغير ذلك من السلوك الظاهر. ويكون تطبيق هذا الاختبار مع الأطفال في شكل لعب حر بالدمى التي يقدمها الأخصائي للطفل. وأما في حالة الكبار فالغالب أن يطلب منهم القيام بعمل محدد، وقد يطلب ذلك أيضاً في حالة الأطفال، وكثيراً ما يكون العمل له الطابع الدرامي، كأن يكون ترتيب أشكال، أو أشخاص مصغرة miniatures، على نموذج مسرحي مصغر أيضاً. وكان «اختبار العالم (World Test) محاولة لتقنين إختبارات الدمى الإسقاطية، ومن ذلك محاولة لونفيلد Lonfeld، وبهلر Charlotte Buhler وزملائها - بولجار وفيشر وآخرين، وفي هذا الاختبار يُعطى المفحوص الكثير من النماذج من ١٥٠ نموذجاً إلى ٣٠٠ نموذج، تشمل المنازل،

والناس، والحيوانات، والكباري، والأشجار، والسيارات، والأسوار، وغيرها من الأشياء الشائعة التي يمكن أن توجد خارج البيوت. ويطلب من المفحوص أن يشيد منها ما يشاء مستخدماً ظهر طاولة أو صندوقاً، أو حتى الأرض، كسطح يصفّ عليه أدواته.

أما الدراما النفسية فتتضمن أداء مسرحياً لعدد من الأدوار تحت إشراف مخرج هو نفسه الفاحص أو المعالج النفسي. ومشاركة الجمهور مشاركة فعالة من مكملات هذا العرض. ويلاحظ سلوك المفحوص في عدد من المواقف المختارة بعناية. وقد يطلب من المفحوص أن يتخيل أنه على مسرح مع شخص متوهم، وأنّ عليه أن يؤلف لنفسه علاقة مع هذا الشخص، وأن يحدد هويته، ومكان وزمان ونوع هذه العلاقة، ويترك له الحرية الكاملة في اختيار الحركة والحوار. ومثل هذه المواقف يقصد بها أن تكشف معنى العلاقة الاجتماعية بالنسبة للمفحوص، وطريقته في التواصل مع غيره من الأشخاص. وفي بعض المواقف قد يشترك في العرض ممثلون حقيقيون يطلق على الواحد منهم إسم الأنا المساعد auxiliary ego، ويقومون بأدوار محددة مع المفحوص. وقد تتضمن المشاهد الممثلة أشياء حقيقية أو متخيلة، وقد يكون التمثيل من النوع الصامت الذي تستخدم فيه الإيماءات والإشارات والأوضاع الجسمية المختلفة، وقد تغير الأدوار بسرعة، أو تعكس الأدوار فيتبادلها المفحوص مع شخص آخر خلال المشهد الواحد، وقد يقدم المخرج للعرض خلال المواقف المختلفة العديد من الموضوعات، عن الحب، والموت، والأسرة، والمشاكل الاقتصادية، والأمن، والمكانة الاجتماعية. ومن الوجهة العملية فإنّ استخدام الدراما النفسية يحول دون التوسع فيه ما تتطلبه من وقت وأفراد وتسهيلات مادية، رغم أنّ ما يقدم منها في كثير من الأحيان هو مشاهد موجزة، كما أنه ينقصها التقنين في التطبيق والتسجيل والتفسير خصوصاً، ويصعب إثبات صدقها. وقيل إنّ هذا الأسلوب الإسقاطي لا يحتاج إلى إثبات لصدقه، طالما أنه يستخدم عينات من السلوك الواقعي، إلاّ أنّ كل الاختبارات تفعل

الشيء نفسه، ومع ذلك فلا بد فيها من إثبات الصدق. ومن الصعب معرفة إلى أي حد يرتبط سلوك المفحوص على مسرح الدراما النفسية بسلوكه في غيره من المواقف.



مراجع:

- Frank, L. K.: Projective Methods for the Study of Personality.
- Lindxey, G.: On the Classification of Projective Techniques.
- Anastasi, A.: Psychological Testing.



- ١٩ -
إختبار أوتيس ولينون للقدرات العقلية
Otis-Lennon Mental Ability Test



من أحدث الاختبارات للمرحلة الابتدائية، حيث قد صدرت صورته الأخيرة سنة ١٩٦٩. وتقدم بنود الاختبار شفوياً بينما الإجابة تكون في كراسة مصورة، كأن يطلب من المفحوص شفوياً، أن يضع علامة على الشكل الذي لا يتفق مع بنية الأشكال التي أمامه. وتستغرق الإجابة ١٥ ثانية، والاختبار كله يستغرق ما بين خمس وعشرين وثلاثين دقيقة. وتوجد منه اختبارات مستقلة لكل سنة دراسية صممت لقياس تكوين المفاهيم اللفظية، والاستدلال الكمي، والمعلومات العامة، والقدرة على متابعة التعليمات.

ولأوتيس غير هذا الاختبار نموذجان آخران، أحدهما Otis Quick Scoring Mental Ability Test لقياس الذكاء لثلاثة مستويات - المستوى أ لأطفال السنوات من الأولى إبتدائي حتى الرابعة، والمستوى ب للتلاميذ بعد ذلك حتى نهاية الثانوية، والمستوى د للطلبة الكبار في مراحل التعليم الجامعي. والنموذج الآخر Otis Self administering Test of Intelligence، هو اختبار لفظي لقياس

الذكاء لمستويين - أطفال الابتدائي، والتلاميذ في الثانوي، ويمكن إستخدام هذا النموذج كاختبار فردي أو جماعي.



مراجع:

Dictionary of Behavioral Science. - Wolman.



- ٢٠ -

الاختبارات التحصيلية

Achievement Tests



تقيس الاختبارات التحصيلية ما تقيسه إختبارات المتعلمين التي تجرى على فترات. والمقصود بالاختبارات التحصيلية هذا النوع الذي يُعد ويُقنن موضوعياً كما في الاختبارات السيكولوجية، وتحلل بنودها وتعد معاييرها ويتم التأكد من صدقها وثباتها. وصدق هذه الاختبارات من نوع صدق المحتوى من حيث تغطيتها للمناهج الدراسية وما تم تدريسه منها فعلاً، ومراعاتها لمستويات الطلبة وأعمارهم. وتحسب معايير العمر التعليمي educational age على هذه الاختبارات عن طريق حساب الدرجة الوسيطة لكل التلاميذ من عمر معين الذين تنطبق عليهم، بصرف النظر عن الفرق الدراسية التي ينتمون لها. وقد تحسب أيضاً النسبة التعليمية educational quotient (E.Q) بقسمة العمر التعليمي على العمر الزمني chronological age. وقد تحسب النسبة التحصيلية achievement quotient (A.Q.) بقسمة العمر التحصيلي achievement age على العمر العقلي mental age.

والاختبارات التحصيلية بالإضافة إلى أنها مؤشرات ترقى في المستوى التعليمي، فإنها دليل على مستوى معين من الذكاء والقدرات المؤهلة للتحصيل، ولكنها ليست إختبارات ذكاء، ولا تُعد من اختبارات القدرات. وقد تستعمل كلمة accomplishment يعني الإنجاز بدلاً من كلمة التحصيل لبيان ما تم تحصيله فعلاً.

ومن مزايا اختبارات التحصيل أنها مقياس للتمكن من المواد الدراسية المتعلمة، ومن ذلك إختبارات قوة التحصيل power test لقياس مستوى التحصيل في مختلف المواد، واختبارات الاختيار بين متعدد multiple choice test، وتقدم للمفحوص أسئلة وعدة إجابات ليختار من بينها الجواب الصحيح، وتعتمد على التحصيل الجيد، وتسمى أحياناً إختبارات إختيار الجواب selective answer tests، وعلى نتائجها يمكن أن تعد برامج علاجية لملافاة أوجه الضعف التحصيلي، أو الكشف عن أسبابه في المعوقات الدراسية أو المنزلية أو البدنية أو النفسية أو العقلية. وهي مؤشر لجدوى العملية التعليمية، ومنبه لمراجعة أساليب التدريس وتقديم المناهج.

واختبارات التحصيل منها بطاريات batteries تتكون من عدد من الاختبارات الفرعية، تقيس التحصيل في المواد الدراسية المختلفة، ومن ذلك إختبارات المعلومات information tests؛ ومنها صور تعليمية متكافئة لتناسب مختلف المستويات العمرية. ويتجه تصميم هذا النوع إلى أن يكون إختبارات تفيد مما درسه الطالب في التطبيقات على مواقف ومشكلات تتطلب حلولاً تتعلق بهذه المواد الدراسية. وقد قيل إنّ من عيوب الاختبارات التحصيلية أنها تطبع العملية التعليمية بطابعها، وتجعل الهدف الأول هو استيعاب المعلومات الدراسية، واختبار هذه الاختبارات نفسها أنها تتناول تحقيق مختلف الأمور الحياتية. وهي اختبارات يصمم بعضها في البلاد المتقدمة في مجالات الأساليب التربوية وأهدافها، ولمعرفة ما ينبغي تدريسه، والاختبار عليه، بحيث تكون تقويماً للتفكير النقدي للطالب، ولقدرته على استيعاب المشاكل وحلها، واتخاذ القرارات في المواقف المختلفة، والارتقاء في العادات والاتجاهات والتذوق الفني والأدبي. وهناك اختبارات تقيس التمكن mastery tests وتحدد ما إذا كان المفحوص قد بلغ مستوى الحذق والبراعة أو لا. وفي اختبار قائمة الجرد inventory test يقاس التحصيل بحصر نواحي القوة والضعف فيه.

ومن اختبارات التحصيل ما يكون

تخصصاً في مجالات دراسية، كالمجال العملي أو الأدبي أو الاجتماعي، ويقيس المعلومات العلمية أو الرياضية أو اللغوية، أو المعلومات في التاريخ والاقتصاد والجغرافيا، إلخ، ويُطلق على هذه الاختبارات إسم إختبارات التحصيل التعليمي educational achievement tests، وتتناسب واستخدامها كاختبارات لنهاية برنامج أو منهج دراسي.

واختبارات الاستعداد readiness tests، أو الاختبارات التشخيصية diagnostic tests، هي أساساً إختبارات قدرات، طالما أنّ هدفها التنبؤ بإمكان إستفادة الفرد من دراسة منهج معين أو التدريب على عمل معين، إلاّ أنّ استخدامها في مجال تعليمي يجعلها تتبع الاختبارات التحصيلية، بالإضافة إلى أنّ الكثير من الاختبارات باعتبارها إختبارات للاستعداد، مصممة أساساً لذلك، وخاصة في مجال مهارات القراءة والمهارات الرياضية. ويكثر إستخدام هذه الاختبارات عند الالتحاق بالسنة الأولى الابتدائية، وهي تشبه لهذه المرحلة إختبارات الذكاء للمرحلة الابتدائية. وتؤكد هذه الاختبارات قياس القدرات المهمة لتعلم القراءة، ومتطلبات التفكير العددي، والتحكم الحسي الحركي اللازم لتعليم الكتابة. ومن بين الوظائف التي تقيسها التمييز البصري والسمعي، والتحكم الحركي، والاستيعاب اللفظي، والمفردات والمفاهيم الكمية، والمعلومات العامة.

ويميز في مجال القياس للمهارات الرياضية ومهارات القراء، بين الاختبارات التشخيصية والاختبارات المسحية survey tests، وتكشف هذه الاختبارات الأخيرة عن المستوى العام لتحصيل الفرد في القراءة والحساب، وأما الاختبارات التشخيصية فهي لتحليل أداء الفرد، والكشف عن أسباب الصعوبات التي تعوق تحصيله. والاختبارات التشخيصية للقراءة، منها الجمعي، ومنها الفردي، والجمعي منها الغرض منه يزيد قليلاً عن أن يجعلها إختبارات مسحية، والفردي منها يُستخدم في الدراسات المتعمقة لتشخيص صعوبات التحصيل للحالات الفردية - كصعوبات القراءة، وقد

تستخدم في الكشف عنها أجهزة خاصة كالتاكيستوسكوب tachistoscope للتحكم في فترة عرض المادة القرائية المطبوعة، والأوفثالموجراف ophthalmograph لتصوير حركات العين أثناء القراءة. وتعطى الدرجات في هذه الاختبارات على سرعة القراءة الصامتة والجهرية، والمفردات، وفهم الجمل، وفهم الفقرة. وفي اختبار القراءة الموجهة directed reading يطلب من المفحوص إستخراج الإجابات على أسئلة معينة عن فقرة من الفقرات، واختيار الكلمة التي يمكن أن تندرج تحتها معلومات عن سؤال معين. ويتطلب تشخيص وعلاج العجز القرائي الحاد دراسة مستفيضة لتاريخ الحالة، ومعلومات عن نمو الفرد الحسي والحركي، وتاريخه الطبي والصحي، وفحص دقيق للصعوبات الوجدانية المحتملة عنده. وفي بعض الحالات قد يكون التخلف الشديد في القراءة عرضاً لسوء توافق أساسي في الشخصية. ومع أنّ الاختبارات المسحية والتشخيصية الجماعية قد تفيد في اكتشاف الأفراد الذين يحتاجون لمزيد من الرعاية، فإنّ تشخيص وعلاج العجز عن القراءة كثيراً ما يشكل عبئاً على الكلينيكي. ويصدق ذلك أيضاً على حالات العجز الحسابي الشديد.

ويستخدم الكثير من إختبارات التحصيل للاختيار وأغراض التصنيف في الصناعة والحكومة والقوات المسلحة، وعندما تستخدم لأغراض الصناعة تسمى عادة إختبارات حرفية trade tests، والكثير من إختبارات التحصيل المهنية vocational achievement tests قد صممت لخدمة غايات معينة وليست للتوزيع العام، ومن أمثلة ذلك إختبارات الخدمة المدنية.

وتستخدم إختبارات التحصيل المهنية العديد من وسائل الاختبار، وقد يكون مضمون الاختبارات لفظياً، ومن ذلك اختبار الورقة والقلم paper and pencil test، والكتابة ضرورية فيه، وقد تكون صورة إختبار التحصيل هي اختبار الصح والغلط true-false test فيحجج المفحوص ما إذا كانت الإجابة على السؤال صحيحة فيضع علامة صح ✓، أو

خطأ فيضع علامة x، وربما تستخدم فيه المواد المصورة أو الرسوم البيانية. وقد تقدم الأسئلة شفوية أو مكتوبة. وقد يحتاج الأمر أن تحل الاختبارات اليدوية أو الأدائية محل اختبارات الورقة والقلم. ويأخذ الكثير من إختبارات التحصيل المهنية شكل عينة من العمل الذي تقوم به الوظيفة، إلاّ أنها تكون عينة مقننة. ويتطلب الأمر أحياناً أن يؤدى الاختبار على وجه السرعة، ويستلزم لذلك أن يؤدي المفحوص إختباراً مصغراً miniature test، لا حاجة فيه لآلات كاملة كالآلات التي سيعمل عليها العامل أو الموظف من بعد نجاحه في الاختبار، ولا يستغرق الاختبار سوى وقت بسيط، ولا يشكل عبئاً على المفحوص والمشرفين، إلاّ أنه من جهة أخرى فإنّ التبسيط في العمل بطريقة الاختبار المصغر قد يستدعي من المفحوص ردود فعل لا تشبه ردود الفعل على العمليات الأخرى التي تدخل في العمل فعلياً خارج ظروف الاختبار. وتعطى الدرجة في اختبارات عينة العمل على ما يتكون منه الاختبار من عمليات، أو على الإنتاج نفسه، أو على الاثنين معاً بحسب نوع العمل نفسه.

ومن أشهر إختبارات التحصيل المهنية الاختبارات على الأعمال الكتابية، وخاصة إختبار الآلة الكاتبة، ومسك الدفاتر، والاختزال. وتتضمن بعض هذه الاختبارات أجزاء تتناول الاستخدام اللغوي والمعلومات الإدارية العامة.

وثمة طريقة أخرى للتقويم التحصيلي المهني بقياس الخبرة شفوياً عن طريق ما يسمى الاختبارات الحرفية الشفوية oral trade tests، وتتضمن أسئلة موجزة في المعرفة الحرفية المتخصصة، وتختار بنود المعلومات سهلة على من تكون له خبرة فعلية في هذا المجال، وصعبة على من لا خبرة له فيه.

وتطبق الاختبارات المقننة standardized على نطاق واسع في اختيار الأفراد المهنيين، وخاصة عند اختيار الطلاب للالتحاق بالكليات والمعاهد ومراكز التدريب المهنية، مثل كليات الطب، وطب الأسنان، والتمريض، والقانون، والتجارة، والهندسة، والكليات الدينية، وغير ذلك من المجالات المهنية. ومع أنّ هذه الاختبارات تؤكد

على القدرات الخاصة والتنبؤ بالأداء في هذا التخصص أو ذاك، إلاّ أنها تقوم على قياس الجانب التحصيلي المهني.

وهناك مجال آخر تُستخدم فيه إختبارات التحصيل المقننة، وهو مجال التدريب المهني، وإجازة المفحوص فيه مهنياً، وإعطائه شهادة بأنه قد اجتاز اختباراته، وهي اختبارات تحصيلية في مضمونها. ومن الأمثلة على ذلك إختبارات التخصص في الجراحة والتوليد، إلخ. ومنذ سنة ١٩٣٠ بدأت التطبيقات على اختبارات الاختيار لطلبة الطب، وتتكون من إختبارات بعضها لغوي، وبعضها كمي، وبعضها علمي، والبعض يدور حول فهم المجتمع الحديث. وتتضمن الاختبارات اللغوية المفردات، والاستيعاب القرائي في مجالات العلوم والدراسات الاجتماعية والإنسانيات. وتقاس القدرة الكمية باختبارات عن مسائل رياضية تستخدم فيها الأعداد والرموز، وتتطلب اللجوء إلى الاستدلال، والرجوع للمعلومات العامة. وتستخدم في اختبارات فهم المجتمع الحديث طريقة الاختيار من متعدد، وتتضمن بنوداً اقتصادية وسياسية. وأما الجزء الخاص من هذه الاختبارات المتعلق بالمادة العلمية فالإجابة على أسئلته من مقررات الفيزياء والكيمياء وعلم الحياة، من المرحلة الثانوية قبل الجامعية.

وتقيس إختبارات القبول لطب الأسنان القدرة الميكانيكية والمهارة اليدوية، ومنها إختبارات صُمِّمت للتنبؤ بالتحصيل النظري الجامعي. وأما اختبارات كليات الهندسة فتقيس الاستيعاب الميكانيكي، والتجميع، والإدراك البصري المكاني، ومنها اختبارات تحصيل في الرياضيات والعلوم واللغة. وأثبتت إختبارات التحصيل الرياضية أنها الاختبارات الوحيدة التنبؤية في مجال الأداء الهندسي المدرسي.

وكانت هناك بحوث كثيرة في استخدام الاختبارات التحصيلية لقياس الاستعداد لمهنة التدريس للمراحل التعليمية المختلفة. وثبت أنّ أفضل الاختبارات لبيان الصلاحية للالتحاق بكليات المعلمين هي اختبار التحصيل

الأكاديمية، واختبارات الذكاء العام.



مراجع:

Anastasi, A.: Psychological Testing. -



- ٢١ -

إختبارات التذوق الأدبي

Literary Appreciation Tests



يشتمل الاستعداد الأدبي literary aptitude على عدد من المهارات، مثله في ذلك مثل الاستعداد الموسيقي أو الاستعداد الفني المتمثل في الرسم والتصوير بالزيت، إلخ. وتقيس إختبارات الاستعداد الأدبي المعرفة باللغة وبفنون الأدب، ومن ذلك إختبارات النحو والهجاء والمفردات وغير ذلك من حرفيات الكتابة، واختبارات المقاييس الفنية للشعر والنثر وغيرهما، واختبارات التذوق الأدبي، من حيث إصدار الأحكام الأدبية الجمالية، وتفضيل إنتاج أدبي على إنتاج آخر. ولا شك أنّ اختبارات التحصيل منها اختبارات قياس التمكن من اللغة، باعتبار ما تم تدريسه منها فيما سبق من موضوعات الاختبارات السالفة. وكذلك فإنّ من اختبارات الذكاء والقدرة اللفظية ما يخص هذه المجالات، وإن كان ذلك على هيئة أعم وأشمل بدون تخصص كاختبارات التحصيل. ومن الاختبارات للقدرة على الإنشاء الأدبي أن يطلب من المفحوص أن يكتب في موضوع من الموضوعات كتابة أدبية يتوجه فيها الاهتمام إلى مستوى التعبير، ويشمل ذلك أن تأتي لغة المفحوص خالية من الأخطاء النحوية والإملائية، وأن تتميز كتابته بالوضوح والتنظيم. ومن هذه الاختبارات كذلك اختبار الألفاظ والأصالة في التعبير. والحكم على النواحي الجمالية في العمل الأدبي مجال الاختبار فيه هو التذوق الأدبي، وما لم تكن للكتابة الأدبية قيمة جمالية فلا أقل من أن تكون لها قيمة تواصلية، وقياس القيمة التواصلية للأدب هو النوع السائد في الاختبارات اللغوية في المدارس التي تقيس التقدم في

التعليم اللغوي، وليس بقصد اكتشاف المواهب الأدبية. واختبارات التذوق الأدبي تقيس الذكاء أو الحس الأدبي للكلمات والتراكيب والصور البيانية، مثلما تقيس الاختبارات الفنية الأخرى الحس الفني للأصوات وتناغمها وتراكبها، وللخطوط وانسجامها، والألوان وتجاذبها، والتكوينات التي تشمل على ذلك كله في حدود العرف الأدبي أو الفني عند الأدباء أو الفنانين في زمان ومكان معينين. وبديهي أن يكون من أهداف إختبارات التذوق الأدبي أن تقيس فهم المفحوص للنص الأدبي، إلاّ أنّ الفهم وحده لا يكفي في هذا المجال، فهناك بالإضافة إلى ذلك جماليات وسيلة التعبير، سواء كانت شعراً أو نثراً، إلخ. ويبدو أنّ أولى محاولات صياغة اختبارات للتذوق الفني كانت في مجال الشعر. ومثلما أنّ إصدار الحكم الأدبي على نص من النصوص هو أرقى وأهم عمليات التقويم الأدبي، وقياس الاستعداد أو القدرة الأدبية، فإنّ إصدار الأحكام في مجال الشعر هو أرقى ما يمكن أن يبلغه التذوق الأدبي، ولذلك فقد توجهت أولى محاولات إختبار القدرة على إصدار الأحكام الأدبية، أو قياس مستوى التذوق الأدبي، إلى مجال الشعر، وهو المجال الأظهر والأكثر تمييزاً لمستويات القدرة الأدبية. ومن ذلك «مقياس القدرة على تقدير الشعر لأبوت وترابو Abbot and Trabue: A Measure of Ability to Judge Poetry، وكان صدوره سنة ١٩٢١، وهو من الاختبارات الرائدة التي على منوالها صيغت الاختبارات اللاحقة، ويشتمل على مقتطفات شعرية أصلية، ومقطوعات مقلدة يفقدها التقليد بعض خصائصها. ولكل فقرة شعرية أصلية ثلاث فقرات مقلدة في ثلاثة مجالات، الأولى: الناحية الوجدانية من حيث تزييف العواطف؛ والثانية: ناحية الصياغة النظمية فتأتي الفقرة المقلدة عادية الصياغة؛ والثالثة: ناحية الإيقاع الشعري، فتضطرب الحركة، وقد تبطئ أو تسرع، وعلى المفحوص أن يختار من مجموعة كل بند من بنود الاختبار أفضل الفقرات من حيث خلوها من كل العيوب السابقة.

وهذه الطريقة - كما سبق إليها هذا الاختبار - هي التي سارت عليها أغلب

الاختبارات من بعد، مثل «إختبار ريج في تقدير الشعر Rigg Poetry Judgment Test» الذي نشر سنة ١٩٤٢ أي بعد نشر اختبار أبوت وترابو بإحدى وعشرين سنة. ويجعل ريج المفاضلة في البند الواحد بين فقرتين شعريتين فقط، مع زيادة عدد البنود، إلاّ أنه يجعل الفقرات قصيرة لا تزيد عن الأبيات الأربعة، مما يصرف الأحكام إلى التفاصيل الثانوية فيها، والنواحي الميكانيكية، دون الجماليات التي لا تتأبى على الإيجاز في سطور.

«واختبار كارول في تذوق النثر Carroll Prose Appreciation Test» مثل آخر أشبه بالاختبار السابق، إلاّ أنه في النثر وليس في الشعر، والمقتطفات التي يطرحها يستعيرها من ثلاثة مصادر، حيث تكون إحدى المقطوعات مأخوذة من عمل أدبي من الأعمال الكبيرة الكلاسيكية، والمقطوعة الثانية من كتاب عادي، والثالثة من مجلة مبتذلة، ثم قطعة رابعة ركيكة وتؤلف خصيصاً للاختبار. وتتميز القطع الأربع أنّ موضوعاتها متشابهة وأطوالها واحدة، وعلى المفحوص أن يرتبها بحسب أفضليتها عنده.

ويبدو أنّ عيوب هذه الاختبارات أنّ الفقرات فيها تكون قصيرة ولا سبيل لجعلها أطول بسبب الوقت، ومن ثم ينصرف الحكم عليها إلى ما فيها من أسلوبية.



– ٢٢ –
إختبارات التذوق الفني
Artistic Appreciation Tests



الغرض من هذه الاختبارات هو قياس القدرة الفنية، والتعرف على المواهب الإبداعية، والكشف عن الاستعدادات الفنية في مجال الرسم والتصوير والتكوين، وفي مجال العمارة والتشكيل الفني وغير ذلك. والاختبارات من هذا النوع معروفة من زمن، وتستخدم فيها عينات من إنتاج مختلف الفنانين للمقارنة بينها. وبديهي أن تكون المقارنة بين أعمال الفنانين ممن تلقوا دراسات

واحدة، ويتناولون موضوعات واحدة، ويخضعون جميعاً لمواقف مضبوطة متشابهة، وذلك شيء عسير، إلاّ إذا كان المقارنة فيما يمكن أن يصدروه من أحكام جمالية على أعمال فنية واحدة تعرض عليهم، وفي ظروف مواقف إختبار إصدارهم لهذه الأحكام. ويعتبر «اختبار مكادوري الفني McAdory Art Test» من أولى محاولات قياس التذوق الفني، والاختبار صدر سنة ١٩٢٩ ولم تعد له إلاّ قيمة تاريخية، وذلك لأنّ مادته تجاوزتها الأحداث، وهي مادة روعي في انتقائها آنذاك أن تناسب عصرها، وأخذت من المجلات المعروفة وقتئذ، بالإضافة إلى أشياء أخرى اختيرت من الكتب الفنية ومخزون المتاحف، وتشتمل على أصناف من الأثاث، وأدوات البيت، والمنسوجات، والملابس، والسيارات، والصور الزيتية، وغير ذلك، بحيث يكون من كل صنف من الأصناف السابقة أربعة نماذج مختلفة، إما في الشكل، أو في ترتيب الخطوط، أو توزيع الظل والضوء والألوان، وعلى المفحوص أن يرتب النماذج الأربعة من كل صنف بحسب تفضيله لها.

«واختبار الحكم الفني لميير Meier Art Judgment Test» هو تعديل لاختبار سابق في المجال نفسه لميير وسيشور Seashore، وهو من أكثر الاختبارات المستخدمة في مجال التذوق الفني، وكان أول إصدار له سنة ١٩٢٩ ثم أجريت عليه تعديلات، وحذفت منه أجزاء، ونشر سنة ١٩٤٠. وهو يختلف في نواح عدة عن اختبار مكادوري، فمادة الاختبار مختارة من بين أعمال معروفة لفنانين مشهورين عرفوا طريقهم إلى الخلود، وتتكون من مائة زوج من الصور، كل زوج يتألف من صورة طبق الأصل للعمل الفني الأصلي، بينما الصورة الثانية أجريت عليها تعديلات في السيمترية والتوازن والوحدة والإيقاع. والصور جميعها أبيض وأسود. ويركز الاختبار على قدرة المفحوص على إدراك التنظيم الجمالي aesthetic organization، وإصدار الأحكام الجمالية، وتلك قدرة يعتبرها ميير أهم عناصر الموهبة الفنية. وميير لم يرد لاختباره أن يكون مقياساً لدقة الإدراك، ولذلك يجعل من أصول الاختبار أن يطلع المفحوص على كافة تفاصيل الاختلاف بين الصورتين

الأصلية والمعدلة.

ولقد ظل ميير يجري وزملاؤه دراساته على طبيعة الموهبة الفنية داخل جامعة أيوا Iowa لمدة تربو على العشرين سنة، وكان أغلب من فحصهم من الأطفال، وشملت إختباراته الكبار وعدداً كبيراً من الفنانين المحترفين، وخرج من كل ذلك بنتيجة هامة، ألا وهي أنّ الاستعداد الفني يتضمن فيما يتضمنه ست سمات متداخلة ومترابطة هي: المهارة اليدوية manual skill، والمثابرة على العمل عن طواعية وطيب خاطر، والذكاء الجمالي aesthetic intelligence، وسهولة الإدراك perceptual facility، والخيال الإبداعي creative imagination، والحكم الجمالي aesthetic judgment. ويتوجه إختبار ميير أساساً إلى قياس هذه السمة الأخيرة. وكانت خطته في الأصل موجهة لأن يعد اختبار يقيس الجمال الإبداعي والإدراك الجمالي، إلاّ أنه عدل فيها وطور الاختبار ليكون هدفه هو هذا الهدف الجديد. ولم يكن إستخلاصه للسمات الست السابقة نتيجة تحليل عاملي كالذي تقوم عليه إختبارات الذكاء ولكنه نتيجة لدراسة موضوعية لسير الفنانين وتواريخ حياتهم وإنتاجهم الفني. وراعى ميير لصدق الاختبار أن تكون بنوده من بين الأعمال الفنية المشهورة والمشهود لها وأن تكون التعديلات عليها بحيث تنتهك المبادئ الفنية المعترف بها. وعندما جمع منها الشيء الكثير دفع بها إلى خمسة وعشرين خبيراً في الفن، ولم يحتفظ من كل ما جمع من البنود إلاّ بما اتفق عليه الخبراء إتفاقاً واضحاً. وأخيراً إختار من بين البنود الأخيرة ما فضله واختاره منها من ستين إلى تسعين في المائة من المفحوصين باعتبارها صوراً للوحات الأصلية.

وتختلف الدرجات المعطاة على الاختبار باختلاف سن المفحوصين ومستواهم التعليمي والثقافي، ويحاسب طلبة الكليات الفنية مثلاً بخلاف طلبة الكليات غير الفنية، ورغم ما يبدو من إنخفاض الارتباط بين هذا الاختبار واختبارات الذكاء التقليدية مثل ستانفورد بينيه، أو مجموعة الاختبارات اللفظية، فإننا لا ينبغي أن نفهم أنّ الذكاء المجرد، أو الاستعداد المدرسي، غير مرتبط

بالنجاح النهائي في المهن الفنية. وهناك ما يثبت أنّ علو المستوى الفني مرتبط بالتحصيل المدرسي، وكان متوسط نسبة الذكاء للفنانين الناجحين كما انتهت إليه اختبارات جامعة أيوا، هو ١١٩ كما كانت نسبة الذكاء لعدد من الأطفال الموهوبين فنياً ممن أجرت عليهم الجامعة اختباراتها متراوحة بين ١١١ و١٦٦.

وبينما نجد أنّ مادة الاختبار عند مكادوري من بين الإنتاج الفني المعاصر، ومواد الاختبار عند ميير لا زمن لها باعتبار أنها أعمال خالدة، فإنّ بنود الاختبار عند جريفز أشكال مجردة. «واختبار الحكم على الأشكال لجريفز Graves Design Judgment Test» هو الاختبار الثالث من مجموعة إختبارات الاستعداد الفني، وهو يختلف إختلافاً جوهرياً عن الاختبارين السابقين، وذلك لأنه لا يجعل اللوحات أو الرسوم مادة له، وإنما يختار أشكالاً فنية. ويتألف الاختبار من ١٥٠ بنداً، ويتكون كل بند من شكلين أو ثلاثة يمكن أن يقارَنوا ببعض، وأحد هذين الشكلين قد صمم طبقاً للأصول الفنية، من حيث مراعاة الوحدة، والتنوع، والتوازن، والهيمنة، والاستمرارية، والسيمترية، والتناسب، والإيقاع. والشكل أو الشكلان الآخران ينتهكان واحداً أو أكثر من هذه الأصول. وقد اختيرت البنود بعد أن قدم عدد كبير منها إلى مدرسي وطلبة فنون، وطلبة من غير الدارسين للفن، فكانت ما اتفقوا على أنه أفضل البنود مراعاة للأصول الفنية. وصممت الأشكال بالألوان الأبيض والأسود والرمادي، وبعضها أشكال من خطوط، والبعض يتألف من دوائر ومربعات ومثلثات، إلخ.

ولأنّ أغلب إختبارات القدرة الفنية الابتكارية هي عينات أشغال فعلية، فإنها تتأثر بلا شك لدرجة كبيرة بالتدريبات عليها التي تأخذ شكلاً تعليمياً، ومن ثم فقد ينظر إليها باعتبارها إختبارات تحصيلية. وبعض هذه الاختبارات يصمم للتنبؤ عن حقيقة الأداء الفني مستقبلاً. ومن أشهرها: «إختبارات لورنز للقدرات الأساسية للفن المرئي Lewerenz Tests in Fundamental Abilities of Visual Art؛ «واختبار القدرة الفنية لنوبر Knauber Art Ability Test؛ و«استبيان هورن للاستعداد الفني Horn

Art Aptitude inventory و«اختبار إلبنوي للقدرة الفنية Illinois Art Ability Test، و«اختبار لورنز مصمم للأطفال الكبار»، و«اختبار هورن للأطفال والراشدين». ويشتمل الاختباران الأولان على عدد من الاختبارات الفرعية تغطي التذوق الفني والمعلومات الفنية، بالإضافة إلى مهارات الرسم والقدرة على الابتكار، وهما من الاختبارات الباكرة التي لم تراجع. وأما «اختبار هورن» فتمت مراجعته إلى حد ما، ويركز على قياس القدرات الفنية الإبداعية، وله سقف عال، ويميز بين الطلبة الراغبين في الالتحاق بالمدارس الفنية، ويشتمل على ثلاثة أجزاء، الأول إختبار الرسوم المتعجلة scribbles، ويطلب فيه من المفحوص أن يخطط على وجه السرعة لشكل كتاب أو شوكة مثلاً في خلال ثانيتين للرسم الواحد. ويقيس هذا الجزء تذوق التناسب والمهارة في التكوين وترتيب الأشياء في الصفحة، والجزء الثاني عبارة عن اختبار للرسوم العابثة doodles، بأن يطلب من المفحوص أن يصنع تكوينات من مثلثات أو مستطيلات مثلاً، والثالث إختبار في التخيل imagery، يعطى فيه المفحوص بعض الخطوط وعليه أن يبني عليها تكوينات من عنده.

وبشكل عام فإنّ «الاختبارات الاستعدادات الفنية» تحتاج إلى التثبت من صدقها، ومن وجود إرتباطات بين نتائجها، قبل تلقي المفحوص لأي تدريب فني، وبعد تلقي هذا التدريب، وهناك ما يثبت تأثير التدريب الفني على نتائج الاختبارات. وتقيس أغلب هذه الاختبارات العوامل الداخلة في الاستعداد الفني بناء على فروض عن هذه العوامل لم تتحصل نتيجة تحليل عاملي. وهناك من الشواهد ما يدعم القول بأنّ هذه الاختبارات متميزة حضارياً، بمعنى أنّ نتائجها تتأثر بالثقافة الفنية في المجتمع، ولذلك فهي لا تصلح للتطبيق في بعض المجتمعات، وقد يرجع ذلك إلى ما يقال من وجود إختلافات ثقافية أو حضارية في التذوق الفني وفي المعايير الفنية.



مراجع:

- Anastasi, A.: Psychological Testing.



- ٢٣ -
إختبارات الذكاء
Intelligence Tests



إختبارات مقننة standardized tests، بمعنى أنّ تعليمات إستخدامها محددة، ومعاييرها مقدرة، ولها معطيات صدق وثبات، وتقيس مجموعة من الأعمال والأنشطة المختلفة، لفظية وأدائية وحسابية واجتماعية، تمثل عينة جيدة لمجال واسع من القدرة العقلية، باعتبار أنّ مفهوم الذكاء يعني أنه قدرة عامة غير متجانسة التكوين، وتغطي مجالاً من النشاط العقلي. ولا يتعارض أن يكون للذكاء هذا المفهوم المركب، وأن نحصل على درجة واحدة شاملة لكل جوانب هذه القدرة العامة هي ما نسميه نسبة الذكاء intelligence quotient (IQ)، وهي نسبة العمر العقلي إلى العمر الزمني، معبراً عنها كنسبة مئوية - هكذا: العمر العقلي على العمر الزمني مضروباً في مائة، وفي وقت حصولنا على نسبة الذكاء، نحصل من إختبارات أخرى على درجات خاصة بقدرات محددة. وتعطي بعض اختبارات الذكاء نسبة ذكاء عام كما هو الحال مع مقياس ستانفورد بينيه (أنظر لاحقاً)، أو نسبتي ذكاء لفظي وأدائي، بالإضافة إلى نسبة الذكاء العام، كما هو الحال مع مقياس ويكسلر بلفيو للراشدين (أنظر مقاييس الذكاء لويكسلر)، واختبارات الذكاء منها: إختبارات الذكاء الفردية individual i. Ts. مثل مقاييس ستانفورد بينيه Stanford Binet، وويكسلر Wechsler Scales، أي تقيس ذكاء أفراد وليس جماعات، واختبارات الذكاء الجماعية group i. Ts.. والأصل في اختبارات الذكاء أنها فردية، وتتيح للفاحص أو الأخصائي المشرف على الاختبار أن يلاحظ المفحوص ويرصد سلوكه وانفعالاته. ولا شك أنّ موقف الاختبار هو أفضل مجالات

الملاحظة الكلينيكية للمفحوص، وهو موقف يتيح الفرصة لإقامة علاقة مناسبة بينهما، نتوقع من خلالها زيادة تعاون المفحوص واستجاباته لموقف الاختبار. ومن ناحية أخرى يتعين عند استخدام إختبارات الذكاء الفردية individual i. T. الحرص الشديد في تفسير الدرجة عليها، إذ أنه لا ينبغي فيها استخدام المعايير المنسبة لمجتمع ما لتطبيقها على مجتمع آخر، حيث أنّ هناك دائماً فروقاً بين المجتمعات، بل إنّ هذه الفروق موجودة داخل المجتمع الواحد، بين الريف والحضر، وبين الطبقات الاجتماعية مثلاً. وتؤدي الفروق الحضارية إلى اختلاف معايير المجتمعات، فأسلوب العمل والخصائص الحضارية وأهداف التعليم ونمط التفكير السائد، كل ذلك يؤثر في تحديد أداء الأفراد على اختبارات الذكاء، ومن ذلك أنّ أطفال المدارس في بعض المجتمعات يتعلمون منذ السنوات الأولى للدراسة تناول الأمور العقلية، ويكافأ الطفل على إجابته على أسئلة الراشدين، ويشترك في حل المتاهات والكلمات المتقاطعة مع زملائه، وتؤدي هذه الخبرات إلى تدريبه على تناول المسائل التي تتضمنها إختبارات الذكاء الفردية، كما تدربه على التفكير النقدي التنافسي.

وبالنظر إلى أنّ اختبارات الذكاء تقيس ذكاء الأفراد في المراحل العمرية المختلفة، فإنّ من شأن تقنين بنودها على عينات عمرية مختلفة من المجتمع أن تكون نسبة الذكاء للفرد الواحد مستقرة في المستويات العمرية المختلفة، ويساعدنا إستقرارها من ناحية التنبؤ بأداء الفرد، وتساهم في استخدام درجات الاختبارات في التخطيط التعليمي والمهني، كما تجيب على كثير من الأسئلة حول معدل نمو الذكاء وثباته من عدمه، وما إذا كان الذكاء محدداً بالوراثة أو غير محدد. وتشير النتائج المستخلصة من إختبارات الذكاء الفردية على أنّ نمو الذكاء بالمعدل نفسه لا يحدث على المستوى الفردي، بالنظر إلى أنّ هناك الكثير من العوامل البيئية والاجتماعية والعائلية والصحية والتعليمية التي يمكن أن تيسر نمو ذكاء الأفراد وارتقاءه، أو تعوقه وتكف هذا النمو.

واختبارات الذكاء الجماعية، تقيس ذكاء الجماعات وليس الأفراد، ولعل «اختبار ألفا Army Alpha I. T.»، «واختبار بيتا لقياس ذكاء المجندين Army Beta I. T.»، هما أولى الاختبارات الرائدة في قياس الذكاء على المستوى الجماعي، ويتميزان عن إختبارات الذكاء الفردية بتوفير استهلاك الوقت، واختبار أعداد ضخمة في المواقف العاجلة، وتطور إلى اختبار التصنيف العام للجيش Army General Classification Test (AGCT)، الذي تم وضعه خلال الحرب العالمية الأولى، ثم عدل خلال الحرب العالمية الثانية بالاسم نفسه، وصمم للاختبارات الجماعية الشفهية، ويقيس القدرات العقلية اللازمة لمهمات عسكرية بعينها، بغرض توجيه المجندين إلى ما يمكن أن يفلحوا فيه من المهمات. وتلغي الاختبارات الجماعية بشكل عام صورة إختبار الواحد لواحد، أو المفحوص الذي لا بد له من فاحص يشرف عليه ويدير الاختبار. ولا تتطلب إختبارات الذكاء الجماعية مهارة خاصة من الفاحص في إدارة الاختبار أو تصحيحه، بالنظر إلى أنّ هذه الاختبارات تعتمد على أسلوب البدائل المتعددة للإجابة على أسئلة موضوعية، غالباً ما تكون فيها إجابة واحدة هي الصحيحة. ومن مميزات الاختبارات الجماعية أنّ تقنينها يقوم على أعداد أكبر من الأعداد التي يعتمد عليها تقنين الاختبارات الفردية، إلاّ أنّ هذه الاختبارات لا تراعي من ناحية أخرى ظروف المفحوصين الصحية أو المزاجية،ولا توفر مجالاً للملاحظة الكلينيكية كما سبق أن نوهنا في إختبارات الذكاء الفردية. وإذا كانت هذه الخصائص تفرق بين اختبار الذكاء الفردي واختبار الذكاء الجماعي، فإنّ هذين النوعين من اختبارات الذكاء لا يختلفان في الخصائص العامة، ومن حيث الفكرة منها، وأسسها النظرية، باعتبار الذكاء قدرة عقلية متنوعة يمكن قياسها من خلال الأداءات العقلية.

واختبارات الذكاء الجماعية تطبق لكل المراحل العمرية. ورغم أنّ سني المهد لا تصلح معها هذه الاختبارات، بالنظر إلى أنها أحرى بأن تكون إختبارات فردية يستلزم فيها وجود فاحص

examiner يشرف على الطفل الرضيع المفحوص testee ويرعاه، ويرصد سلوكه، فإنّ بعض دور الحضانة كثيراً ما تطبق على بعض الأطفال إختبارات أدائية بسيطة جداً، وربما اختبارات ذكاء شفوية. ولعل أفضل «إختبارات الذكاء للأطفال في سني المهد .Infant I. Ts» هي «قوائم جيزيل الارتقائية Gesell Development Scales»، التي تشمل المجالات السلوكية الحركية والتوافقية واللغوية عند الطفل، وعلاقاته الشخصية الاجتماعية، وهي ليست إختباراً مقنناً بالمعنى التقليدي، ويكون تقدير المستوى الارتقائي للطفل عليها بتعبيرات الشهور، بمقارنة التقديرات عليها بتقديرات معيارية للارتقاء، في الأسابيع الرابع والرابع والعشرين والسادس والثلاثين. وهناك أيضاً «مقياس كاتل لذكاء الأطفال (Cattell Infant Scale)» من شهرين إلى ثلاثين شهراً، و«مقاييس بيلي للأطفال (Bayley Infant Scales)» من شهرين إلى سنتين ونصف. ويعيب اختبارات سني المهد أنّ الطفل يفتقد الدافع الذي يوجد عادة لدى المفحوص في أي من الاختبارات الفردية أو الجماعية، فهو لا يفهم ماذا يراد به أو يطلب منه، وبعض الأطفال قد يشق تطبيق الملاحظة عليهم في مناخ العيادة أو المختبر غير العادي، كما أنّ الأطفال في المهد لا طاقة لهم على ظروف أية اختبارات.

«واختبارات الذكاء للأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة .Preschool I. Ts» إختبارات فردية، بالنظر إلى أنّ الكثير منها شفهي، أي يستلزم فاحصاً يختبر الطفل شفهياً، ومن الممكن أن تؤدى أيضاً جماعياً عن طريق ملاحظة الأطفال خلال ألعاب معينة. والنموذج لهذا النوع من الاختبارات: «مقياس ميريل بالمر Merril-(Palmer Scale)، وأغلبه أدائي، وبعض بنوده شفهية، كأن يعطى الطفل قلماً ويسأل عن إسمه (إسم القلم) وعن استخدامه، أو تحرك أمامه سيارة أو قطار ويسأل عنها أو عنه، أو يسأل من يبكي أو من يكون هذا الطفل، إلخ. وقد يُطلب إليه أن يرمي كرة، أو يجلس القرفصاء، أو يقف على قدم واحدة، إلخ؛ «ومقياس مينيسوتا لأطفال ما قبل المدرسة (Minnesota Preschool Scale)

نموذج آخر، ومن إختباراته الشفهية أن يُسأل الطفل عن الأسماء للأجزاء من جسمه التي يشار إليها؛ ومن اختباراته الأدائية أن يطلب إليه أن يقلد رسم دائرة أو مثلث، إلخ. ومشاكل هذا النوع من الاختبارات هي مشاكل إختبارات سني المهد نفسها، من حيث صعوبة التصحيح، وتوجيه الاختبار، وإدارته، والاحتفاظ باهتمام الطفل وانتباهه لمدة طويلة. وبعض الأطفال تكون استجاباتهم سلبية معاندة، فيرفضون الاشتراك في الألعاب، أو الإجابة، نتيجة خجل شديد أو إضطرابات إنفعالية.

و«اختبارات الذكاء المدرسية Scholatic or Academic I. T.» تشمل الاختبارات للأطفال في المراحل الدراسية الابتدائية والإعدادية والثانوية. والاختبارات من هذا النوع كثيرة لما لها من جاذبية بالنسبة للأطفال، وللجو العام المدرسي الذي ييسر تطبيقها. ويوفر أغلب هذه الاختبارات أكثر من صورة لها، وتنسب الاختبارات للسنوات الدراسية التي تقيسها، فيقال مثلاً إختبار السنتين الأولى والثانية إبتدائي، ويُفهم منه أنه يغطي المرحلة العمرية التي تشمل سن السادسة وسن السابعة. ومن اختبارات المرحلة الابتدائية «إختبار بنتنر كاننجهام Pintner Cunningham (Test)» وله صورتان، لفظية verbal، تتطلب القراءة أو استخدام اللغة، وغير لفظية non-verbal، لا تتطلب القراءة وإنما تقتضي تمييز الأشياء المتشابهة أو الأحجام، إلخ. ومن الاختبارات أيضاً «اختبار شيكاغو غير اللفظي Chicago) (Non-Verbal Test»، ويصلح خصوصاً للأطفال الذين يعانون من العجز عن استخدام اللغة، ويعتمد على إدراك المتشابهات والاختلافات، والتفاصيل في الأشياء، ومطابقة الصور، إلخ. ومنها كذلك «إختبار لورج ثورندايك للذكاء» (أنظر لاحقاً)، وله صورتان لفظية وغير لفظية.

وتتضمن الاختبارات السالف ذكرها بنوداً تصلح لاختبار ذكاء المرحلتين الإعدادية والثانوية. والواقع أنّ الاختبارات تتداخل فيها المراحل العمرية، فلا وجود للفواصل الحاسمة بينها، فاختبارات مثل لورج ثورندايك،

وأوتيس، وكاليفورنيا، وسكات SCAT، كلها يمكن أن تطبق في هاتين المرحلتين. واختبارات كاليفورنيا مثل: «إختبارات كاليفورنيا للنضوج العقلي California Tests of Mental Maturity، لثورب Thorpe، وكلارك Clark، واختبارات كاليفورنيا للتحصيل C. Achievement Ts. وأما اختبارات سكات، فإنّ سكات إختصار: School and College Ability، أي إختبارات القدرات للمدارس والكليات، وهي سلسلة بطاريات إختبار للقدرات للاستخدام في المدارس والكليات لتقيس إستطاعة التلاميذ أن يدرسوا بنجاح في مستوى التعليم العالي فيما بعد. وبكل بطارية أربعة إختبارات فرعية، وهي تكملة الجمل، والمفردات، ومهارة الحساب، والاستدلال الكمي. غير أنّ هناك إختبارات يمكن أن يقتصر تطبيقها على المرحلة الثانوية، أو تغطي المرحلة العمرية من ٨ سنوات إلى ١٩ سنة. ومن ذلك «إختبار تيرمان ماكنيمار للقدرة العقلية (Terman-Mcnemar Test of Mental Ability). ويقيس الاستيعاب اللفظي على وجه الخصوص. وبالنسبة للمرحلة الجامعية وللراشدين الممتازين، فإنّ أهم إختبارات الذكاء هي «إختبار الاستعداد المدرسي Scolastic Aptitude Test (SAT)، من إعداد إدارة الالتحاق بالجامعات الأمريكية، وتعد منه صور جديدة سنوياً لتطبيقها في كل مرة؛ «واختبار التأهيل الجامعي للخدمة الانتقائية Selective Service College Qualification Test (SSCOT) ويستخدم لفرز طلبة الكليات المتميزين الذين يمكن تأجيل تجنيدهم لتكون لهم فرصة إستكمال دراساتهم الجامعية، والاختبار السيكولوجي للطلاب الجامعيين المستجدين من إعداد المجلس الأمريكي للتعليم - «إختبار ذكاء مجلس التربية الأميركي American Council on Education (ACE)، ويستخدم أصلاً لمستوى الجامعي، إلاّ أنّ له صورة للاستخدام على المستوى الثاني، وحلت محله حديثاً: «إختبارات القدرات للمدارس والكليات المتعاونة (SCAT) Cooperative School and College Ability Tests، وتذهب إلى تأكيد الاتجاه المعاصر في نظرية الاختبار: وهو قياس

القدرات المطورة developed abilities، أي أنّ درجات الاختبار تعكس طبيعة ومقدار الدراسة التي تلقاها الفرد، بدلاً من الزعم بأنها تقيس القدرة الكامنة للذكاء مستقلة عن الخبرات السابقة، وهو ما لا يمكن التخلص منه فعلاً من أي من اختبارات الذكاء، وإن لم يعترف بذلك مؤلفوها صراحة.

وفي مجال القبول للدراسات العليا يشيع إستخدام أربعة إختبارات جماعية، هي مزيج من إختبارات الذكاء واختبارات التحصيل. و«اختبارات سجل الدراسات العليا Graduate Record Examination (GRE)» من الاختبارات المعروفة. والاختبار الثاني هو «إختبار ميللر للمتشابهات Miller Analogies Test»، ويرتبط إرتباطاً مرتفعاً بالاختبار الأول، ويتميز بسقف عال، ويتكون من متشابهات معقدة تستمد مادتها من كثير من الدراسات الأكاديمية. والاختبار الثالث هو «إختبار التمكن من المفاهيم Concept Mastery Test»، وكان إعداده من خلال دراسات تيرمان الطولية الواسعة على الموهوبين، وله صورتان، إحداهما تقيس الذكاء في مرحلة النضج الباكرة - إختبار تيرمان مكنمار للقدرات العقلية Terman-McNemar Test of Mental Ability»، والأخرى إختبار متابعة لمرحة العمر اللاحقة في الأربعينات. ويكثر إستخدام الصورة الأولى حالياً بالنظر إلى أنها أسهل من الصورة الثانية. ويتكون اختبار التمكن من المفاهيم من متشابهات ومترادفات وأضداد، ويستمد مضمونه من المفاهيم الشائعة في كثير من المجالات الدراسية، بما في ذلك المفاهيم البيولوجية والرياضية والتاريخية والأدبية والموسيقية وغيرها. والاختبار الأخير هو CAVD، إختصاراً من التكميل completion، والحساب arithmetic، والمفردات vocabulary، والتوجيهات directions، باعتبار الحروف الأولى لهذه البنود بالإنجليزية من إعداد ثورندايك Thorndike وآخرين، ومضمونه لفظي غالباً، وحتى الجزء الحسابي منه فإنه يتطلب مستوى عالياً من الاستيعاب القرائي. ورغم أنه يعطي المدى العمري من سن الثالثة حتى الراشد المتفوق إلاّ

أنّ استخدامه يشيع أكثر في المستويات العليا من طلبة الجامعة والدراسات العليا، نظراً لارتفاع سقفه، ولأنه اختبار قوة بشكل كامل، ومن ثم يصلح لفرز الطلبة الذين يتضح عجزهم على إختبارات السرعة speed test (يقاس فيها الذكاء بإنجاز عدد من المهام تؤدى في وقت محدد)، بالنظر إلى التزامهم الدقة والحذر الشديدين عند الإجابة، ولأنهم يتميزون بالبطء الشديد في القراءة.

ومن جهة أخرى، وبخلاف كل الاختبارات السابقة للمجال التعليمي، كانت هناك إختبارات ذكاء جماعية موجزة، لتطبيقها في فرز واختيار الموظفين والعمال في مجال الخدمة والمجال الصناعي والحرفي. واختبارات التصفية Screening Tests كما هو إسمها - يقصد بها تصفية المتقدمين للعمل واختيار أصلحهم. والكثير من هذه الاختبارات صورة موجزة من إختبارات أكبر سابقة، أو أنها أعدت خصيصاً، ومن ثم كانت لها إجراءات مختلفة لتناسب الغرض منها. ومن الصعب تصنيف الوظائف بحسب ما تقتضيه من نسبة ذكاء، ولربما يصدق على بعض الوظائف أنها لا تستلزم قدراً كبيراً من الذكاء، أو أنها روتينية، وخاصة تلك الوظائف التي تعتمد على المهارات الميكانيكية، وعندئذ يكون من الأنسب إختيار الأفراد لها باختبارات إستعدادات وليس باختبارات ذكاء.

ومن الاختبارات الجماعية المبكرة التي استخدمت في مجال إختيار الأفراد للوظائف: «الاختبارات العقلية سريعة التصحيح لأوتيس»، و«اختبارات الموظفين (Personnel Tests)، و«اختبارات التوجيهات الشفوية (Verbal Directions Test)، وكلها إختبارات أريد بها قياس المستويات العقلية للمتقدمين لوظائف، مثل السكرتارية، وأعمال الأرشيف، والحسابات، والعمل على خطوط التجميع، والوظائف الإشرافية كوظيفة رئيس عمال، أو رئيس المكتبة، إلخ. ومعظم الاختبارات من هذا النوع تحتاج لسرعة قد يفتقدها طالب الوظيفة كبير السن، ولذا فقد قيل إنها إختبارات متحيزة ضدهم. والاختبار الشفهي

الأخير يعتمد على السماع، وذلك أمر يتعذر أكثر مع كبار السن. واختبارات الذكاء الجمعية عموماً كثيراً ما يوجه لها النقد أنها «متحيزة ضد كبار السن (Discrimination against the aged)، وخاصة أنها قد تقتضي الإجابة عليها بمعلومات تعتمد على الدراسات السابقة من المراحل الدراسية التي تركوها من زمن بعيد، ولا يوجد بعد الاختبار الذي يتخلص تماماً من أثر الدراسة أو الثقافة كما سبق أن أسلفنا.

والنوع الثالث الذي تصنف إليه إختبارات الذكاء هو اختبارات الأداء Performance Tests، وهي اختبارات فيها يقل دور اللغة إلى أقل ما يمكن، وتتطلب إستجابات حركية أكثر منها لفظية، وليس منها إختبارات العد في الحساب، ولا «إختبارات الإشارة للصور (picture- pointing test)، و«الاختبارات غير اللغوية Non-lingual (Tests)، وتظهر الحاجة لها مع صغار الأطفال سواء كانوا فرادى أو مجتمعين، ومع الأميين والمتخلفين عقلياً، والأجانب من ثقافة مختلفة، الذين لا يحسنون اللغة المدون بها الاختبار، والمعوقين من أمثال الصم والمكفوفين، والذين يعانون صعوبات في الكلام نتيجة عيوب خلقية، أو لأنهم يستشعرون الخجل الشديد في موقف الاختبار، أو ربما لأنهم يعانون من إضطرابات إنفعالية تحول بينهم والتواصل مع الآخرين لغوياً، أو بسبب صعوبات في القراءة. ومن هذه الاختبارات: «إختبار مكعبات نوكس (Knox Cube Test)؛ و«اختبار تصميم مكعبات كوهكس (Kohs Block-design Test)، ويطلب فيه من المفحوص أن يحاكي تصميماً باستخدام المكعبات الملونة.

والمقابلة التي تكشف عنها إختبارات الذكاء بين الذكاء اللفظي verbal i. كما تقيسه إختبارات الذكاء اللفظية أو اللغوية، التي تعتمد على قراءة مواد الاختبار المكتوبة والإجابة عليها لغوياً أو لفظياً، والذكاء الأدائي performance i.، أو غير اللفظي non-verbal i. الذي تكشف عنه اختبارات الذكاء الأدائية أو غير اللفظية، توازيها مقابلة أخرى بين الذكاء التحليلي أو الخام الذي لم يصقله المران ولا التعليم،

وبين الذكاء المتعلم أو المبلور crystallized intelligence الذي يصنعه التعليم وتصقله الخبرة. والذكاء الخام fluid i. هو إمكانية عقلية لتعلم المفاهيم الجديدة وحل المشكلات. والاختبارات التي تقيس الذكاء الخام هي تلك التي ينخفض فيها إلى أقصى حد المضمون الحضاري والمدرسي، وتوصف لذلك بأنها «إختبارات خالية من أية تأثيرات حضارية (cross-cultural tests)، أو «إختبارات متحررة من أثر الحضارة (culture-free tests)، فمثلاً يتضمن «إختبار بيتا (Beta test)B بنوداً مصورة لسكين وكمان ومطواة وطابع بريد، وهي أدوات حضارية، فمع أنّ الاختبار غير لفظي إلاّ أنه حضاري أو مشبع بالعامل الحضاري. وكذلك يتضمن «إختبار شيكاغو غير اللفظي (Chicago Non-Verbal Test) صوراً لأدوات مثل التليفون والراديو وعازف البيان وأعمدة البرق ولعبة كرة السلة. ولكي يكون الاختبار متحرراً من أمثال هذه الأشياء الحضارية يستلزم أن تكون الصور أو الأدوات التي يستخدمها مشاعة بين كل الحضارات، ويبدو أنّ ذلك مطلب عسير، طالما أنّ أي اختبار لا بد أن يكون موضوعه سلوكياً، ومن ثم لا بد أن يعكس المؤثرات على هذا السلوك، وهي مؤثرات من البيئة، أي حضارية. ويتضمن «إختبار الذكاء المتحرر من أثر الحضارة IPAT لكاتل أربعة إختبارات فرعية تستخدم كبطارية منفصلة، وتوصف بأنها غير متحيزة حضارياً، وتشتمل على صور لأشكال هندسية بدلاً من الأدوات. ولعل «إختبار المصفوفات المتدرجة» Progressive Matrices Test من أفضل الاختبارات غير اللفظية وغير المتحيزة حضارياً، بمعنى أن بنود الاختبار لا تتعلق بخصائص حضارية معينة، بما يسمح أن تطبق بصورتها نفسها دون تعديل في أي مجتمع.

و«اختبار الذكاء الأدائي» performance intelligence test هو الاختبار الذي يقوم على بعض الأداءات الحركية التي تكشف عن القدرة العقلية، بالإضافة إلى أنها اختبارات للمهارات اليدوية أو سرعة الاستجابة الحركية، مثل «إختبار كوهس لرسومات المكعبات

(Kohs Block-design Test). والفرق بين «اختبارات الذكاء الأدائية»، واختبارات الذكاء العملية practical i. Ts.، أنّ الأخيرة يستلزم لها الذكاء العملي practical i.، عكس الذكاء المجرد abstract i.، وهي - أي الاختبارات الأدائية للذكاء - تعرض لمشكلات تختبر المبادأة وسرعة الاستجابة، ولا تتطلب مهارة حركية، مثل «إختبارات متاهات بورتيوس (Porteus Maze Test) التي يقول عنها بورتيوس إنها قد صُممت في الأساس كمقياس للقدرة التخطيطية وبعد النظر، وأنها تتفوق في قياس جوانب الذكاء الأكثر أهمية في الاكتفاء الاجتماعي العملي practical social sufficiency. وأما «الاختبارات غير اللغوية (non-lingual tests) فهي التي لا تلجأ للغة إطلاقاً، سواء في تعليماتها أو مضمون الاختبار، على عكس «الاختبارات غير اللفظية (non-verbal tests)، فإنها قد تشتمل على تعليمات مكتوبة، أو أنّ المشرف على الاختبار يقوم بشرح التعليمات شفوياً. وقد يُستعان في الاختبارات غير اللغوية بالبانتوميم أو الحركات الإيمائية، أو يرسم النموذج للاختبار على سبورة. و«اختبار بيتا للجيش (Army Beta Test) هو أول إختبار لغوي، وبنوده عبارة عن متاهات وتكملة صور وسخافات مصورة. ومن نماذج الاختبارات غير اللغوية «إختبار بنتنر Pintner Test غير اللغوي»، وهو اختبار أدائي خالص لا يستعان فيه باللغة، وصُمِّم أصلاً للصم، ولذلك كانت لغة شرح التعليمات هي اللغة الإشارية أو البانتوميم pantomime. وقد تصلح الاختبارات الشفوية مع المكفوفين، وهي فئة أخرى من المعوقين لا تصلح لأفرادها الاختبارات المكتوبة، إلاّ أنّ فقدان المكفوف لبصره، ومن ثم للخبرة المرئية ببعض جوانب البيئة، يمثل عجزاً في تعامله مع بعض المواد اللفظية التي تصف أو تقارن أو تحدد مظاهر البيئة، ولذلك تصمم بنود إختبارات المكفوفين غير أدائية وشفوية، إلاّ أنّ اللغة فيها تستخدم بحذر شديد، وقد يستعاض عن الاختبار الشفوي باختبار مكتوب بطريقة «برايل»، وقد لا تكون هذه الطريقة معروفة لكل المكفوفين، أو قد لا يمهرون عليها جميعاً، ومن ثم فاللجوء إليها ليس

كثيراً. ومن هذه الاختبارات ما هو مصمم على مقياس ستانفورد بينيه لسنة ١٩١٦. وكذلك أعدت مقاييس ويكسلر لتناسب المكفوفين، ولتكون إختبارات غير أدائية وتعتمد على اللغة.

ومن فئات المعوقين الذين تطبق عليهم الاختبارات الأدائية وليس الاختبارات اللفظية، هذه الفئة من الشائهين الذين لا يسمعون ولا يبصرون، وقد يكون بهم عجز حركي أيضاً. ومن الصعب مع هؤلاء إجراء أية اختبارات ذكاء من أي نوع. ومنهم كذلك فئة المرضى بتلف أو إصابة معينة في المخ. ويقع على الأخصائي النفسي عبء قياس الاحتياجات الارتقائية للطفل المعوق، وقدرته على التعلم، واكتشاف معوقات هذه القدرة. ويبدو ضرورياً إختبار هذه الفئة من فترة مبكرة من حياتهم، للتمكين من عدد من العمليات التعليمية أن تأخذ مكانها عندهم. ويعتبر إختبار القدرات اللغوية هاماً، ويتضمن إمكانية إستقبال الاتصال من العالم الخارجي. وتعتبر الاختبارات الأدائية وغير اللفظية مناسبة لمرضى الشلل المخي، وقد يكتفى فيها بأن يومئ المفحوص برأسه موافقاً أو رافضاً. ويُعد «اختبار المصفوفات المتدرجة» (أنظر إختبار المصفوفات لاحقاً) من أفضل الاختبارات لهم.



مراجع:

Anastasi, A.: Psychological Testing. –

Littell, W. M.: The Wechsler-Intelligence Scale for Children.

Terman, L. and Merrill, M. H.: A-Standford-Binet Scale.



– ٢٤ –

إختبارات القدرات الإبداعية

Creativity Tests

هي اختبارات الغرض منها الكشف عن المواهب الإبداعية. وتشتهر في هذا الصدد إختبارات جامعة جنوبي كاليفورنيا للإنتاج المشتت لجيلفورد Guilford's Southern California Tests of

Divergent Production، التي أثمرتها دراساته وبحوثه العاملية على الإبداع وقدراته، وأجراها على الطلبة والعسكريين، وقال بصددها بنظرية في بناء العقل تقوم على تحليل الأبعاد الأساسية لأية قدرة عقلية، مؤكداً أنّ الذكاء بخلاف الإبداع، وأنّ التفكير في الذكاء هو تفكير مجمع convergent thinking، يركز على مسألة واحدة ويجمع بين أطرافها في كل واحد، بينما هو في الإبداع تفكير مشتت divergent thinking، يفرع الموضوع الواحد ويحلله، ويجد له العديد من الحلول، وأنّ هناك عوامل أو قدرات ثلاث ترتبط بشدة بالإبداع أو التفكير المشتت، ويعتبر هذا التفكير الأساس فيها، وهي الطلاقة، والمرونة، والأصالة.

والطلاقة التي يقصد إليها جيلفورد هي الطلاقة اللفظية word fluency، وتقاس بأن يطلب من المفحوص خلال زمن محدد أن يكتب أكثر ما يمكنه من كلمات تتضمن حرفاً معيناً، أو لها بادئة أو قافية واحدة. والطلاقة إما طلاقة فكرية، أو ترابطية، أو تعبيرية، وفي الطلاقة الفكرية ideational fluency، أو الانطلاق الذهني، يطلب من المفحوص أن يذكر أكبر عدد من الكلمات المتماثلة في المعنى لكلمة معينة مثل «جامد (hard)، أو «رائع (excellent). والكلمات لهذا الاختيار تختار لأنّ كلاً منها له معان أو إستخدامات مختلفة. وفي اختبار آخر قد يطلب من المفحوص إيجاد صفة تكمل التشبيه مثل «إنه .. كالسمكة». وفي اختبار الطلاقة التعبيرية expressional fluency قد تعطى للمفحوص أربعة حروف مثل ه خ ك ج ليصنع عدداً من الجمل المفيدة، بحيث تبدأ كل كلمة فيها بحرف من الحروف السابقة، كأن تكون مثلاً «هرم خوفو كبير جداً»، إلخ.

والمرونة flexibility هي العامل أو القدرة الثانية من القدرات الإبداعية الأساسية عند جيلفورد، وهي قدرة على تغيير زاوية الرؤية باستمرار للأمور والمواقف واكتشاف أوجه الأشكال في أي منها. ويميز جيلفورد بين المرونة التكيفية والمرونة التلقائية، ويقيس الحساسية للمشكلات sensitivity to problems باختبارات حول نظم معينة

كنظام البريد، أو نظام الزواج، ويطلب من المفحوص أن يرى ما فيها من مشاكل problem seeing، وأن يقدم مقترحاته لتحسين هذه النظم أو المؤسسات. وقد يعطى المفحوص الأسماء لأشياء، ليرى فيها المشاكل المتعلقة بها من حيث استخدامها أو شكلها أو كفاءتها، وقد يسأل فيما يمكن أن تستخدم فيه بشكل غير عادي لم يؤلف عنها. ومن اختبارات المرونة ما يسميه جيلفورد: إختبارات الصور المخبوءة hidden pictures، والأشكال المطمورة hidden figures، ومسائل أعواد الثقاب match problems، والمشكلة في النوع الأول هو أن يعثر المفحوص على الوجوه المخبوءة التي تصنع خطوطها أجزاء من أشكال أكبر في الصورة، وفي النوع الثاني على المفحوص أن يتعرف على شكل هندسي بسيط مطمور في شكل هندسي أكثر تعقيداً. وتتطلب مسائل أعواد الثقاب من المفحوص أن يزيل بعض الأعواد من الأشكال الداخلة فيها بحيث تكون الأشكال المتبقية عدداً من المربعات والمثلثات.

والأصالة originality قدرة على إنتاج أفكار جديدة أو إستجابات غير مألوفة، ويمكن قياسها باختبار من نوع إختبارات التداعي اللفظي، بأن يُطلب من المفحوص الرد على الكلمة المنبه بأول كلمة تخطر على باله، وتقدر الدرجة بنسبة الجدة في الكلمة الاستجابة. ولقد ثبت أنّ جمهور العلماء والمهندسين والفنانين والموسيقيين والكتاب يستجيبون بكلمات غير شائعة، أو غير مألوفة للعامة من الناس، على عكس جمهرة البائعين والمدرسين والكتبة والسياسيين، فإنّ مصطلحاتهم تكون من النوع العادي الذائع. وهناك اختبار آخر يُقال له إختبار العواقب consequences test، بأن يطلب من المفحوص أن يذكر أكبر عدد من العواقب التي يمكن أن تترتب على وقوع حدث من الأحداث، كأن يكون هذا الحدث أن لا يصبح الناس في حاجة إلى النوم، أو أن لا يريدونه، أو أن تتعطل كل التليفونات مرة واحدة.

وهناك أنواع أخرى من الاختبارات صيغت بغرض قياس الإبداعية، كأن

يعطى المفحوص قصة من سطور معدودة وليس لها نهاية، ويطلب منه وضع نهاية حزينة أو أخلاقية أو لطيفة لها، كأن تكون القصة مثلاً لكلب مؤذي دأب على أن يعقر الناس فجأة وبدون مقدمات (Getzels and Jackson)، أو أن تقدم إلى المفحوص أنماط مجردة لأشكال هندسية، ويطلب إليه أن يذكر الأشياء المحتملة التي يمكن أن تدخل في تركيبها (Wallach and Kogan)، أو ذكر كلمة رابعة تترابط مع ثلاث كلمات أخرى (التداعيات البعيدة عند Mednick) وتضم «اختبارات تورانس للتفكير الإبداعي Torrance (Tests of Creative Thinking) عدداً من الاختبارات اللفظية والمصورة. وتشتمل بطارية الاختبارات المعنونة «التفكير بابتكارية بالكلمات (Thinking Creatively with Words) على بعض المطالب من أمثال تقديم صورة ملغزة، ويكتب المفحوص الأسئلة التي قد يسألها عما غمض عليه منها، ويكتب أيضاً قائمة بالأسباب التي أدت إلى الحدث الذي تصوره، والعواقب في رأيه التي يمكن أن تترتب عليه. وقد يطلب منه أن يقترح ما يراه لتحسين كفاءة وشكل لعبة من الألعاب، وأن يعدد الاستخدامات غير العادية لشيء مألوف، وأن يسأل أسئلة غير عادية عنه. وثمة بطارية أخرى هي «التفكير بابتكارية بالصور (Thinking Creatively with Pictures)، ويطلب فيها من المفحوص أن يرسم صورة مثيرة للاهتمام تشتمل على شكل ملون بألوان زاعقة، وأن يكمل بعض الخطوط ليصنع صورة غير عادية، وأن يكون أكبر عدد من الرسوم من بضعة أزواج من الخطوط المتوازية أو الدوائر.

وكان إعداد إختبارات تورانس كجزء من برنامج دراسي تركز على تجارب على القدرات الإبداعية التي يمكن أن تمارس داخل الفصول. وصُممت إختبارات أخرى لاستخدامها مع المهندسين، مثل «إختبار AC للقدرة الإبداعية (AC Test of Creative Ability)، «واختبار القدرات الإبداعية الداخلة في تصميم الآلات لأوينز (Owenes Creativity Test for Machine Design)، «واختبار القدرات الإبداعية البورديو (Pordue Creativity Test).

ومما لا شك فيه أنه ستكون هناك الكثير من هذه الاختبارات مستقبلاً وقد تكتشف عوامل أخرى بخلاف الطلاقة والمرونة والأصالة أو الجدة ineguity. ولقد أشار جيلفورد وآخرون إلى أنّ أهمية إختبارات الاستدلال والتقويم في مجال قياس الإنجاز العلمي المبدع كمقابل للتفكير الحر المشتت، أي الذي يتشتت فيه التفكير ويتوزع. ومن هذه الاختبارات: «إختبار إتجاه السفينة Ship test Destination، واختبار الاستدلال المنطقي Logical Reasoning Test، «واختبار الأسئلة وثيقة الصلة بالموضوع Pertinent Questions Test، «وتقويم التفكير المبدع لواتسون وجلازر Watson-Glaser (Critical Thinking Appraisal) وعلاوة على ذلك فالمعول عليه الآن أنه قد تلزم للفنون قدرات أو عوامل خاصة بصرية وسمعية وحركية.

وأدى تطبيق إختبارات القدرات الإبداعية وحل المشاكل إلى اكتشافات مثيرة، وتبين من عدد من الدراسات المهمة أنّ القدرة على حل المشاكل كثيراً ما ترتبط بسمة التمرد والخروج على العرف (ناكامورا ١٩٥٨)، وأنّ طلبة الجامعة الذين يحصلون على درجات عالية في اختبارات القدرات الإبداعية يميلون إلى المهن التقليدية، ويعجبون بسمات الشخصية التي تختلف عما يظنون أنّ مدرسيهم يفضلونها (جيترلز وجاكسون ١٩٦٢)، وأنّ الطلبة الذين يحصلون على أعلى الدرجات في اختبارات القدرات الإبداعية يحصلون على درجات أقل في اختبارات الذكاء، وكثيراً ما يفشلون في حل المشاكل التي تتطلب نوع التفكير الجامد المنهجي المجمع convergent. ودلت دراسات أخرى على أنّ الأطفال الأكثر إبداعاً يميلون إلى أن يكونوا أقل قلقاً، وأسهل من حيث التعامل، واجتماعيين أكثر، ويعتمدون على أنفسهم أكثر من غيرهم، وأكثر إدراكاً للدوافع اللاشعورية، وهم في الغالب ينحدرون من عائلات تغامر بالمخاطرة، وتجيز الاهتمامات والأفكار المشتتة. ولعل من مزايا الدراسات الحالية في القدرات الإبداعية أنّ الاهتمام قد امتد إلى مجال القدرات الإبداعية العلمية، ولم يعد قاصراً على

البحوث والاختبارات في القدرات الإبداعية الفنية.



مراجع:

Goldman, R. J.: The Minnesota Tests - of Creative Thinking.

Guilford, J. P.: The Nature of Human - Intelligence.



- ٢٥ -

إختبارات القدرات العقلية الأولية

Primary Mental Ability Tests (PMA)

❖ ❖ ❖

هي ثلاث بطاريات من الاختبارات لقياس الذكاء لمراحل عمرية ثلاث من ٥ إلى ٧، ومن ٧ إلى ١١، ومن ١١ إلى ١٧ سنة. والاختبارات قام بتصميمها ثرستون Louis Thurstone ونشرت لأول مرة سنة ١٩٤٨، ثم اختزل المجلس الأمريكي للتعليم عدد الاختبارات ونشرها معدلة سنة ١٩٤٩ باسم: «إختبارات شيكاغو للقدرات العقلية (The Chicago PMA Tests)، حيث PMA إختصار primary mental abilities، ورُئي من بعد إختصارها أكثر من ذلك، ونشرت الجمعية الأمريكية للبحث العلمي SRA التعديل باسم SRA-PMA Tests. وكان ثرستون قد وضع هذه الاختبارات على أساس نظريته متعددة القدرات للذكاء، قال إنها خمس قدرات، وهي: القدرة اللغوية verbal ability، ورمزها V؛ وقدرة الإدراك المكاني spatial ability ورمزها S؛ والقدرة على الاستدلال reasoning ability، ورمزها R؛ والقدرة على الطلاقة اللغوية word fluency ability، ورمزها WF؛ والقدرة العددية number ability، ورمزها N. وطبقاً لنظريته فإنّ البطاريات الثلاث تستخلص من إختباراتها درجات مستقلة تمثل في كل مرة خمس قدرات أولية، ويحسب لكل قدرة عمر عقلي خاص، كما تحسب نسبة ذكاء على الدرجة الخاصة بكل اختبار. ويعيب البطاريات أنّ

الارتباطات بين الاختبارات الفرعية منخفضة إلى حد ما، وتتراوح بين ٥٠ و٦٥ ويؤدي الفرق في الدرجات إلى الشك في إمكان الاستفادة بها.

وقد أعد الدكتور أحمد زكي صالح «إختبارات القدرات العقلية الأولية عن ثرستون» لتلائم البيئة المصرية، وتقيس الصورة أربع قدرات لها أهميتها في النجاح الدراسي، وهي القدرة اللغوية، وتقاس باختبار معاني الكلمات، والقدرة على الإدراك المكاني، وهي قدرة هامة في الدراسات والمهن الهندسية، والقدرة على الاستدلال، وتقاس بسلاسل الحروف، حيث يطلب من المفحوص إكمال السلسلة بحرف واحد، والقدرة العددية وتقاس بمسائل جمع. وزُوِّد الاختبار ببيان تخطيط نفسي للقدرات يمكن باستخدامه إستخراج المقابلات المئينية لكل قدرة، كما يمكن استخراج درجة الذكاء من الدرجة الكلية. وتطبق الاختبارات لقياس القدرات للمراحل العمرية من ١٣ إلى ١٧ سنة.



مراجع:

Vernon, P. E.: The Measurement of Abilities.

Spearman, C.: The Abilities of Man.

Thurstone, L. L. and Thurstone, T. G.: Factorial Studies of Intelligence.



- ٢٦ -

إختبارات القدرات الموسيقية

Musical Aptitude Tests



من أبرز وأولى هذه الاختبارات «مقاييس سيشور للموهبة الموسيقية (Seashore Measures of Musical Talent)، وقد أعدها المؤلف كارل سيشور لقياس الاستعداد الموسيقي عند الطلبة بين السنة الرابعة الابتدائية ومستوى الراشدين بالجامعة. وتقوم الاختبارات على عرض أزواج من الأنغام أو المتتابعات اللحنية على إسطوانات أو شرائط في ست مجاميع مختلفة، وعلى المفحوص أن يبدي رأيه فيها من نواحي

تمييز الأصوات، وشدتها، وإيقاعها، وأطوالها، ونوعية الصوت، والتذكر للألحان. وفي اختبار تمييز الأصوات pitch test مثلاً يستمع المفحوص لصوتين على التوالي، ويُطلب منه بيان ما إذا كان أحدهما أحدّ من الآخر أو أغلظ. وفي اختبار الإيقاع rhythm test يقارن المفحوص بين جملتين إيقاعيتين، ويقرر ما إذا كانتا متشابهتين أو مختلفتين. وهناك بنود أخرى متزايدة الصعوبة تشتمل عليها كل مجموعة. وترصد الدرجات على كل اختبار على حدة على بروفيل، ولا تجمع في درجة كلية. وتقتصر هذه الاختبارات على قياس القدرات الموسيقية الأساسية التي يخلص إليها سيشور، ويذهب إلى أنها تميز الأشخاص الموهوبين عن غيرهم من غير الموهوبين، وتصلح من ثم لتوجيه الأفراد لدراسة الموسيقى، أو توصي بصرفهم عنها، غير أنّ النتائج على هذه الاختبارات لم تتوافق مع نتائج الاختبارات التحصيلية الموسيقية للطلبة بالمعاهد الموسيقية، الأمر الذي يجزم بأنّ هذه الاختبارات ليست لها قدرة تنبؤية. ومن ناحية أخرى فقد صدقت الاختبارات من حيث تمييزها للأشخاص الذين يصلحون لمن يحتاج الأداء فيها للقدرات التي تقيسها كموظفي البرق مثلاً ويعرف عنهم أنهم يدقون بآلاتهم كالتوقيع.

وتشبه «إختبارات كوالواسر وديكيما الموسيقية Kwalwasser-Dykema Music Tests، إختبارات سيشور من حيث القدرات الست التي تقيسها، إلاّ أنها تتميز عنها بأنّ اختباراتها موجزة، وإن كانت من الناحية العددية تزيد عنها، حيث أنها تشتمل على عشرة اختبارات. وأيضاً فإنها تخصص بعضاً من إختباراتها لقياس التذوق الموسيقي، وقراءة المدونة الموسيقية. ويتوجه إعداد هذه الاختبارات لطلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية، ويكثر إستخدامها في المدارس بسبب سهولة تطبيقها. واستغراقها لوقت لا يزيد عن الساعة، وكثرة المعلومات المتحصلة منها عن المفحوصين. غير أنها من ناحية أخرى يعوزها الثبات، والكثير من بنودها من السهولة بحيث لا تصلح كبنود تمييزية.

وتبرز «إختبارات وينج المقننة للذكاء الموسيقي Wing Standardized Tests of Musical Intelligence باعتبارها الاختبارات الوحيدة التي تقيس القدرة الموسيقية كقدرة عامة، أو كذكاء موسيقي Musical Intelligence كلي غير متشعب إلى قدرات متفرقة ومستقلة عن بعضها، وهي بذلك تتلافى عيوب إختبارات سيشور. بالإضافة إلى أنّ الاختبارات تتضمن معزوفات موسيقية على البيانو وليست جملاً موسيقية أو ألحاناً مفردة، والبنود عليها أكثر تعقيداً مما هي عند سيشور، وبعضها يطالب المفحوص بإصدار أحكام وتقديرات جمالية على ما يسمع أكثر منها كمقياس خالص للقدرات، ولذلك فإنها كاختبارات لا تصلح للأطفال الصغار وتوجه أساساً للأطفال كبار السن والراشدين، وتهدف إلى فرز المواهب الموسيقية لتوجيه أصحابها الوجهة الدراسية السليمة، التي بها يزيد إقبالهم على الدراسة الموسيقية والإفادة منها في صقل مواهبهم. وعدد هذه الاختبارات سبعة، أُعدت بناء على ما أوصى مدرسو الموسيقى أنفسهم بأن يكون الاختبار فيه، وهي فروع الإيقاع والأصوات في تمايزها، والهارموني، والشدة، وتحليل الكوردات، وأساليب التعبير الموسيقي.

ويقيس «إختبار دريك الموسيقي (Drake Musical Test) وظيفتين موسيقيتين أساسيتين، فمن ناحية يطلب من المفحوص أن يستمع إلى لحن من مقطعين يعزف له بأكثر من طريقة، وعليه أن يقارن بين الصور اللحنية المختلفة من الذاكرة، وأن يبين الاختلاف بينها في المفتاح والزمن والأنغام. والاختبار الثاني هو اختبار في الإيقاع، الغرض منه قياس قدرة المفحوص على ملاحقة تغاير الإيقاعات من بندول الإيقاعات. وأثبتت هذه الاختبارات صلاحياتها للتنبؤ بالنجاح أو الفشل في دراسة الموسيقى.

وتهدف «إختبارات القدرات الموسيقية للأطفال لبنتلي (Bentley's Children Aptitude Test) إلى قياس أربع قدرات موسيقية عند الأطفال هي: تمييز الأصوات، وتذكر النغمات، وتحليل التآلفات، وتذكر الإيقاعات. ومع أنّ إعداد هذه الاختبارات يتوجه أساساً للأطفال من سن ٧ إلى ١٢، إلاّ أنها قد أثبتت صلاحيتها

كذلك للتطبيق على المستويات العمرية الأعلى، مع ملاحظة معايير هذه الأعمار عند تفسير الدرجات.

وتختلف «إختبارات التحصيل الموسيقي لأليفيريس Aliferis Music Achievement Tests عن سابقاتها، باعتبارها إختبارات قد صُمِّمت لقياس الاستعداد الموسيقي عند الطلبة الذين يرغبون في الالتحاق بالمعاهد الموسيقية، ولذلك فمستواها أعلى، والوظائف التي تقيسها هي الوظائف السابقة نفسها، وهي التمييز السمعي البصري للعناصر الميلودية والهارمونية والإيقاعية.



مراجع:

Fransworht, P. R.: Musical Taste. -

Seashore, C. E.: Psychology of Music. -

Stumph, C.: Tonpsychologie, 2 Vols. -

Wing, H. D.: A revision of the Wing Musical Aptitude Test. J. res. Music Educ. 1961, 19, 3947. -



- ٢٧ -

إختبارات لورج ثورندايك للذكاء
Lorge-Thorndike Intelligence Tests



إختبارات ذكاء جماعية للأطفال تغطي مرحلة عمرية واسعة، إبتداء من الحضانة، من سن ثلاث سنوات، حتى سن الثالثة عشرة، بالإضافة إلى اشتمالها على صورتين لفظية verbal وغير لفظية non-verbal، والصورة اللفظية تتضمن خمسة إختبارات فرعية لتكميل الجمل، والتصنيف اللفظي، والاستدلال الرياضي، والمفردات. وتتضمن الصورة غير اللفظية ثلاثة إختبارات، هي التعرف على صور الأشياء بتسميتها، والتصنيف باستبعاد الأشياء غير المندرجة ضمن فئات، والترابط بتحديد الشيئين ضمن مجموعة، بينهما علاقة معينة.

والاختبارات اللفظية وغير اللفظية مؤقتة، ولها محكات صدق في عدد من

الدراسات، ومعايير ونسب ذكاء انحرافية تحددت من خلال عينة تقنين واسعة.



- ٢٨ -
الاختبارات النفسية
Psychological Tests



الاختبار النفسي إجراء منظم لملاحظة الأداء العقلي أو السلوكي ووصفه بمقياس رقمي أو نظام تصنيفي. ومعنى أنه إجراء منظم أنه مقنن، أي أنّ إجراءاته وصياغة بنوده وطريقة تقديمه موحدة في كل المواقف. ويتم التقنين على عينات ممثلة للمجتمع، بهدف الحصول على معايير تحدد معنى الدرجة على الاختبار.

وتصنف الاختبارات بأكثر من أسلوب، فمن جهة هناك «الاختبارات الفردية (individual tests) في مقابل «الاختبارات الجماعية (group tests)، والأولى تقدم للأفراد، بينما الثانية تقدم للجماعات مثل تلاميذ المدارس أو الجنود في الجيش. وتمكن الاختبارات الفردية الفاحص من مراقبة أداء المفحوص على الاختبار ورصد حركاته وعاداته واتجاهاته وانفعالاته. وتتناسب هذه الاختبارات مع استخدام أجهزة الكمبيوتر مثلاً أو غير ذلك من الأدوات اللازمة في القياس السايكومتري لتحقيق الدقة في القياس، والحصول بأقل جهد على بيانات تتبعية عن المفحوص، أو بيانات تشخيصية لأدائه. وتقيس الاختبارات المهارات المختلفة، وأنواع الأداء السلوكي، والأنشطة العقلية المتنوعة، وغير ذلك مما يصلح أيضاً للاختبارات الفردية، إلاّ أنّ الأسلوب الفردي في الاختبار يستهلك الوقت والجهد والنفقات، فضلاً عن أنّ حصيلته محدودة في عدد الأفراد. وقد استلزمت الظروف العصرية الاتجاه للاختبار جماعياً بالنظر إلى ضخامة الأعداد المراد إختبارها نفسياً، وكان لا بد من تطوير الاختبارات الجماعية لتناسب هذا الكم الهائل. والنموذج المبكر للاختبارات الجماعية هو «اختبار ألفا اللفظي للجيش الأميركي (Army Alpha)

(Army Test)، و«اختبار بيتا غير اللفظي (Beta Test). ويقل دور الفاحص في الاختبارات الجماعية عنه في الاختبارات الفردية إعتماداً على قدرة المفحوصين على فهم تعليمات الاختبار، وبالنظر إلى موضوعية الاختبارات لقيامها على طريقة البدائل المتعددة للإجابة، ولوجود مفاتيح للتصحيح يسهل على غير المتخصص إستخدامها تحت إشراف المتخصص. وبالرغم من هذه المزايا التي توفرها الاختبارات الجماعية فإنها لا توفر مراعاة ظروف المفحوص من ناحية المرض والتعب والتوتر، إلخ، كما أنها تفترض فهم المفحوصين للتعليمات، وهو ما لا يتحقق أحياناً ومن ثم قد تفقد هذه الاختبارات مصداقيتها.

وهناك أيضاً «الاختبارات اللفظية (verbal tests) في مقابل «الاختبارات غير اللفظية أو غير اللغوية non-lingual or non-verbal tests والأصل في الاختبارات أنها لفظية وتستعين باللغة في صياغة بنودها وتوضيح تعليماتها، ومن ذلك «إختبار المعلومات information test، و«اختبار الفهم (comprehension test)، و«اختبار اللغة (language test)، و«اختبار المفردات (vocabulary test)، و«اختبار الحساب (arithmetic test)، و«اختبار المتشابهات (analogies test)، على عكس الاختبارات غير اللفظية التي يكتفى فيها بالصورة، أو الأشكال الهندسية، أو النقط، أو المكعبات، وكانت الحاجة إليها للصغار خصوصاً، وللأميين من الراشدين، وللوافدين الذين لا يعرفون لغة البلاد، ولبعض المرضى بالاضطرابات العقلية، وللمعوقين من الصم والبكم، وكل هؤلاء كان لا بد من إيجاد إختبارات تقيس ذكاءهم أو قدراتهم، ويستغنى فيها عن اللغة، ويكتفى فيها ببيان طريقة الاختبار عملياً، أو قد يستعان فيها باللغة الإشارية بالنسبة للصم والبكم، ومن ذلك «إختبار السخافات (Absurdities Test)، و«متاهة هيلي (Healy puzzle)، و«اختبار المانيكان (Manikin Test)، و«اختبار الباخرة (Ship Test). والاختبارات اللفظية قد تكون شفهية oral tests، وقد تكون تحريرية written tests. وقد توصف الاختبارات غير اللفظية بأنها عملية

practical tests، أو أدائيـة performance tests، إلاّ أنّ هذه الاختبارات الأخيرة ليس الغرض منها إختبار القدرة العملية أو الأدائية، ولذلك كانت الأدوات والأجهزة هي وسيلتها في الاختبار، كما في اختبار التصويب aiming test لقياس التناسق الحركي بين العين واليد. غير أنّ وصف هذه الاختبارات بأنها أدائية ربما كان وصفاً غير دقيق، لأنّ كل الاختبارات مهما كانت لا بد فيها من نوع من الأداء بأي شكل من الأشكال. ومن الاختبارات الأدائية «إختبار تصميم المكعبات Block-Design Test و«اختبار تجميع الأشياء Object-assembly. و«إختبارات أقصى الأداء maximum performance tests، هي اختبارات في القدرات، ويطالب فيها المفحوص ببذل أقصى الجهد وهو يقوم بأعمال مقننة تعكس قدراته، كما تعكس إستعداداته، بأن تختبر هذه الاستعدادات من حيث إمكانية إكتسابه لقدرات جديدة والقيام بأعمال لم يسبق له أن مارسها أو تدرب عليها. و«اختبارات السرعة speed tests»، وكذلك «إختبارات الدقة accuracy tests من هذا النوع. وعكس ذلك «اختبارات الأداء النمطي typical performance tests»، أو الأداء العادي التلقائي الذي يصدر عن الفرد تلقائياً في المواقف المختلفة العادية، أو المواقف المقننة، ويكون فيها رصد سلوكه من قبل ملاحظ يسجل عليه ما يظهر في السلوك من إهتمامات، وعادات سلوكية، واتجاهات وسمات مزاجية سلوكية. ومثل هذه الطريقة نستخدمها في «اختبارات الشخصية personality tests، بقصد تقييم الشخصية وتصنيفها من خلال مواقفها السلوكية، وعادة ما يطلق على اختبارات الشخصية إسم إستخبارات questionnaires، ويقتصر إستخدام الاختبارات tests على «اختبارات القدرات aptitude tests» والاستخبار أو الاستبيان عبارة عن سلسلة من الأسئلة موضوعاتها سيكولوجية أو إجتماعية أو تربوية، إلخ، تستخدم لأغراض تشخيصية أو تحديد سمات الشخصية وميولها وآراءها، وهناك نوعان من الاستخبارات: إستخبارات الميول والرأي opinion qs.، واستخبارات القدرات أو الشخصية personality qs.، وقد يقابل أحياناً بين

القدرة والشخصية، وإن كانت القدرة جزءاً من الشخصية. ومن إختبارات الشخصية «قائمة إيزنك للشخصية Eysenck Personality Questionnaire»، ومن أمثلة بنود هذا الاختبار: «هل تستطيع التعبير عن أفكارك بسرعة»، وتكون الإجابة على السؤال إما بنعم أو بلا. والكثير من بنود إختبارات الشخصية تكون الإجابة عليها بنعم أو بلا، أو بعلامة صواب، أو بعلامة خطأ. و«الاختبارات الإسقاطية projective tests من إختبارات الشخصية، غير أنّ اختبار الشخصية الغرض منه سبر سمات الشخصية، بينما الغرض من الاختبارات الإسقاطية التعامل مع الشخصية ككل متكامل، بوصفها مجموعة من السمات. ويتركز التفكير في صياغة الاختبار الإسقاطي على الصورة المركبة للشخصية، وليس على الأبعاد المتمايزة منها أو السمات المستقلة. و«اختبار رورشاخ لبقع الحبر Rorschach Inkblot Test إختبار إسقاطي تقدم فيه بطاقات الحبر للمفحوص تباعاً، ليذكر ما يراه خياله فيها مما يمكن أن تمثله له، ويسجل الفاحص الإجابة للمفحوص، وزمن الإجابة، ومظاهر سلوكه خلال الإجابة. وبعض الاختبارات الإسقاطية إختبارات لفظية يستعاض فيها عن الصور بالمنبهات اللفظية، وهي عبارة عن كلمات مفردة، أو عبارات ناقصة، يطلب من المفحوص أن يذكر ما تثيره فيه من كلمات أخرى تتداعى تلقائياً، أو يكمل العبارة الناقصة بأول ما يتداعى إلى ذهنه من معان وألفاظ، وذلك مضمون ما يُسمى «إختبار التداعي association test»، وقد يقال له تزايداً «إختبار التداعي الحر free-association test»، لأنّ هذا التداعي ليس حراً في الواقع، إذ أنّ المفحوص لا يختار إستجاباته بل يكون مدفوعاً إليها بعوامل لاشعورية نتيجة تجارب من الماضي. وفي «اختبارات التداعي المقيد controlled-association test» يختار المفحوص بين بدائل تقدم إليه.

وإذا كان قياس السمات هو محور إختبارات الشخصية فإنّ هناك جانباً آخر لا يقل أهمية، وهو جانب الاتجاهات والاهتمامات والتفضيلات والاختبارات

التي تتناول هذا الجانب باعتباره الجانب المكمل لسمات الشخصية، تؤدي إلى التعرف على العوامل التي يمكن أن تضمن حسن استثمار الفرد لاستعداداته وقدراته. وتمارس الاتجاهات عموماً باعتبارها حالات عقلية عصبية لها تأثيرات توجيهية وديناميـة على استجابات الأفراد نحو كل ما يتعلق بها من موضوعات ومواقف. ولعل أبرز الاختبارات عليها هي «اختبارات أو مقاييس ثيرستون Thurstone scale»، وليكرت Likert scale، وبوجاردس Bogardus scale»، كما أنّ أبرز إختبارات الاهتمامات والتفضيلات هي اختبارات كودر Kuder، وسترونج Strong، ولي ثورب Lee Thorpe، ويعيب هذه الاختبارات أنها مقاييس بحثية أكثر منها مقاييس تصلح للأغراض الكلينيكية. ويمثل الاستخدام الكلينيكي للاختبارات المحك الحقيقي للتحدي الذي تقوم عليه فلسفة القياس النفسي، وتكشف عن بعض أشكال العجز اللغوي، وعيوب الحديث، والصعوبات العضوية التي تعمل على خفض مستوى الأداء، وإغراب الاستجابات، وتدهور الوظائف العقلية. ولقد تبين من مسح قام به البعض عن أكثر الاختبارات إستخداماً من الناحية الكلينيكية: أنّ «اختبار أو مقياس ويكسلر للراشدين Wechsler Adult Intelligence Scale» يأتي في المرتبة الأولى، ويليه «إختبار رورشاخ لبقع الحبر Rorschach Inkblot Test»، و«اختبار بندر جشطلت Bender Gestalt Test»، ثم «اختبار تفهم الموضوع Thematic Appreciation Test»، و«اختبار ماكوفر لرسم الرجل Machover Draw-a-Person Test»، و«اختبار مينيسوتا المتعدد الأوجه للشخصية Minnesota Multiphasic Inventory of Personality»، و«اختبار ويكسلر لذكاء الأطفال Wechsler Intelligenc eScale for Childrens»، و«اختبار ستانفورد بينيه Stanford Binet Achievement Test، و«اختبار البيت والشجرة والرجل House-Tree-Person Test»، و«اختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة Rotter Incomplete Sentence Blank»، و«اختبار فاينلاند للنضج الاجتماعي Vineland Social Maturity Scale»، و«اختبار ذاكرة

رموز الأرقام»، و«اختبار المفردات المصور».

وربما كان «اختبار الورقة والقلم paper and pencil test من أكثر الاختبارات النفسية إستخداماً في مجال إختبارات الشخصية، واختبارات القدرات في مجال الأسوياء دون المرضى. وتتطلب بنود هذا الاختبار الإجابة عليها كتابة، وقراءة التعليمات بتمعن، ولذلك فهي لا تصلح للأطفال الصغار والأميين والمعوقين، قراءة وكتابة، والمذهونين، والأجانب من غير أهل لغة الاختبار، وإن كانت بعض بنود هذا الاختبار غير لفظية وتتضمن الرسوم والأشكال الهندسية التي يكتفي بالتأشير على الرسم أو الشكل الصحيح منها.

ولقد كانت هناك دائماً محاولات لصياغة إختبارات نفسية تخص الأطفال كما تخص الراشدين، وتمتحن الأميين والمتخلفين عقلياً والمعوقين. وكان أول إختبار عقلي سنة ١٩٠٥ لبينيه Binet، وضعه أصلاً لاكتشاف المتخلفين عقلياً من بين الأطفال، ثم طور الاختبار ليناسب الأسوياء ويمايز في الذكاء كقدرة عامة، ثم أجريت عليه تعديلات ليقيس ذكاء الراشدين، ثم وجهت جهود العلماء إلى التعديل المشهور باسم «اختبار ذكاء ستانفورد بينيه Stanford Binet Intelligence Test) سنة ١٩٣٧ أشتاتاً من النقد، كان بسببها أن صمم ويكسلر Wechsler إختباراته التي نشرها لأول مرة سنة ١٩٣٩، وأجرى عليها التعديلات التي كان من نتائجها إخراج «مقياس ويكسلر لذكاء الراشدين Wechsler Adult Intelligence Scale»، و«اختبار ويكسلر لذكاء الأطفال Wechsler Intelligence Scale for Children»، وأخيراً «إختبار ويكسلر لذكاء الأطفال في المرحلة قبل الالتحاق بالمدرسة Wechsler Preschool and Primary Scale of Intelligence». وتتوجه بعض اختبارات الذكاء للمعوقين، بمعنى أن يطلب من المفحوص أن يجيب على السؤال أدائياً أو حركياً. ويتجه القياس السيكولوجي لقدرات المعوقين إلى بيان تأثير الإعاقة على التفكير أو النطق أو التوافق أو النمو الارتقائي، ومن ذلك إختبارات الصم مثل «إختبارات بنتنر

وباترسون Pintner-Patterson Scales، واختبارات المكفوفين، كما في اختبارات ستانفورد بينيه، واختبارات المتخلفين كما عند فاينلند. وليست كل الاختبارات العقلية إختبارات ذكاء فبعضها إختبارات قدرات كالقدرات الأساسية السبع التي ذكرها ثرستون، وهي: الفهم اللفظي، والطلاقة اللغوية، والقدرة العددية، والقدرة المكانية، وذاكرة التداعي، والسرعة الإدراكية، والاستدلال العام. وهناك الكثير من بطاريات الاختبارات التي تقيس هذه القدرات، منها «بطارية القدرات العقلية الأولية PMA-Primary Mental Abilities»، و«بطارية إختبار الاستعداد العام GATB-General Aptitude Test Battery»، وبعض هذه البطاريات يقيس القدرات العقلية المتميزة مثل «بطارية جيلفورد Guilford الإبداعية. وبطارية الاختبارات battery of test» مجموعة مقاييس، أو سلسلة اختبارات جمعية، تجرى في جلسة واحدة، ومصممة لتقييم القدرات لتحديد كفاءة المفحوص أو المساعدة في إرشاده.

ويحتاج إعداد وتصميم الاختبار إلى وصف السلوك المراد قياسه وتحليله، ووصف نوع البنود التي يمكن أن تقيسه ووضعها بحيث تكون مناسبة للغرض منها ومتدرجة في الصعوبة، وتحديد نوع الإطار المرجعي الذي تفسر عليه درجة الاختبار، وحساب القدرة التمييزية للاختبار من خلال المفحوصين الذين يجتازونه، والأخذ في الاعتبار أن يتناسب مستوى صعوبة البنود مع متوسط القدرة وانحرافها المعياري لكل مجتمع، وأن يدور مستوى الصعوبة حول نسبة الـ ٥٠٪ وهو المستوى الذي يوفر أعلى نسبة تمييزية لأي اختبار، ثم يجرى على الاختبار تجارب التقنين، وحساب الثبات والصدق فيه. ويمتد مفهوم التقنين للاختبار ليشمل مواقف تطبيق الاختبار ومتغيراتها وتأثيراتها على الدرجة. وبعض هذه المتغيرات فيزيقية والبعض سيكولوجية. ومن المتغيرات الفيزيقية مستوى الراحة لمكان الاختبار، والإضاءة والضوضاء فيه، وشكل الاختبار نفسه وإخراجه، واعتياد المفحوصين على هذا النوع منه، وتجاربهم السابقة. ومن

المتغيرات السيكولوجية سلوك المشرفين على الاختبار مع المفحوصين، والجو العام النفسي، والطريقة التي دار بها الاختبار، وخبرة المفحوصين وقلقهم أو توتراتهم، واتجاهاتهم نحو الاختبار، وما يمكن أن يعنيه الاختبار بالنسبة لهم، واعتيادهم على الاستجابة لأي اختبار بالنفي أو بالإثبات، أو بالموافقة أو بعدم الموافقة، أو بإيثار الاختبار الذي تصحبه كلمة غالباً أو كثيراً، أو بتغليب إختبار البديل الأول بين عدة بدائل، أو البديل الأخير، والميل عند البعض لتزييف نتائج الاختبار بالإجابة على بنوده بما يعرفون أنه يغلب نجاحهم أو تفوقهم، أو يعطي عنهم إنطباعاً جيداً، أو يغطي نقائص عندهم مما يخفض صدق الاختبار. وقد تصمم لذلك بعض الاختبارات للحد من هذا التزييف، بإجبار المفحوص على الاختيار بين بدائل وعدم تركه حراً يجيب كما يرى.

وفي كل اختبار تجرى التجارب لتحويل الأداء عليه إلى تقديرات كمية تعالج بوسائل إحصائية، لتلخيص ما نحصل عليه من بيانات عن الاختبار، وتصنيفها ليتيسر تفسيرها من بعد. ومن الوسائل الإحصائية التخليصية التوزيع التكراري frequency distribution، ويستخدم كإطار مرجعي يوفر معنى للدرجات الخام، وييسر استخدام الدرجات أو مقابلاتها التي يطلق عليها إسم المئينيات percentiles، أو الرتب المئينية percentile ranks في المقارنات المختلفة. وتفسير درجات الأفراد بالرجوع إلى مواقع درجاتهم على هذا التوزيع، ومواقعهم النسبية معبراً عنها في شكل رتب أو درجات مئينية percentile scores. والمتوسطات من الطرق الإحصائية المستخدمة كذلك لتقدير الدرجات على الاختبار، ومنها المتوسط الحسابي arithmetic mean، والوسيط medial، والمنوال mode، والمتوسط الحسابي أهمها ويعطينا القيمة المتوسطة للدرجات، ويوفر لنا كذلك تقديراً للنزعة المركزية للتوزيع. أما تشتت الدرجات من حول المتوسط أو إنحرافها عن المتوسط فأفضل مقياس له هو الانحراف المعياري standard deviation، وتحسب الدرجة المعيارية

عليه standard score باعتبارها وحدة انحرافية منتظمة عن المتوسط. ويوصف التوزيع المعياري لأي مجموعة من الدرجات بأنه ذو متوسط قيمته صفر وانحرافه المعياري واحد. وقد تستخدم بعض أساليب التحويلات الخطية linear لتعديل الدرجات المعيارية بالنظر إلى أنّ بعض الدرجات المعيارية قد يتضمن كسوراً عشرية، ولأنّ نصف الدرجات المعيارية يكون سالباً، وهي درجات جميع الأفراد ممن تقل درجاتهم الخام عن متوسط العينة. والهدف من اللجوء إلى التحويلات الخطية هو مضاعفة مدى الدرجات المعيارية والتخلص بذلك من الدرجات السالبة وكسور الدرجة. ويستخدم غالباً في نسب الذكاء أسلوب التعبير بالدرجات المعيارية المعدلة derived standard scores، فمثلاً في اختبارات ستانفورد بينيه للذكاء تبلغ هذه النسبة درجة معيارية معدلة متوسطها ١٠٠ وانحرافها المعياري ١٦، وفي اختبارات ويكسلر بلفيو تبلغ نسبة الذكاء درجة معيارية معدلة متوسطها ١٠٠ وانحرافها المعياري ١٥.

ويستخدم المنحنى المعياري normal curve لتوضيح الدرجة المعيارية ومزاياها وأساليب تسوية الدرجات المعيارية، وهو يشبه في شكله الجرس، وأعلى نقطة فيه تمثل الوسط، وعندما نختبر عدداً كبيراً من الأفراد فإنّ توزيع العينة يقترب من شكل المنحنى كلما زاد حجمها. وتقوم أهمية هذا المنحنى المعياري الذي يطلق عليه أيضاً إسم منحنى الخطأ curve of error، أو المنحنى الجرسي bell-shaped curve، على افتراض إعتدالية توزيع الدرجات، وهو افتراض يدعمه التوزيع الاعتدالي للمجتمع، حيث يلاحظ إجتماع الأغلبية حول الوسط، وتقل بالتدريج إلى أقصى الطرفين. وفي ضوء خصائص التوزيع الاعتدالي وإمكان تحويل الدرجات المختلفة إلى وحدات أو درجات معيارية يمكن تفسير درجة الفرد على الاختبار ودلالاتها العملية في مجالات البحث.

ويشكل مفهوم صدق الاختبار أهم المفاهيم الأساسية في الاختبارات النفسية، وصدق الاختبار هو درجة الصحة التي يقاس بها أو ما يراد قياسه

من خصائص نفسية - صدق المضمون content validity، أو الصدق المنطقي logical validity، وقدرته على التنبؤ predictive validity، وارتباطه بمحك خارجي - الصدق التلازمي concurrent validity - في شكل معامل هو مؤشر الصدق. والصدق العاملي factorial validity شكل متطور لمفهوم الصدق يستخدم فيه التحليل العاملي للحصول على تقدير كمي لصدق الاختبار في شكل معامل إحصائي هو تشبع الاختبار على العامل الذي يقيسه. ويستخدم تعبير الصدق الظاهري face validity للإشارة إلى ما يبدو أنّ الاختبار يقيسه. ويعني صدق التكوين construct validity أنّ لدينا ارتباطات نظرية بين ما يقيسه الاختبار والمتغيرات الأخرى، وأنّ نتائج الاختبار تثبت صحة هذه الارتباطات أو الافتراضات. ويؤدي فحص الاتساق الداخلي للاختبار إلى الحصول على تقدير لصدقه التكويني.

ويمثل مفهوم الثبات reliability مع مفهوم الصدق أهم أسس القياس النفسي، وأهم ما يمكن أن يتوفر في الاختبار النفسي. والاختبار الصادق يعني أنّ الدرجة عليه تعبر عن القدرة أو السمة أو الأداء الحقيقي المراد قياسه. وما دامت الدرجة صادقة فإنها تكون ثابتة، أي متسقة ومستقرة في تقديرها لما يراد قياسه. ويحسب الثبات بطريقة إعادة الاختبار في الظروف نفسها، أو أن يجرى الاختبار على صورة متكافئة له تشبه بنودها بنوده، وحساب معامل الارتباط بين النتائج في المرتين؛ أو يحسب الثبات بتجزئة الاختبار أجزاء متكافئة أو تنصيفه. وتؤثر في ثبات الاختبار قابليته للتطبيق، وموضوعية بنوده، والارتباط بينها، ومستوى واطراد صعوبتها، وموضوعية التصحيح، واحتمالات التخمين في الإجابة على الاختبار، وطوله، ومحدودية الوقت، وعدم تجانس المفحوصين ودوافعهم، وموقف الاختبار وما يتضمنه من مشتتات أو مزعجات، وينبغي ضبط كل ذلك لنضمن الحصول على معاملات ثبات مرتفعة لأي اختبار نفسي.



مراجع:

Anastasi, A.: Psychological - Testing.

Cronbach, L. J.: Essentials of - Psychological Testing.

Lyman, H. B.: Test Scores and - What They Mean.

Rapaport, D. et al.: Diagnostic - Psychological Testing.

Historical : Watson, R. I.- Review of Objective Personality Testing: The Search for Objectivity.

Thorndike, R. L.: Personal- Selection Test and Measurement Methods.

Bass, B. M. and Berg, I. A.:- Objective Approaches to Personality Assessment.



- ٢٩ -

إستبيان بيرنرويتر للشخصية

Bernreuter Personality Inventory

❖ ❖ ❖

تشتق بنوده من بنود إستبيانات للشخصية ستبقى لثيرستون Thurstone، وليرد Laird، وأولبورت Allport، ويبلغ عدد هذه البنود ٢٥ بنداً، تضمنتها ستة مقاييس للعصابية neuroticism، والاكتفاء الذاتي self-sufficiency، والانطواء - الانبساط introversion-extraversion، والسيطرة - الخنوع dominance-submission، والاجتماعية sociability، والثقة بالنفس self-confidence، يجاب عليها بأحد البدائل الثلاثة (نعم، لا، ؟). وقام بتعريب هذا الاختبار إلى العربية الدكتور عثمان نجاتي، وأعد له كراسة تعليمات وصحيفة تقرير ومفاتيح للتصحيح ومعايير محلية لطلاب المدارس الثانوية والجامعة والراشدين من الجنسين.



- ٣٠ -

إستبيان بل للتوافق

Bell Adjustment Inventory

له صورتان، الأولى للطلاب من الإعدادي حتى الجامعة، والثانية للراشدين، وضعهما هيو بل وضمنهما أسئلة لتقدير التوافق العائلي للمفحوص، من حيث رضاه عن حياته الأسرية وصحته وتوافقه الاجتماعي والوجداني، وما يستشعره من أوجه الخجل أو الانطواء، والخضوع، والاكتئاب، والعصبية، والاستجابة بالاضطرابات، ويجاب على الأسئلة بأحد البدائل الثلاثة (نعم، لا،؟).



- ٣١ -

إستبيان الشخصية لإيزينك

Eysenck Personality Inventory (EPI)



يتكون هذا الاستبيان من صورتين متكافئتين، يعتمد تصميمها على مفهومي الانبساط والعصابية اللذين يكونان محور نظرية إيزينك في الشخصية، واللذين استخلصهما من بحوثه الكثيرة العاملية والتجريبية. وتتكون الصورتان من ٥٧ بنداً منها ٤٨ بنداً مناصفة تقيس الانبساط والعصابية، وتسعة بنود لقياس الكذب على طريقة المقياس L من مقاييس «إستبيان مينيسوتا المتعدد الأوجه للشخصية (Minnesota Multiphasic Personality Inventory)، وتقيس ميل الفحوص لتزييف الإجابات على البنود نحو الأفضل. ومن أمثلة بنود العصابية السؤال: «هل تضايقك مشاعر الذنب كثيراً؟». ومن أمثلة بنود الانبساط السؤال: «هل أنت ممتلئ حيوية؟». ومن أمثلة مقياس الكذب السؤال: «هل تؤجل

عمل اليوم إلى الغد؟». ويعتمد إيزينك لتقدير صدق الاختبار على تقديرات محكمين يقومون بتصنيف المفحوصين إلى فئتي الانبساطيين الانطوائيين extraverts-introverts أو العصابيين neurotics، وحساب الارتباط بين تقديراتهم، وأداء هؤلاء المفحوصين على الاستبيان.



مراجع:

Eysenck, H. J. and Eysenk, S. - B.: Manual of the Eysenck Personality Inventory.



- ٣٢ -

إستبيان مينيسوتا المتعدد الاوجه للشخصية

Minnesota Multiphasic Personality Inventory

(M.M.P.I.)



هذا الاستبيان أو الاختبار من أوسع إختبارات الشخصية إنتشاراً، ونشرت حوله وبسببه فيوض من الدراسات، واشتق منه العديد من الاختبارات. وينسب الاستبيان لجامعة مينيسوتا حيث كان يعمل هاثاوي Hathaway، وماكنلي McKinley، المؤلفان له، وقد استغرق وضعه منهما تجارب عليه إستمرت عشر سنوات من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٤٠، ولم يتيسر نشره إلاّ سنة ١٩٤٢ فعمت شهرته الآفاق وطبق في كل مكان. ورغم أنه ألف أصلاً للتعرف إلى سمات الشخصية ذات العلاقة بالتداعيات المرضية النفسية، إلاّ أنّ استخدامه تجاوز السايكاتريين إلى الأخصائيين النفسيين، واختبار الأسوياء إلى جانب المرضى النفسيين. ويجري الاختبار به في الأساس على الأشخاص إبتداء من سن السادسة عشرة فما فوق، إلاّ أنه قد أثبت أيضاً جدارة في اختبار المراهقين دون السادسة عشرة.

واستبيان مينيسوتا له صورتان فردية وجمعية: والفردية هي الأصل

وتشتمل على ٥٥٠ بنداً، والبند عبارة عن جملة تقريرية من مثل «أشعر في معظم الأحيان بضعف عام»، والمطلوب من المفحوص أن يجيب بأحد بدائل ثلاثة هي: نعم، أو لا، أو لا أدري، المعبر عنها بعلامة الاستفهام؟. ويطبع كل بند على بطاقة. والصورة الجمعية على هيئة كتيب يشتمل على بنود الاختبار، بينما تكون الإجابة على كراسة مرفقة. وتصنف البنود بحيث تعكس إجاباتها عدداً من الموضوعات تبلغ الستة والعشرين موضوعاً، منها على سبيل المثال ما يتعلق بالحالة الصحية والحالة الوجدانية والأعراض المرضية النفسية والجسمية، ومظاهر السلوك العصابي والذهاني، والاتجاهات نحو الجنس والزواج والأسرة والدين والسياسة والعمل والمجتمع، ومظاهر السلوك الذكوري والأنثوي، وحالات الاكتئاب والانقباض والهلوسة والخوف المرضي، وغير ذلك. وتفضل الصورة الفردية الصورة الجمعية عند التطبيق لأغراض التشخيص الفردي بالنسبة للمستشفيات النفسية وكبار السن، وفي أغراض التوجيه مع الأشخاص من المستوى التعليمي أو الفكري المنخفض. وجاء تصميم الاستبيان بحيث تصنع كل مجموعة من العبارات مقياساً إكلينيكياً مستقلاً بلغ عددها تسعة مقاييس هي: «مقياس توهم المرض Hyponchondriasis Scale (HS) للكشف عن حالات القلق الزائد على الصحة والاهتمام المفرط بوظائف الجسم. والدرجة العالية على المقياس دليل على الإصابة بمرض عضوي حقيقي، إلاّ أنّ زيادة الدرجة فوق ٦٥ هي مؤشر يكشف عن إضطراب نفسي، وعبارات هذا المقياس من مثل: أصاب أحياناً بنوبات من الغثيان والقيء. وتعكس سمة توهم المرض قدراً من عدم النضج في مواجهة المشاكل، كما تعكس الفشل في الاستجابة بشكل مناسب للمواقف الاجتماعية. «ومقياس الاكتئاب Depression Scale (DS)»، ويرصد الأعراض الكلينيكية للاكتئاب، والدرجة العالية على هذا المقياس تكشف عن تدني الروح المعنوية، والاتجاه لليأس، والشعور الشديد بالإحباط، وسوداوية النظرة إلى الأمور. وعبارات هذا

المقياس من مثل: أشعر أحياناً بأني لا يرجى مني نفع البتة، أو: من المؤكد أني قليل الثقة بنفسي. «ومقياس الهستيريا Hysteria Scale (HY)»، ويقيس درجة تشابه سلوك المفحوص وسلوك المرضى بالهستيريا، والأشخاص الذين يحققون درجة عالية على المقياس معرضون لنوبات مفاجئة من الضعف والإغماء، أو حتى ما يشبه نوبات الصرع، وشكواهم عامة أو أكثر تخصيصاً، كأن يشكو الاضطرابات المعوية أو القلبية. والعبارات على المقياس من مثل: نومي مضطرب وقلق، أو يداي كثيراً ما تصيبهما رجفة كلما هممت بعمل. «ومقياس الانحراف السايكوباتي Psychopatic Deviation Scale (PD)»، ويقيس درجة تشابه سلوك المفحوص بسلوك السايكوباتيين أو المعتلين نفسياً، الذين يشكون من نقص الاستجابة الانفعالية العميقة، والإفادة من الخبرات التي يدخلونها، والاحتفال بالمعايير الاجتماعية، وبالرغم من ذلك يمكن أن تكون لهم صفات أخرى تجعلهم محبوبين، بحيث لا يكتشف أمرهم المحيطون بهم فيسهل التغرير بهم وخداعهم، ومن الجائز أن يصادمهم سلوكهم ببيئاتهم ويعرض سمعتهم للخطر. والعبارات على هذا المقياس من مثل: لا أحد يفهمني، أو أحس كما لو كنت أريد الهرب بنفسي والابتعاد عن عائلتي، أو هناك الكثير مما أعمله وأشعر إزاءه بالندم من بعد. «ومقياس الذكورة والأنوثة Masculinity-femininity Scale» يقيس اهتمامات الجنسين وتوجهات الفرد نحو أيهما، وتشير الدرجة العالية على المقياس إلى انحراف في نمط الاهتمامات في اتجاه الجنس الآخر، وعباراته من مثل: كثيراً ما أتمنى لو كنت بنتاً. «ومقياس الهذاء Paranoia Scale (Pa)»، يقيس الشكوك المرضية والشعور بالاضطهاد والحساسية المفرطة، وعباراته من مثل: يقول الناس عني أشياء وضيعة ومهينة، أو: أشعر منهم بالاضطهاد، أو أن: أحدهم يسيطر على أفكاري. «ومقياس الوهن النفسي أو السيكاثيتنيا Psychasthenia Scale ، ويقيس مدى التشابه في السلوك بين المفحوص والمرضى النفسيين الذين

يعانون المخاوف المرضية أو الذين لهم سلوك قهري، وقد يكون سلوكاً قهرياً صريحاً، كما في الإفراط في غسل اليدين، أو ضمنياً كما في الهروب من الأفكار المتسلطة، ويوصف الأشخاص الذين يحصلون على درجات عالية على المقياس بأنهم يعانون من القلق والحساسية ويشكون العاطفية والفردية، على عكس الذين يحصلون على درجات منخفضة، فقد وصفوا بالثقة في النفس والاتزان، وعبارات هذا المقياس من مثل: لم أعد أفهم بالدرجة التي كنت بها أفهم من قبل، أو: أجد صعوبة في التركيز. «ومقياس الفصام Schizophrenia Scale (Sc)»، ويقيس مدى التشابه بين استجابات المفحوص وسلوك المرضى بالفصام الذين يتصفون بالتفكير والسلوك شديد الإغراب، ويكشف المقياس أنّ الذي يحصل على ٧٥ درجة يشبه الفصاميين في سلوكهم، وعباراته من مثل: أشعر أني مختل، أو: أشعر بحساسية من بعض الموضوعات حتى ليشق علي أن أخوض فيها. و«مقياس الهوس الخفيف Hypomania Scale (Ma)، ويقيس الخصائص المميزة للمرضى بالهوس الخفيف، وعباراته من مثل: قد يكون من السهل أن أخيف الناس مني وأفعل ذلك أحياناً من باب التسرية.

وقد استحدث استبيان مينيسوتا ظهور عدد كبير من مقاييس الشخصية تشتق منه حتى لقد تجاوز هذا العدد المائتين، وتوفر على تأليفها أخصائيون من غير الذين اشتركوا في عملية تصميم الاستبيان، ومنها مثلاً «مقياس الانطواء الاجتماعي Introversion Scale (Si)» الذي أضيف إلى المقاييس التسعة السابقة فصارت به عشر مقاييس، وإن لم يكن هذا المقياس الجديد مقياساً كلينيكياً، وذلك لأنه يقيس النزعة إلى الانطواء والعزوف عن الاتصال بالآخرين، وعباراته من مثل: يشق علي التحدث مع الناس الذين أتعرف بهم حديثاً، أو: سأكون سعيداً لو عشت وحيداً في بيت منعزل. وأيضاً «مقياس السيطرة Dominance Scale (Do)» لاختبار وجود الميول المسيطرة. «ومقياس آلام أسفل الظهر Low Back-pain Scale (LPQ) لتحري الأسباب النفسية وراء آلام الظهر

التي ليست لها أسباب عضوية. و«مقياس التعصب Prejudice Scale (Pr)» لقياس العوامل النفسية المواكبة للتعصب ضد الأقليات. «ومقياس المسؤولية Responsibility Scale (Re) لقياس الإحساس بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية. و«مقياس المكانة الاجتماعية والاقتصادية Socio-economic Status Scale (St) ويقيس العوامل النفسية المرتبطة بالانتماءات الطبقية - اجتماعياً واقتصادياً.

وصنفت بالإضافة إلى ذلك أربعة مقاييس للصدق على الاستبيان، والمقصود بالصدق هو صدق المفحوص في تعبيره عن نفسه، والدقة التي يلزم بها نفسه في الإجابة على عبارات المقياس، والدرجة على سؤالها question score هي الدرجة على علامة الاستفهام؟. و«مقياس الكذب Lie Score (L)»، ويكشف مدى تعمد المفحوص الكذب على اختبارات الاستبيان، وتزييفه للدرجة التي يحصل عليها باختياره للإجابات التي تضفي عليه أفضل صورة إجتماعية. و«مقياس الصدق Validity Score (F)» وهو مقياس للمراجعة لكل الإجابات على الاختبار. و«مقياس التصحيح Correction Score (K)»، وتشير الدرجة المرتفعة عليه إلى استجابة دفاعية لتحريف الدرجة ليبدو المفحوص في صورة أفضل، بينما تشير الدرجة المنخفضة عليه إلى إفراطه في نقد ذاته حتى ليبدو في صورة أقل.

ولا تستخدم الدرجات على الاختبارات المنفصلة في استبيان مينيسوتا وإنما للدرجة الكلية التي تكشف عنها الصفحة النفسية للاستبيان. وأعد بعض الباحثين أكثر من أطلس للاستبيان للاستخدام الكلينيكي تعرض فيه أنماطاً من الصفحات النفسية المختلفة. والاتجاه الآن للاستغناء عن التصنيفات القديمة للاضطرابات النفسية كتصنيف كريبلين Kraepelin (١٨٥٦-١٩٢٦)، واستبدالها بالصفحات النفسي profiles. ويتضمن أطلس هاثاواي Hathaway، وميل Meehl: «للاستعمال الكلينيكي لاستبيان مينيسوتا المتعدد الأوجه للشخصية Atlas for the Clinical Use of the MMPI، صفحات نفسية موثقة،

وتواريخ حياة مختصرة، لعدد ٩٦٨ مريضاً، رتبت بحسب تشابه الأنماط، وتعتمد تفسيرات الصحائف النفسية على هذا التاريخ المعروض. ويوجه النقد للاستبيان على أساس أنّ التصنيفات السايكاترية القديمة ما تزال مستخدمة فيه وإن تغيرت العناوين المدرجة تحتها، وأنه لم يقنن التقنين الكافي من حيث أنّ اختباره كان على عينة تمثل مدينة مينابوليس من مدن أمريكا ولا تمثيل السكان ككل، فضلاً عن أنّ استخدامه في غير الولايات المتحدة محل شك كبير.

❖ ❖ ❖

- ٣٢ -
إستبيانات جيلفورد العاملية
Guilfprd's Factorial Inventories

❖ ❖ ❖

هي ثلاثة استبيانات أو مقاييس للشخصية تشتمل على ٥١١ سؤالاً يجاب عليها بـ «نعم» أو «لا» أو «لا أدري» التي تمثلها علامة إستفهام. والاستبيان عبارة عن قائمة لمجموعة من الأسئلة مطلوب الإجابة عليها بنعم، أو لا، أو بعلامة استفهام تعني لا أدري. والهدف من الاستبيانات الثلاثة عند جيلفورد إستخراج درجات للعوامل المستقلة أو السمات الأولية للشخصية، وعددها في هذه الاستبيانات ثلاث وعشرون سمة مزاجية ينفرد كل استبيان بعدد منها، وقد يطلق على الاستبيان إسم يتكون من الحروف الأولى لهذه السمات، فمثلاً الاستبيان الأول هو استبيان العوامل Inventory of Factors STDCR (S, T, D, C, R)، حيث S تمثل العامل الاجتماعي من social، من المتقابلين الاجتماعيين: الانطواء ضد الانبساط social introversion-extraversion؛ و T تمثل التفكير thinking الانطوائي ضد الانبساطي introversion-extraversion thinking؛ و D تمثل عامل الاكتئاب depression، وعدم السعادة، والتشاؤم depression, unhappiness, pessimism؛ و C من cycloid، وتمثل التقلب الوجداني cycloid disposition وعدم الثبات

الانفعالي emotional instability؛ و R تمثل الابتهاج والانبساط rupture، والميل لأن نترك أنفسنا للحظ Lucky disposition, rythymia, carefreeness, happy-go.

والاستبيان الثاني هو «استبيان العوامل G, A, M, I, N لجيلفورد ومارتن - Guilford-Martin Inventory of Factors (GAMIN)، والعوامل التي يقيسها هي: العامل G أي النشاط العام general activity؛ والعامل A أي السيطرة ضد الخضوع ascendance vs submission؛ والعامل M أي الذكورة أو المبادأة والإيجابية ضد الأنوثة أو السلبية masculinity vs femininity؛ والعامل I أي الثقة كمقابل لمشاعر النقص confidence vs inferiority feelings؛ والعامل N أي العصبية ضد رباطة الجأش والهدوء composure and calmness vs nerveousness.

والاستبيان الثالث هو «استبيان الأفراد لجيلفورد ومارتن (Guilford-Martin Personnel Inventory)، ويقيس الموضوعية ضد الذاتية أو فرط الحساسية objectivity vs subjectivity or hypersensitivity، والظُرف ضد العدوانية المعممة والميال للقتال agreeableness vs generalized hostility and belligerence، والتعاون أو التسامح ضد الميل لتلمس الأخطاء cooperativeness or tolerance vs fault-finding disposition.

ويتكون الاستبيان الأول من ١٧٥ سؤالاً، والثاني من ١٧٦ سؤالاً، والثالث من ١٥٠ سؤالاً.



- ٣٤ -
إستخبار عوامل الشخصية الستة عشر
Sixteen Personality Factor Questionnaire



وضعه كاتل Cattell وآخرون منذ سنة ١٩٤٩ واستمر العمل فيه على امتداد سنوات، بهدف قياس أبعاد وسمات الشخصية التي تقف خلف أشكال السلوك

الظاهر من الأنماط العاملية لتقديرات الشخصية وبياناتها على الاستخبارات. وقد اختار كاتل لاستخباره أفضل البنود على اختباراته وسجلاته وتقديراته للأفراد والتي يمكن أن تقيس هذه السمات، والتي يوجزها في ستة عشر عاملاً في التحليلات العاملية المختلفة التي أجراها. وتغطي بنوده المرحلة العمرية من ١٦ حتى ٨٠ سنة فأكثر، ويمكن الحصول على درجة لكل عامل. والعوامل التي استخرجها هي: الانطلاق affectothymia مقابل الانغلاق؛ والذكاء العام general intelligence مقابل الغباء أو الضعف العقلي؛ والثبات الانفعالي emotional stability مقابل المراوحة وتقلب المزاج؛ والسيطرة والتسيد dominance مقابل الخضوع والاتباع؛ والانشراح surgency مقابل الانقباض؛ وقوة الأنا الأعلى super-ego strength مقابل ضعف المعايير الأخلاقية؛ والمغامرة adventurousness مقابل الدعة والخور وثبوط الهمة؛ ورهافة الحس protected emotional sensitivity ضد الجلافة وجمود الحس؛ والتشكك والارتياب pretension ضد التقبل؛ والذاتية autia ضد الانفتاح على الناس؛ والحكمة العملية sophistication ضد السذاجة والبساطة؛ والاستهداف للذنب guilt-proneness ضد الثقة بالنفس؛ والتطرف radicalism ضد المحافظة؛ والاكتفاء الذاتي self-sufficiency ضد الافتقار الذاتي؛ وقوة إعتبار الذات strength of self-sentiment ضد عنف إعتبار الذات؛ وقوة الفطرة واندفاعها lithergic tension ضد عنفها وتداعيها.

والعبارات في الاستخبار من مثل «في اتصالاتي الاجتماعية بالآخرين: أعبر عن انفعالاتي بسرعة كبيرة، أو بين بين، أو أحتفظ بعواطفي لنفسي». ويؤشر المفحوص على الإجابة التي يفضلها. وللاستخبار صور أخرى للمراحل العمرية الأدنى، هي: «إستخبار الشخصية للمدرسة الثانوية High-School Personality Questionnaire (HSPQ) ويغطي المرحلة من ١٢ إلى ١٨ سنة، و«استخبار الشخصية للأطفال Children's Personality Questionnaire (CPQ) ويغطي المرحلة من ٦ إلى ٨

سنوات. وكذلك نشر كاتل ومساعدوه إستخبارات أخرى تغطي مجالات محددة من الشخصية مثل العصابية، والقلق، والانبساط.



- ٣٥ -
بطارية الاستعدادات العامة
General Aptitude Test Battery (GATB)



تستخدم لأغراض التوجيه المهني، وتطبق على نطاق واسع منذ سنة ١٩٤٧، بعد دراسات مستفيضة عليها وتقنينها على أعداد ضخمة من طالبي الوظائف والتأهيل المهني. والبطارية مصممة أصلاً للأفراد في مستوى التعليم الإعدادي، وتشتق منها عدة بطاريات أحدث تقيس المهن المتجانسة وفق متطلبات كل منها، ووضعت لها صور غير لفظية، وتتكون الصورة النهائية من البطارية اللفظية من ١٢ إختباراً، تقيس الذكاء باختبار للمفردات، وللحساب، ولإدراك الأماكن؛ والاستعداد اللفظي verbal aptitude، باختبار المفردات المتشابهة والمتقابلة؛ والاستعداد العددي numerical aptitude، باختبار حسابي؛ والإدراك المكاني spatial aptitude، باختبار إدراك للأشياء ثلاثية الأبعاد؛ وإدراك الشكل form perception، باختبار مطابقة العدد tools من صورها، واختبار مطابقة للأشكال الهندسية؛ والإدراك الكتابي clerical perception، باختبار مطابقة بين الأسماء؛ والتآزر الحركي motor coordination، باختبار ورقة وقلم عادي، بوضع علامات بالقلم داخل مربعات بشكل محدد؛ ومهارة الأصابع finger dexterity، باختبار تجميع وتفكيك لعدد من الصواميل والورد (جمع صامولة ووردة)؛ والمهارة اليدوية manual dexterity، باختبار لوحة الأوتاد pegboard، بنقل وتثبيت وقلب الأوتاد الصغيرة للوحة في ثقوبها.



مراجع:

Cronbach, L. J.: Essentials of - Psychological Testing.

Dvorak, B. J.: The General - Aptitude Test Battery.



- ٣٦ -
التصنيف ق
Q Sorting



يقيس هذا الاختبار السمات والاتجاهات ونواحي الشخصية الأخرى بطريقة مختلفة عن بقية طرق القياس النفسي، وذلك أنّ المفحوص يُعطى مثلاً عدداً من البطاقات كتب على كل منها سمة أو إتجاه، ويُطلب منه أن يصنفها في مدرج، موزعة توزيعاً محدداً على عدد من الأكوام، بحيث تكون البطاقات التي تتضمن السمات التي يرى أنها تنطبق عليه جداً في أقصى طرف، والبطاقات التي تتضمن السمات التي يرى أنها لا تنطبق عليه البتة في أقصى الطرف الآخر، ثم بين هذين الطرفين تكوم البطاقات في الأكوام المحددة بالعدد المطلوب، بحيث يأتي توزيعها من الأكثر تفضيلاً نزولاً إلى الوسط، ومن الأقل تفضيلاً نزولاً إلى الوسط أيضاً. ومن شأن هذا التوزيع أن يكشف للمفحوص نفسه، عن نفسه، بنفسه، ويتسنى له به أن يقارن نفسه بنفسه، وليس بأفراد آخرين، وأن يتعرف إلى نواحي القوة فيه ونواحي الضعف، وما بين ذلك. وقد يستخدم هذا الاختبار ليكشف للمفحوص أو للمعالج النفسي ما يراه المفحوص في غيره من المحيطين به، كأمه، أو كأبيه، أو كزوجته. وكذلك قد يكشف عن نفسه في مواقف مختلفة، كالعمل مثلاً أو البيت، وما يظن أنّ الآخرين يرونه فيه، وما يحب أن يكونه. وقد يستخدم الاختبار عدة مرات على المفحوص خلال مرحلة العلاج النفسي ليكشف عن التغيرات في مفهوم الذات نتيجة التقدم في العلاج.

❖ ❖ ❖

مراجع:
Stephenson, W.: The Study of -
Behavior.

❖ ❖ ❖

- ٣٧ -
تمايز المعاني
Semantic Differential

❖ ❖ ❖

طريقة من طرق القياس النفسي ذهب إليها أوزجود Osgood (١٩٥٢)، وهوفستاتر Hofstatter (١٩٥٧)، وسوسي Suci، وتانينباوم Tannenbaum (١٩٥٧)، وتستخدم في مجال سيكولوجية المعاني أصلاً، ولكن تبين إمكان استخدامها في تقويم الشخصية وقياس الاتجاهات والعواطف وما إليهما. والمعنى الذي يقصد إليه قد يكون المعنى الدلالي، فالكتاب معناه معروف وينصرف إلى شيء بالذات، ويمكن أن يقصد بالمعنى مفهومه الضمني، من حيث أنّ بعض المعاني قد تكون أقرب إلينا ونستخدمها أكثر، ونعرب عن ميولنا إليها. وقد يستدعي المعنى مستدعيات له من مثل ما تستدعى بطريقة تداعي المعاني المعروفة، ومن ثم فإنّ اختبار تمايز المعاني يفيد في قياس الاتجاهات من هذه الزاوية، والأساس الذي يقوم عليه هذا الاختبار: أنّ المعاني يتم التعبير عنها غالباً، بصفات تكشف عن مظاهرها المختلفة وانفعالات الأفراد تجاهها، ومعظم الصفات لها أضداد، فالطويل ضده القصير، وما ليس له ضد قد نصنع العكس به ببوادئ من مثل «لا» كقولنا أخلاقي ولاأخلاقي، أو «غير» كقولنا صالح وغير صالح، أو «عديم» كقولنا له لون وعديم اللون. وتصلح الصفات وأضدادها لتكون مقياساً للاتجاهات ولتقدير الأشياء. وينصرف تمايز المعاني إلى ثلاث نواح، فناحية منها تقويمية evaluative، من حيث أنّ الشيء يمكن أن نقضي فيه برأي فنصفه بأنه مفيد أو غير مفيد، قيم أو عديم القيمة، نظيف أو قذر، إلخ؛ وناحية تخص فعاليته، فقد نصفه بأنه فعال أو غير

فعال، إيجابي أو سلبي، قوي أو ضعيف، إلخ؛ وناحية تتناول وصف نشاطه activity، فهو سريع أو بطيء، ذكي أو غبي، إلخ. ويبرز عامل التقويم إحصائياً على العاملين الآخرين. وقد تظهر عوامل أخرى بخلاف هذه العوامل الثلاثة، مثل عامل المألوفية familiarity، حيث يمكن أن نصف الشيء بأنه عادي او غير عادي، بسيط أو معقد، مألوف أو غير مألوف، إلخ. وتتوقف المعاني على المجال الذي نقيس فيه الصفة، فمثلاً صفة الخشونة لو وصفنا بها جنس الإناث لكان لها معنى سيئ، في حين أن وصفنا لجنس الذكور بها يحمل معنى حسناً.



مراجع:

Suci and Tannenbaum: The - Measurement of Meaning.

Hofstatter: Psychology. -

Osgood: The Nature and - Measurement of Meaning.



- ٣٨ -

سجل المفاضلات لكودر

Kuder Preference Record (K.P.R.)



يجيء تصميم هذا السجل أو الاختبار زمنياً بعد «صحيفة أو إختبار الميول لسترونج (Strong Vocational Interest Blank)، ويحاول به مؤلفه كودر أن يتحاشى سلبيات إختبار ستورنج، لاستحالة تحقيق ما كان سترونج يرمي إليه من تغطية كل المهن، فقد قضى خمساً وعشرين سنة ليغطي ستين مهنة إضافية، ولنا أن نتصور ما يمكن أن تستلزمه تغطية آلاف المهن الأخرى من وقت وجهد، فضلاً عن أنّ مقاييس سترونج ترتبط إرتباطاً عالياً بالمقاييس الأخرى، مما لا يجعل هناك فائدة من الحصول على الدرجات نفسها في أكثر من مقياس، ومن ثم فقد توخى كودر أن

تأتي مقاييسه غير مرتبطة بأية مقاييس أخرى قبله، وقسم لذلك بنود المقاييس إلى مجموعات، ترتبط كل مجموعة داخلياً، وليس ثمة ارتباط بين المجموعات نفسها. ويعتمد هذا التقسيم على تحليل البنود بحيث يأتي مضمونها منطقياً، وهو اتجاه عقلي عند كودر يتميز به عن الاتجاه التجريبي عند سترونج.

ومقاييس كودر ثلاثية، تشمل «التفضيل التخصصي .K.P.R (vocational»، «والتفضيل المهني .K.P.R occupational»، «والتفضيل الشخصي (personal) .K.P.R»، ويبلغ عدد بنود إختبار كودر التخصصي ١٦٠ بنداً، والاختيار المتبع فيه من نوع الاختيار المقيد forced choice بين ثلاثة بدائل يرتبها المفحوص حسب تفضيله لها، وما يحبه منها أكثر من غيره، وما يحبه منها أقل من غيره، كأن يفاضل بين (أ) أن يزور معرضاً فنياً، (ب) أن يزور مكتبة، (جـ) أن يزور متحفاً، أو أن يختار بين (أ) هواية جمع التوقيعات. (ب) هواية جمع النقود. (جـ) هواية جمع الفراشات. ونلاحظ أنّ المفاضلة تكون دائماً بين مجالات مختلفة، فالمعرض الفني، الاهتمامات المرتبطة به فنية، في حين أنّ المكتبة، الاهتمامات المتعلقة بها أدبية، بينما المتحف، إهتماماته تاريخية. وأيضاً فإنّ طريقة كودر تختلف عن طريقة سترونج، حيث يعتمد الأخير في الكشف عن الميول إلى مقياس يختار به المفحوص بين «ما يحب»، «وما لا يحب»، «وما لا يهتم به». والميول التي يقيسها إختبار كودر عشرة هي: الميل للأنشطة التي تستلزم التواجد خلوياً، أي خارج البيت outdoor interest، كأن نميل لامتهان الزراعة؛ والميل الميكانيكي .mechanical i، ويتمثل في إيثار الأعمال الميكانيكية؛ والميل الحسابي .computational i، وأصحابه يفضلون التعامل مع الأرقام والجمع والطرح، إلخ؛ والميل العلمي .scientific i وصاحبه يؤثر الاشتغال بالعلوم، والتجارب فيها، والكشف عن الوقائع العلمية؛ والميل الأدبي .literary i ويتمثل في هواية الأدب والتأليف فيه؛ والميل الفني .artistic i كأن يمتهن التصوير، أو يهوى التمثيل؛ والميل الموسيقي .musical i بالانشغال بالقراءة

فيها، أو التأليف لها، أو الشغف بسماعها، والميل الإقناعي persuasive i.، ويتمثل في امتهان ما يعتمد على الإقناع، مثل مجالات البيع والشراء والسمسرة؛ والميل الكتابي clerical i.، وأصحابه يفضلون التعامل مع الورق على التعامل مع الناس، ويمتهنون السكرتارية أو الأعمال الكتابية التي تستلزم الرصد والتسجيل؛ والميل للخدمة الاجتماعية social-service i.، وصاحبه يميل إلى التعامل مع الناس والتوفر على خدمتهم كالطبيب ورجل الدين.

ويعطي كودر البند الذي يقع عليه التفضيل الأول درجتين، بينما يحصل التفضيل الثاني على درجة واحدة، وأما البند الذي يأتي في النهاية فتقديره صفر. وبعد استخراج الدرجات الخام لكل ميل ينبغي التثبت من صدق الإجابة عن طريق كتاب التعليمات والمفاتيح الخاصة بالاختبار، ثم تترجم الدرجات الخام إلى المقابل المئوي، ويرسم بروفيل أو مخطط عام لميول المفحوص.

واختبار التفضيلات المهنية عند كودر هو اشتقاق أحدث من إختبار التفضيلات التخصصية، ويمكن منه الحصول على درجات تشير إلى مهن مختلفة من عدد ٣٨ مهنة تقيسها بنود الاختبار، كمهن الزراعة، والصحافة، والطب، والهندسة، إلخ. وأما اختبار التفضيلات الشخصية، فمع أنّ تصميمه كان قبل تصميم إختبار التفضيلات المهنية، إلاّ أنه لا يستخدم على نطاق واسع، ويعامل كاختبار تجريبي ويقيس من خصائص السلوك خمسة خصائص يقول كودر إنها سمات traits، مستخدماً إسم السمة للدلالة على خصائص غير مألوفة، كسمات من نوع ما تكشف عنه مقاييس السمات، وهي السمة الاجتماعية social t.، والتفضيل فيها ينصرف إلى اختيار التعامل مع الناس والانخراط معهم في أنشطة جماعية، ومن المتسمين بهذه السمة أشخاص مثل المهندس ومندوب البيع، والسمة العملية practical t.، والمتصفون بهذه السمة يفضلون المهن التي تتطلب إستقراراً، كمهنة الفلاحة أو مهنة التدريس، والسمة النظرية theoretical t. ومن دأب من يتصفون بها أن يؤثروا من المهن ما يقوم

على التفكير والتنظير، كمهنة أستاذ الجامعة، وسمة القبول agreeableness t.، بمعنى أن يكون الشخص مقبولاً لدى الناس ومحبوباً منهم، ومن يتصف بها يؤثر عدم الدخول في معارك وخصومات مع الناس، ويتجنب التصارع معهم، وذلك مطلوب المهن من أمثال المحاسبة أو التدريس الجامعي أو الطب، وسمة التسيُّد dominance t.، بمعنى أن يتصف الشخص بحب التسيد والقيادة وتصدر المجالس، وهو ما تتطلبه مهن كالمحاماة وحفظ الأمن.

وأما «مسح كودر للاهتمامات المهنية Kuder Occupational Interest Survey (K.O.I.S) »، فقد جاء تصميمه واقعياً أكثر من إختباراته الأخرى، وتحسب الميول المهنية به كمعامل ارتباط بين درجة المفحوص على مقياس مهني ونمط إهتمامات مجموعة مهنية معينة. وتستخدم في هذه الصورة أنماط مهنية لسبع وسبعين مهنة مختلفة، بالإضافة إلى ٢٩ نمطاً مختلف من الميول الدراسية مشتقة من مجموعة عاملة من الذكور، كما أنّ هناك مقاييس أخرى للإناث على مجموعات محكية من ٢٩ مهنة أنثوية، وعدد ١٩ إهتماماً دراسياً أنثوياً.



- ٣٩ -
صحيفة الميول المهنية لسترونج
Strong Vocational Interest Blank
(S. V. I. B)

❖ ❖ ❖

هي صحيفة إختبار، الهدف الأساسي منه هو الكشف عن الميول والاهتمامات، بالتنبيه إلى ما يحبه الفرد وما لا يحبه، وما يقف منه موقفاً محايداً من مختلف الأنشطة والموضوعات، وأنماط الأشخاص الذين قد يلتقي بهم في حياته اليومية. وقد صمم الاختبار ليناسب الأفراد ممن ينتمون لمهن معينة أو يفضلونها على غيرها، أو قد تضطرهم ظروفهم ليختاروا بين عدد من المهن، أقربها إلى نفوسهم، ليمارسوها أو يتعلموا أسرارها.

ويفيد اختبار سترونج كثيراً في التوجيه المهني والتربوي، ويساعد الأفراد على أن يختاروا دراساتهم أو مهنهم. واختبار سترونج يعد من الاختبارات الرائدة في مجاله، ويقوم على دعوى أنّ الناس الذين يعملون في المهن المتماثلة يكونون أقرب إلى بعضهم البعض من حيث الميول والاهتمامات عن غيرهم ممن ينتمون أو لا يمتهنون هذه المهن، وأنّ هذه المماثلة أو المغايرة لا تقتصر على الأمور المتعلقة بالمهنة ولكنها تشمل كذلك أنواع الدراسات والأنشطة الأخرى العملية أو العقلية أو الرياضية، بل وحتى الاجتماعية والهوايات والكتب، وغير ذلك من الممارسات في الحياة، ومن ثم كان من المنطقي أن ترتب اهتمامات أي شخص بحسب أفضلياته، وفي ضوء درجة إتفاقها مع اهتمامات وتفضيلات مجموعة محكية من الأفراد الناجحين في المهن نفسها. ويميز سترونج بين المهن المختلفة، بدعوى أنّ بعضها تميل إليه النساء أكثر، كالصحافة، والبعض يميل إليه الرجال أكثر، كالهندسة، وجعل سترونج عدد المهن الرجولية ٤٨ بينما النسائية عددها ٢٨ مهنة.

و« اختبار أو استبيان سترونج كامبل للاهتمامات Strong-Campbell Interest Inventory (S.C.I.I.) » صورة أحدث صدرت سنة ١٩٧٤ جمع فيه بين «اختبار سترونج للنساء VIB for Women» و«اختبار سترونج للرجال (VIB for Men)، ويتضمن الاختبار ٤٠٠ بند مصنفة في ثماني مجموعات، في الخمسة الأولى يختار المفحوص بين ثلاثة بدائل هي «لا أحب» و «أحب» و «لا أهتم» وتدور موضوعاتها حول المهن المختلفة، والمواد الدراسية، والأنشطة المسلية، وأنشطة أخرى متفرقة كإلقاء الخطب مثلاً، أو إصلاح الساعات، إلخ، وأنماط من الناس. وفي المجموعات الثلاث المتبقية يطلب من المفحوص ترتيب بعض الأنشطة بحسب أفضلياتها، والاختبار بين بديلين، مثل هل تفضل التعامل مع الأشياء أو التعامل مع الناس، والتأشير على بعض العبارات التي قد يرى أنها تصف بعضاً من نواحي شخصيته. وتتضمن صورة إختبار سترونج لسنة

١٩٧٤ مقاييس تغطي ١٢٤ مهنة، منها ٦٧ تخص الرجال، و٥٧ تخص النساء. ويكشف الاختبار فيما يكشف عن إهتمامات المفحوص مقارنة باهتمامات صنف الرجال بعامة، أو صنف النساء بعامة. وبالإضافة إلى أنّ اختبار سترونج هو في الأصل إختبار للميول المهنية، فإنّ من الممكن تعديل مفاتيحه ليقيس مسائل أخرى غير مهنية، ومن ذلك درجة نضج الميول interest maturity، فالمتخصص يتميز ضمن ما يتميز به بأنّ ميوله قد بلغت مستوى عالياً من النضج يرشحه للدراسات الأرفع والأدق. ولقد تبين أن نضج الميول يتماشى مع السن، وأنه بين سن ١٥ و٢٥ يكون التقدم في النضج أسرع، والتغيير في الميول أكثر، وببلوغ الخامسة والعشرين نصل إلى هضبة نضج الميول، فإذا تجاوز المفحوص هذه السن فالتغييرات تكون طفيفة، وخاصة كلما تقدمت به السن، ومن ثم فإنّ حصول المفحوص على درجة منخفضة في هذا الاختبار قد تعني أنه ما يزال غضاً قليل الخبرة، وننتظر له الكثير من التغييرات في الميول، فإذا حصل على درجة عالية فقد يعني ذلك أنّ ميوله قد استقرت نسبياً، وأننا لا نتوقع لها من بعد إلاّ أقل التغيير.

وتقيس صورة الاختبار المخصصة لبعد الذكورة والأنوثة ميول المفحوص من حيث أنّ الاستجابات ترصد فرقاً بين الذكور والإناث، وقد تدل الدرجة التي يحققها المفحوص على هذا الاختبار أنّ ميوله أقرب إلى الذكور أو إلى الإناث، ويفيد ذلك في مقارنة درجته في هذا الاختبار بدرجته في اختبار الميول المهنية، لبيان ما إذا كانت ميوله كما يرصدها هذا الاختبار تتفق مع اختياراته لمهن ذكورية أو أنثوية. وإذا كانت درجاته عالية على مقياس المهن الذكورية، وكان مفتاح الذكورة - الأنوثة يشير إلى ميول ذكورية - كان ذلك مؤكداً لصدق درجات الميول المهنية.

وبالإضافة إلى ما سبق فإنّ بعض صور إختبار سترونج قد يستهدف رصد الفروق في الاهتمامات والميول، بين العمال والمهرة والفنيين، والعمال غير المهرة وغير الفنيين، باعتبار أنّ العامل الماهر هو عامل فني، فإذا حقق العامل

درجة منخفضة على مقياس المستوى المهني، فإنّ ذلك يكشف أنه لا يصلح للأعمال التي تحتاج فنية عالية، وأنه أدعى أن يوكل إليه أعمال أقل مهارة. وبالمثل فإنّ المقياس الموضوع لرصد إستجابات الطلبة في المرحلة الثانوية أو الجامعية، ومقارنتها بتحصيلاتهم الدراسية، قد يكشف عن إتفاق بين انخفاض أو إرتفاع الدرجات هنا وهناك، وكذلك إتفاق الميول العلمية والعقلية في مقابل الميول العملية والتجارية.

ويفيد إختبار الميول الطلاب كثيراً من حيث توجيههم لأنسب الدراسات التي تتفق وميولهم، كما يفيد في التوجيه المهني، بأن يكشف للأفراد عن المهن التي تتفق معها ميولهم. واختبار سترونج، قضى فيه صاحبه نحواً من خمس وعشرين سنة يجمع لحقائقه التجريبية، ليثبت نظريته التي استطاع من خلالها أن يدلل على أنّ الأفراد مع ثبات العوامل الأخرى كالقدرات، يكونون أسعد حالاً وأكثر نجاحاً لو أنها اختاروا لدراساتهم ومهنهم ما يتناسب مع ميولهم التي كشف عنها الاختبار! ولا يبين إختبار سترونج أي شيء عن القدرة، وليس هذا الاختبار مجاله القدرات، فهذه مجالها إختبارات القدرات والذكاء، فبينما قد يكشف اختبار سترونج أنّ أحد الطلبة له من الميول ما يشبه ميول المهندسين الناجحين، فإنّ اختبار القدرات قد يبين عن ضعف مستواه الرياضي، ومن ثم يكون الأوفق له أن يبحث لنفسه عن دراسة أخرى بخلاف الهندسة، وكذلك فإنّ اختبار القدرات لو أظهر له أنّ لديه القدرة والذكاء للعمل بالهندسة، ثم كشف اختبار الميول المهنية عن درجة عالية في الميل مع المهندسين الناجحين، فإنّ ذلك أدعى له أن يختار لنفسه دراسة الهندسة وامتهانها.



مراجع:

Strong, E. K. and Campbell, - D.P.: Manual for Strong Vocational Interest Blanks.



- ٤٠ -

قائمة إدواردز للتفضيلات الشخصية

Edwards Personal Preference Schedule

(E.P.P.S.)

❖ ❖ ❖

من الاختبارات الباكرة التي صممت لقياس الاحتياجات كما تعرضها نظرية موراي Murray في الشخصية ضمن كتابه: Explorations in Personality، وعددها طبقاً لبنود الاختبار ١٥ حاجة، منها التحصيل، والاستعراض، والعدوان، والجنسية الغيرية.

ويقوم تقدير أهمية الحاجات على التقدير النسبي وليس على التقدير المطلق، قياساً إلى وضع الحاجة المفضلة بالنسبة لحاجات الفرد الأخرى، ولذلك فقد يحصل شخصان على درجتين متساويتين ولكنهما تعبران عن إحتياجات مختلفة القوة عند أحدهما عن الآخر.

❖ ❖ ❖

مراجع:

Edwards, A. L.: Edwards - Personal Preference Schedule.



- ٤١ -

قائمة مراجعة المشكلات لموني

Mooney Problem Checklist



الهدف من القائمة التعرف على ما يعترض المفحوص من مشاكل يمكن أن تخدم أغراض التشخيص أو التوجيه، وتتناول القائمة مشاكل الصحة، والمال، والأسرة، والحب، والزواج، والجنس، والصداقة، والعمل، والمدرسة، وما يمكن أن يخص المستقبل.

وللقائمة عدد من الصور لمختلف المستويات من طلبة المدارس الإعدادية والثانوية والجامعة وغير هؤلاء من

الراشدين. واستخلصت بنود القائمة من التقارير المكتوبة لطلبة الثانوي ومختلف الأفراد تحت العلاج. وليس الهدف من القائمة الحصول على درجات للمجالات التي تقيسها، وإنما تقديم بيان بالمشاكل التي يمكن أن يعاني منها الفرد في أي من المجالات السابقة. والقائمة نوع من التقرير الذاتي self-report، يتواجه المفحوص بتوصيات مختصرة تتضمنها القائمة لمواقف ومشاكل، كثيراً ما تكون منغصة ومثيرة للقلق، والمطلوب منه أن يؤشر أمام تلك البنود التي يشعر أنها شبيهة بما يعاني.



مراجع:

Dictionary of Behavior Science. -

Wolman.



- ٤٢ -
قوائم جيزيل الارتقائية

Gesell Development Schedules

(G.D.S.)



هي قوائم إختبارية يقصد بها دراسة الارتقاء العقلي، فقد يطلب أحياناً التنبؤ عن ذكاء طفل رضيع، أو يتطلب الأمر في حالات تأخر الكلام أو الضعف العقلي قياس ذكاء الطفل من مرحلة مبكرة من نموه. ولعل أشهر الدراسات في هذا المجال هي التي قام بها جيزيل (١٨٨٠-١٩٦١) ومعاونوه في عيادة جامعة ييل الأمريكية لنمو الأطفال Yale Clinic of Child Development، وكان جيزيل قد أسسها سنة ١٩١١، وظل يديرها حتى سنة ١٩٤٨، وكانت هذه القوائم في الأصل دراسات طولية للتطور العادي في الارتقاء السلوكي للطفل بدأت سنة ١٩٢٧ حتى سنة ١٩٤٧، وتكونت العينة في البداية من ١٠٧ أطفال في الأعمال ٤ و٦ و٨ أسابيع، وأعيد الاختبار بعد ذلك كل أربعة أسابيع حتى سن ٥٦ أسبوعاً، ثم في سن ١٨ شهراً، ثم كل عام من سن سنتين إلى ست سنوات، وامتدت المتابعة عشر سنوات أخرى واستكملت

بدراسات أخرى، وكانت النتيجة هذه القوائم وتسمى أحياناً معايير جيزيل الارتقائية Gesell Development Norms، وأحياناً يقال مقاييس Scales بدلاً من معايير، وأحياناً يقال إختبارات جيزيل Gesell Tests. ونشرت هذه القوائم سنة ١٩٢٥ باعتبارها إختبارات إرتقائية عامة general development tests، ثم عدلت بعد ذلك وشارك في وضعها زميله أماترودا C.S. Amatruda سنة ١٩٤٧، وحفَّز نشرها آخرين أن يحذو حذو جيزيل، مثل هيتسر H. Hetzer، وبيهلر C. Buhler. وتحدد القوائم مستوى الارتقاء السلوكي في مجالات رئيسية هي: مجالات السلوك الحركي motor behavior: ويشمل ضبط حركات الجسم والتناسق الحركي الدقيق، ومن أمثلته المحافظة على توازن الرأس، والجلوس، والوقوف، والزحف، والمشي، ومحاولة الوصول إلى الأشياء، والإمساك بها، وتناولها؛ والسلوك التكيفي adaptive behavior: ويشمل كل وسائل الاتصال، مثل تعبيرات الوجه، والإيماء، وحركات الجسم، والجهر بالأصوات التي تسبق الكلام كالنحنحة وغيرها، ثم الكلام نفسه، ويتضمن كذلك فهم محاولات الآخرين للتواصل بالطفل؛ والسلوك الشخصي الاجتماعي personal-social behavior: ويشمل إستجابات الطفل الشخصية للمواقف التي يتحصل له منها التعلم، كمواقف التغذية، وضبط الإخراج، واللعب، وغير ذلك من المواقف التي يجبر فيها على التدريب، او التي يمارس فيها الابتسام، ويزيد بها الإحساس بالملكية، ويكون فيها مجابهة مع الآخرين، أو مع صورته في المرايا. ولا نحصل من هذه القوائم على درجة مركبة، ولكن على تقدير تقريبي للمستوى الارتقائي، بتعبيرات الشهور، لكل مجال من المجالات الأربعة التي يقيسها الاختبار، بمقارنة التقديرات على القائمة بتقديرات معيارية للارتقاء في الأسابيع ٤ و١٦ و ٢٨ و ٤٨، والشهور ١٢ و١٨ و٢٤ و٣٦ من عمر الطفل.



مراجع:

Gesell, A, and Amaturda, C. S.: -

Development Diagnosis. Normal and Abnormal Child Development.

Gesell: The Mental Growth of - the Pre-School Child.

Gesell: The First Five Years of - life. A Guide to the Study of the Pre-School Child.

Gesell: The Child from Five to - Ten.



- ٤٣ -

القياس الاجتماعي

Sociometry



القياس الاجتماعي هو الاسم الشائع لاختبار العلاقات الاجتماعية أو الاختبار sociometric test السوسيومتري، وضعه مورينو Moreno سنة ١٩٥٣، لقياس بناء الجماعات من حيث ميول أفرادها لبعضهم البعض، واتجاهات إختياراتهم لبعضهم البعض، واتجاهات الرفض أو التنافر والتجاذب التي يمكن أن تكون بين الأفراد المعروفين لبعضهم البعض في الجماعة الواحدة. والتحليل السوسيومتري sociometric analysis هو استقراء دلالات هذه البيانات التي نحصل عليها من الاختبار السوسيومتري، وذلك برصدها في مصفوفة، وطرح مرات الرفض من مرات الاختيار. وقد تمثل البيانات بأسهم مستقيمة توضح رؤوسها إتجاه الاختيار أو الرفض، وقد تلون أسهم الاختيار باللون الأخضر، بينما تلون أسهم الرفض باللون الأحمر. والرسم البياني الاجتماعي sociogram المتحصل هو صورة للعلاقات النفسية الاجتماعية بين أفراد الجماعة. ومن أمثلة هذا الاختبار أن نسأل الأفراد، كلاً على حدة، وفي سرية، أن يختار أقرب الزملاء إلى نفسه، ليقوما معاً بنشاط علمي أو رياضي أو ترفيهي، أو قد يكون السؤال مجرد: من تختار ليجلس إلى جوارك؟ ومن الممكن للفرد أن يختار أكثر من زميل، على أن يرتبهم بحسب قربهم، وقد نطلب من كل فرد أن يذكر أسباب الاختيار أو الرفض. وعندما تتوفر

لنا نتائج عدة إختبارات لأكثر من محك، فقد يتسنى أن نتحصل على سورة بيانية profile، تكون صفحة للعلاقات الاجتماعية للجماعة لعدة أنشطة، كالنشاط العلمي، والنشاط الرياضي، والسياسي، إلخ. ومن الممكن أن نتعرف من خلالها على النجوم stars في الجماعة الذي يحصلون على أكبر قدر من الاختيارات the overchosen ، أو الذين يتمتعون بشعبية كبيرة popular leaders، أو الذين يعتبرون مراكز سلطة power figures في الجماعة، وهؤلاء هم الشخصيات القيادية الذين يمكن التأثير في الجماعة عن طريقهم. كما يمكن أن نتعرف من خلال هذه الرسوم البيانية الاجتماعية على الشخصيات المرفوضة the rejected، أو غير المختارين the unchosen، أو المعزولين the isolates، وهم الذين يحصلون على أكبر عدد من أصوات الرفض، أو الذين لا يختارهم أحد، وهم غير المتوافقين إجتماعياً، وينبغي التوجه إليهم بالعلاج لتصحيح وضعهم والعمل على إدماجهم في الجماعة. ومن الممكن أيضاً أن نتعرف على الأفراد الذين يتبادلون الرفض أو الاختيار mutual rejection أو mutual choice، وعلى الجماعات الفرعية sub-groups التي ينسجم أفرادها مع بعضهم أكثر منهم مع غيرهم. وقد نتبين من هذه الرسوم ما إذا كان أفراد الجنسين في الجماعة يتخالطون أو يتباعدون، أو ما إذا كانوا مندمجين أو يكونون جماعات فرعية.

وتفيد الدراسات السوسيومترية ذاتياً من حيث أنّ كل فرد يتعرف على مكانه في الجماعة وشعبيته بين أفرادها، وقد يقارن بين تقديره الذاتي لنفسه والصورة التي له عن نفسه، وبين هذه الصورة الجديدة التي تطالعه بها الدراسة السوسيومترية، والدرجة التي حصل عليها فيها، ولذلك دلالته من حيث مفهومه لذاته ومضمون شخصيته.

ولقد تبين من هذه الدراسات السوسيومترية أنّ بناء العلاقات الاجتماعية للجماعة يتأثر بخصائص شخصيات الأفراد، وأنه يختلف في مجال النشاط الاجتماعي عن مجال القيادة، الأمر الذي جعل البعض من العلماء يفرق

بين الشعبية الاجتماعية social popularity والقيادة الجماعية collective leadership، ومن ثم يفرق بين الجماعة الاجتماعية sociogroup والجماعة النفسية psychogroup، فاختيار الأشخاص بحسب الشعبية له مواصفاته الاجتماعية، بينما اختيارهم للقيادة له مواصفاته النفسية.



مراجع:

Lindzey, G. et al: Sociometric – Measurement. Handbook of Social Psychology. Vol. 1.

Moreno, J.: Who Shall – Survive?.



– ٤٤ –
قياس جتمان
Guttman Scale



صاحبه L. Guttman، وهو طريقة في القياس النفسي توصف بأنها طريقة تحليلية أو متدرجة تدرجاً بيانياً، فإذا كنا بصدد قياس أحد الاتجاهات النفسية أو السمات المزاجية فعلينا أن نراعي هذا المحك - محك جتمان - وهو أن نتأكد أولاً من أنّ ما نريد قياسه هو فعلاً إتجاه أو سمة واحدة، وليس جملة إتجاهات أو سمات تحتاج لأكثر من مقياس، فإذا تحصل هذا اليقين، فعلينا أن نعد المقياس بحيث تأتي بنوده متدرجة في الصعوبة، وتعني الإجابة الصحيحة على أي منها أنّ ما سبق هذا البند من بنود تكون الإجابات عليها صحيحة كذلك، ومعنى ذلك أنّ مستوى الصعوبة سيكون موحداً لكل الأفراد، وأنّ كل فرد يستطيع أن يقدم إجابات صحيحة لعدد من البنود إلى حد معين لا يستطيع أن يتجاوزه ويقابل مستوى الصعوبة الملائم له، وأنه من الممكن بعد ذلك ترتيب الأفراد بناء على الأساس السابق ترتيباً مسلسلاً من حيث مستوى صعوبة البنود، ومن ثم درجة الاتجاه عندهم. فمثلاً تعني الدرجة ١٧ على المقياس بالنسبة لأحد الأفراد أنه أجاب إجابة صحيحة على أول

١٧ بنداً، وأجاب إجابة خاطئة على بقية البنود، كما يكون للدرجة ١٧ المعنى نفسه بالنسبة لكل من حصل عليها، وهو أنهم جميعاً أجابوا إجابة صحيحة على السبعة عشر بنداً الأولى.



مراجع:

Wolam, B. B.: Dictionary of - Behavioral Science.



- ٤٥ -
لوحات الأشكال
boards - Form

❖ ❖ ❖

هي لوحات خشبية كان سيجان Edouard Seguin (١٨٤٦) أول من استخدمها مع ضعاف العقول، ثم طورها جودارد Goddard (١٨١٥) كاختبار أدائي للذكاء. وباللوحة أماكن فارغة يمكن إدخال أشكال هندسية فيها، وهذه الأشكال عددها عشرة، هي الدائرة، والمربع، والمستطيل، ونصف الدائرة، ونجمة، وصليب، ومثلث، وشكل سداسي، وشكل بيضاوي، ومعين. وتشتهر اللوحة باسم لوحة أشكال سيجان Seguin fromboard. وتوضع اللوحة في الاختبار في وضع معين بينما الأشكال مختلطة ببعضها البعض في صندوق مستقل، وعلى المفحوص أن يقارن بين الشكل الفارغ في اللوحة والأشكال في الصندوق، ويختار من بينها ما يناسب الشكل الفارغ ويُدخل فيه، وأن يجري ذلك بأقصى سرعة ممكنة، وتعطى له ثلاث محاولات، ويحسب الزمن الذي يستغرقه بالكرونومتر، ويسجل ومن كل محاولة، ويؤخذ أقصر زمن، كما يحسب الزمن الكلي للمحاولات الثلاث مجتمعة، ثم تقابل هذه الأزمنة على جدول المعايير لاستخلاص العمر العقلي.

وقد صممت لوحات أخرى كما في «مقياس بنتنر وباترسون الأدائي (Pintner-Paterson Performance Scale)، حيث هناك لوحة الأشكال الخمسة five- figure board، وتتضمن خمسة أشكال

هندسية - مجزأة إلى قطعتين أو ثلاث، ويطلب من المفحوص تجميع الأجزاء لكل شكل وتثبيتها في مكانها من اللوحة، وتؤخذ الدرجة على الوقت والأخطاء، وكذلك لوحة الشكلين two-figure board، وتتكون من شكلين هندسيين الاول مجزأ إلى أربعة أجزاء، والثاني إلى خمسة، والمطلوب تجميع كل شكل في مكانه من اللوحة، وتحسب الدرجة على الزمن وعدد الحركات اللازمة للأداء. وهناك أيضاً لوحة التقديرات casuist board، وبها أربعة أماكن تتسع لأشكال موزعة على ١٢ قطعة، والمطلوب ملء الأماكن بالقطع المناسبة، وتحسب الدرجة على الزمن وعدد الأخطاء. والميزة الكبرى لاختبار لوحة الأشكال أنه يقيس الذكاء من سن ٣,٥ إلى سن ٢٠ سنة، إلاّ أنه من الواجب الاحتياط في ذلك، حيث أنّ الاختبار لا يصدق كمقياس للعامل العام إلاّ في سن أقل من عشرة في حالة الأطفال الأسوياء، ويمكن تطبيقه على أطفال أكبر في حالة المتخلفين عقلياً. وهو أيضاً إختبار يمكن تأديته بمفرده، كما يمكن إدراجه ضمن مقياس أدائي أكبر كاختبار فرعي مع إختبارات فرعية أخرى، كما في اختبار بنتنر وباترسون الأدائي.



مراجع:

R. Meili: Formboards. In-Encyclopedia of Psychology. Search Press. Vol 1.

Seguin, E.: Traitement Moral.- Hygiène et Education des Idiots.



- ٤٦ -
مسح المزاج لجيلفورد وزيمرمان
Guilford-Zimmerman Temperament Survey (G.Z.T.S.)

❖ ❖ ❖

هو استبيان للسمات المزاجية للشخصية، ينضاف إلى الاستبيانات الثلاثة التي سبق لجيلفورد تصميمها وحده أو بالاشتراك مع مارتن (راجع فيما سبق)، وهي: إستبيان عوامل الشخصية S T D C R، واستبيان عوامل الشخصية G A M I N، واستبيان الأفراد. وهذا الاستبيان الجديد صورة حديثة مشتقة من الاستبيانات الثلاثة السابقة يختصر فيها جيلفورد وزيمرمان بنود الاستبيانات السابقة، ويقللان الارتباطات العالية بين بعضها، وعلى ذلك فقد احتوى هذا الاستبيان أو المسح على ٣٠٠ بند بدلاً من ٥٥١ بنداً هي عدد بنود الاستبيانات الثلاثة، وكذلك فإنّ السمات التي يقيسها عشر سمات بدلاً من ثلاث عشرة سمة. والبنود في هذا الاستبيان كما في الاستبيانات السابقة مصاغة على هيئة عبارات تقريرية، كما أنّ جميع العوامل عبارة عن متقابلات تقيس متصلاً من السمات الإيجابية التي يحمل إسمها العامل إلى السمات السلبية المناقضة لاسم العامل، وكانت تسمية العوامل بأعلى التشبعات عليها. وهذه السمات هي: السمة G أو general activity، أي النشاط العام، ومن ذلك: العجلة، والسرعة، والحيوية، والحبور، والإنتاجية، والكفاءة، عكس: البطء، والاستسلام للتعب، وقلة الحيلة، والعجز، وعدم الكفاءة؛ والسمة R أو restraint، أي الضبط، ومنه جدية التفكير والقصد فيه، والمثابرة في مقابل الاندفاع وعدم الحرص وحب الجلبة؛ والسمة A أو ascendance أي السيطرة، ومنها الدفاع عن النفس، والزعامة، والميل إلى الخطابة، والتحايل في الكلام، ضد الخضوع والتردد والعزوف عن المظهرية؛ والسمة S أو sociability، أي الاجتماعية، بكثرة الأصدقاء، وإقامة العلاقات الاجتماعية، وحب الظهور، وان نكون موضوع النظر والأضواء، في مقابل الخجل وقلة الأصدقاء؛ والسمة E أو emotional stability، أي الثبات الانفعالي، ومن ذلك إعتدال المزاج وعدم التقلب بين المزاجات المختلفة، والتفاؤل ورباطة الجأش، كنقيض لتقلب الأمزجة

والتشاؤم، وأحلام اليقظة، والتهيج السريع، ومشاعر الذنب، والهم، والوحدة، وسوء الصحة؛ والسمة O أو objectivity أي الموضوعية، ومن ذلك تبلد الحس، كنقيض لفرط الحساسية، وحب الذات، والتشكك، واستجلاب المتاعب؛ والسمة F أو friendliness، أي المسالمة، وتعني التسامح، واحترام الآخرين، وتقبل زعاماتهم، كمقابل للمشاكسة، وحب القتال، والعدائية، والحقد، والرغبة في السيطرة، واحتقار الآخرين؛ والسمة T أو thoughtfulness أي التفكير، وتعني الميل للتأمل وملاحظة الذات والآخرين، واتخاذ المواقف الفكرية، كمقابل للميل للحركة الزائدة، والعزوف عن الأمور التي تتطلب جهداً ومثابرة فكريين؛ والسمة P أو personal relations أي العلاقات الشخصية، ومنها تقبل الناس ومسامحتهم، وتدعيم المؤسسات الاجتماعية والإيمان برسالاتها، كمقابل لتلمس الأخطاء للناس، وتوجيه النقد الهدام للمؤسسات الاجتماعية، والتشكك في نوايا الآخرين وأهدافهم، والمقارنة دائماً بين أوضاعنا وأوضاع الناس، والحسرة على أحوالنا؛ والسمة M أو masculinity أي الذكورة، وتعني التصرف بذكورة، وأن تكون لنا إهتمامات الذكور ونشاطاتهم وتقشفهم وجلدهم واحتمالهم، وأسلوبهم المتميز في الملبس، وتحفظهم في إظهار العواطف، كمقابل للتصرفات الأنثوية، والاهتمامات النسائية والرومانسية، والتداعي للعواطف وللمخاوف، وسرعة إظهار القرف والتأفف.

وعبارات أو بنود هذا الاستبيان من مثل: أنت تبدأ العمل في مشروع جديد بحماس كبير... نعم؟ لا؛ أو مثل: كثيراً ما أكون في حالة قرف.. نعم؟ لا.



مراجع:

Guilford, J. P. and Zimmerman, W. S.: – Fourteen Dimensional Temperaments. Psychol. Monogr. 1956.



- ٤٧ -
مقياس الاتجاهات عند ثيرستون
Thurstone Attitude Scale



إشتهر مقياس ثيرستون Louis Thurstone (١٨٨٧ - ١٩٥٥) للاتجاهات النفسية بسبب بساطته واعتماده على مبادئ الفيزياء النفسية، ويقوم على طريقة جمع ما يمكن جمعه من عبارات تعبر عن مختلف الاتجاهات نحو موضوع من الموضوعات، كالحرية، أو الحرب، أو التفرقة العنصرية، أو الدين، وتعاد صياغتها لتكون موجزة وبسيطة ومفهومة، ويعهد بها إلى من يسميهم ثيرستون: قضاة أو محكمين raters or judges، ليصنفوها إلى إحدى عشرة فئة أو مجموعة، بحيث تأتي المجموعة الأولى مشتملة على أقوى العبارات الموجبة، ثم تليها العبارات الأقل، فالأقل، إلى أن نصل إلى آخر مجموعة وتضم أقوى العبارات السالبة. وقد يختلف القضاة حول بعض العبارات، فيضعها أحدهم ضمن مجموعة، ويضعها آخرون ضمن مجموعات أخرى، وعندئذ تحسب للعبارة درجاتها ضمن ما يحسب من درجات لمختلف العبارات، ويؤخذ متوسط درجات المحكمين لها فيكون هو درجة هذه العبارة، وأما العبارات التي يكون الاختلاف حولها كبيراً فتستبعد. ويعطي ثيرستون لطريقته هذه إسم «المنهج the method) ويطلق عليها إسم «منهج فترات الظهور المتساوي the method of equal appearing intervals)، لأنه يراعي في ترتيب العبارات - تبعاً لدرجات شدتها - أن يكون الفرق بين العبارة والعبارة التي تقل عنها في الشدة أو الدرجة، مساوياً للفرق بينها وبين العبارة التي تزيد عنها في الشدة أو الدرجة. ويعطى المقياس في صورته النهائية في شكل استفتاء للأفراد المطلوب قياس إتجاهاتهم، فيؤشرون على العبارات التي تتفق ورأيهم، فتكون درجة الفرد على المقياس للعبارات التي اختارها.



مراجع:

Thurstone: The Measurement of-Attitude.



- ٤٨ -

مقاييس بايلي للإرتقاء الحركي والعقلي للأطفال في سني المهد

The Bayley Infant Scales of Mental and Motor Development



وتشتهر أيضاً باسم «مقاييس بايلي الارتقائية للأطفال الصغار Bayley) Scales of Infant Development) وهذه المقاييس طُوِّرت من «اختبار كاليفورنيا للارتقاء الحركي للأطفال California (Infant Scale for Motor Development) سنة ١٩٣٥، وتتضمن بنوداً من قوائم جيزيل (أنظر فيما سبق)، ومن غير ذلك من إختبارات الأطفال في السن بين شهرين وثلاثين شهراً، وتنقسم ثلاثة أقسام بحسب الاختبار العقلي، والاختبار الحركي، وسجل الطفل السلوكي. ويتضمن الاختبار العقلي mental test بنوداً تقيس الإدراك والذاكرة والتعلم وحل المشكلات وغيرها. ويقيس الاختبار الحركي motor test القدرة على الجلوس والوقوف والسير وصعود السلالم، علاوة على القدرة على استخدام اليدين والأصابع بطريقة صحيحة. ويختص السجل السلوكي behavior record بجوانب الارتقاء في الشخصية، مثل السلوك الاجتماعي والانفعالي، ومدى الانتباه والمثابرة والتوجه نحو الهدف، وهو مقياس تقديرات يقوم الفاحص بملئه بعد الانتهاء من الجزأين السابقين.

ويعد اختبار بايلي من أفضل الاختبارات المنهجية، وكان تقنينه على عينة تمثل الأطفال بحسب التوزيع السكاني ومستوى تعليم الأبوين؛ وللجزئين العقلي والحركي درجات مقننة متوسطها ١٠٠، وانحرافها المعياري ١٦،

بحسب المجموعة العمرية للطفل لمراحل قصيرة، بواقع نصف شهر من عمر شهرين حتى ٦ وعمر من ٦ شهور حتى ٣٠ شهراً.



- ٤٩ -
مقاييس التقدير
Rating Scales



يعطي التقدير Rating معلومات تقريبية عن الدرجة التي توجد عليها صفة مستمرة لا يتيسر قياسها بطرق القياس المعروفة. والتقدير وسيلة جزافية تمهد لتطبيقات قياسية أدق. والبيانات التي تتوفر بالتقدير من نوع «أكثر من»، أو «أشد من»، او من المرتبة الثانية أو الثالثة، بمعنى أنّ التقديرات تكون غالباً رتبية بالمقارنة إلى صفات أو خصائص أو كميات أخرى. ومقياس التقدير من درجات، والحكم rater هو الذي يُصدر التقدير، وهو تقدير ذاتي يقال شفهياً أو يذكر بالأرقام، والمقدر ratee (بفتح الدال) هو الشخص الذي نعطيه درجة على مقياس التقدير، وتحديد الدرجة يكون على تقدير سلوك behavior rating، بشرط أن يكون السلوك ملحوظاً وموضوعياً يمكن تقديره، أو يكون سلوكاً غائباً يقضى فيه بأنه غير قائم، أو تقدير سمة trait rating. وكثيراً ما تستخدم مقاييس التقدير لقياس السمات كالزعامة، والتعاون، والغش، والمثابرة، والضبط الانفعالي، والجاذبية الشخصية وغيرها. ومن المبادئ العامة التي ينبغي مراعاتها عند تصميم قياس التقدير تحديد السلوك أو السمة المراد تقديرها بحيث تكون واضحة المفهوم عند المحكمين. وغالباً ما لا يكتفى في المحكمين بواحد، لضمان عدم التحيز. بالنظر إلى أنّ مقاييس التقدير هي مقاييس ذاتية. والسمات الظاهرة أكثر ثباتاً في التقدير من السمات الكامنة أو الضمنية. وتقدير السمات على أساس السلوك المكشوف أو الواقعي والملموس من الحكام يكون أكثر ميلاً للثبات من

تقدير السمات الكامنة غير الظاهرة أو الضمنية. وقد يكون الحكام في التقدير من الرفاق - تقدير الرفاق peer rating - أي يكون الاعتماد عليهم في الحصول على تقدير عن الشخص المراد تقديره، وقد يكون التقدير من الشخص لنفسه - تقدير الذات self-rating - وقد يكون تقدير شخص بشخص man-to-man rating بمقارنة الشخص المراد تقديره بآخر أو بآخرين يعتبرون ممثلين للصفة موضوع التقدير، وتكون للشخص المراد تقديره الدرجة أو الرتبة التي للآخر الذي له هذه الصفة.

ومن الأنواع الشائعة لمقاييس التقدير «مقاييس التقدير الرقمية (numerical rating scales)، فيحدد الحكم القائم بالتقدير قيمة عددية أو رقمية للسمة المراد تقديرها. ويرتبط هذا النوع من المقاييس بوصف للأوزان الرقمية يسترشد به الحكام ويلزم تحديد أقصى طرفي المقياس.

وفي «مقاييس التقدير البيانية (graphic rating scales) تحدد الدرجات أو المستويات المتعددة للسمة عند نقط معينة على خط مستقيم، ويضع الحكم علامة أو نقطة عند الموضع الذي يختاره على الخط للدلالة على السمة، بدلاً من أن يضع درجة أو قيمة رقمية.

وفي «مقاييس التقدير الرتبية (rank rating scales) يرتب الحكم أسماء الأفراد المطلوب ترتيبهم بالنسبة لبعضهم البعض من داخل مجموعة معينة منهم، بحسب معرفته لأوضاعهم النسبية في شكل متسلسل، وهو يبدأ بأن يضع أولاً الأفراد الذين يقع ترتيبهم أعلى المقياس، ثم الأفراد الذين يقع ترتيبهم في منتصف المقياس، وبعد ذلك يراتب الباقين بحسب مواضعهم النسبية من هؤلاء أو أولئك، إلخ. وقد يرتب الحكم أفراد المجموعة بحسب مئينياتهم، بحيث تأتي الرتب الأعلى في الربع المئيني الأعلى، ثم الأوسط، ثم الأدنى.

وقد يكون المطلوب تحديد وجود السمة من عدمها، ويتيسر ذلك بمقاييس تقدير قوائم المراجعة checklist rating scales، والقائمة المراد مراجعة أوصاف المفحوص عليها تتضمن عبارات يؤشر الحكم على الأنسب منها لوصف

المفحوص، وقد تعطى العبارة تقديرات، فالسمة المقبولة يمكن إعطاؤها +١ وغير المقبولة تعطى -١ والمحايدة صفراً.

وفي «مقاييس التقدير الفئوية (itemized rating scales) تكون التقديرات في شكل عبارات مقسمة إلى فئات، بحيث تكون العبارة الأولى أقوى العبارات الموجبة (أكثر الناس كرماً مثلاً)، ثم تليها العبارات الأقل فالأقل إلى أن نصل إلى آخر فئة تضم أقوى العبارات السالبة (أقل الناس كرماً مثلاً). والنموذج لهذا النوع من المقاييس هو «مقياس الاتجاهات لثيرستون (Thurstone Attitude scales)

وفي «مقاييس التقدير ثنائية النهايات (bipolar rating scales) يكون الاختيار للتقديرات من بديلين كلاهما نقيض الآخر، مثل جيد وسيئ، وطيب وشرير، ومبهج ومقبض، ومتعاون وغير متعاون. وهذا النوع مثل «طريقة التصنيف ق (Q sorting) و «البروفيل الطرفي (polarity profile) - وهو تمثيل بالرسم عن طريق خط منحني قطبين، لأنه عن السلوكيات أو السمات المتضادة على طرفي قطبين أو على طرفي نقيض، ولذا يقال البروفيل القطبي، والبروفيل الطيفي أيضاً. (أنظر التصنيف ومقاييس الاتجاهات لثيرستون).

ومن مقاييس التقدير المعروفة «قائمتا تقدير هاجرتي وأولسون وويكمان (Haggerty-Olson-Wickman Rating Schedules) للكشف عن النزعات المشكلة ودراستها عند الأفراد من سن الحضانة حتى المرحلة الثانوية، وتحوي القائمة الأولى على ١٥ نوعاً من المشكلات السلوكية، كمشكلات الكلام وتحدي السلطة، وتقدر كل مشكلة من درجة إلى أربع درجات حسب تكرار حدوثها. وتحوي القائمة الثانية مقاييس بيانية لخمس وثلاثين سمة مصنفة إلى أربعة تصانيف عقلية وجسمية ووجدانية واجتماعية، وتقدر السمات بمقاييس من خمس نقاط.

ومنها أيضاً «مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي (Vinleland Social Maturity Scale) لقياس النضج الاجتماعي للأفراد، إبتداء من الطفولة المبكرة حتى سن الثلاثين، والتمييز بين

حالات الضعف العقلي غير الصالحة للتكيف الاجتماعي وحالات التأخر العقلي التي يمكنها التكيف إلى حد ما (أنظر مقياس فاينلاند).

ويحتوي «مقياس تقدير توافق التلميذ (Rating Scale for Pupil Adjustment) أحد عشر مجالاً للشخصية، يقدرها المدرس، وهي: التوافق الانفعالي، والنضج الاجتماعي، والاكتئاب، والعدوان، والانطواء والانبساط، والأمن الانفعالي، والضبط الحركي، والاندفاعية، والتهيج الانفعالي، والتحصيل الدراسي، والسلوك المدرسي.

ومن عيوب مقاييس التقدير أنّ معاملات ثباتها أقل بكثير من كثير من المقاييس السيكولوجية الأخرى، كمقاييس الذكاء والقدرات وغيرها. وقد يعيب الحكام التساهل في التقدير، وعند تقدير الذات قد يعطي الفرد درجة عالية لنفسه، وقد يكون بعض الحكام من المقلين في إعطاء الدرجات، فتأتي تقديراتهم أقل من الواقع. وقد يميل البعض إلى الاتجاه الواحد في التقدير، فيقدرون كل السمات بطريقة واحدة، أو يتأثرون بما لديهم عن المفحوص من إنطباعات، وهي الظاهرة المعروفة باسم أثر الهالة halo effect، وكثيراً ما تظهر كانحياز على مقاييس التقدير الشخصية.



مراجع:

Weltner, K.: Informations theories und – Erziehungswissenschaft.



– ٥٠ –
مقاييس الذكاء لويكسلر
Wechsler Intelligence Scales



هي «مقياس ويكسلر بلفيو (Wechsler Bellvue Scale)، و«مقياس ويكسلر لذكاء الأطفال (W.I.S.C.) Wechsler IntelligenceScale for Children »، و «مقياس ويكسلر لذكاء الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة W.P.P.S.I. Wichsler Pre-school and)

«Primary Scale for Intelligence»، و«مقياس ويكسلر لذكاء الراشدين (W.A.I.S.) Wichsler Adult Intelligence Scale».

والمقاييس الأربعة وضعها دافيد ويكسلر، الاول سنة ١٩٣٩، وقد ظهرت الصورة الثانية منه سنة ١٩٤٦، ثم نشرت الصورة المعدلة والمراجعة سنة ١٩٥٥، وهي التي تعرف باسم «مقياس ويكسلر لذكاء الراشدين». وأما «مقياس ذكاء الأطفال» فقد صدر سنة ١٩٤٩، ثم نشرت له نسخة مراجعة سنة ١٩٧٤ عرفت باسم النسخة المراجعة W I S C-R؛ وأما نسخة أطفال الحضانة او ما قبل المدرسة فكان صدورها سنة ١٩٦٩.

وهناك تداخل بين مقياسي ذكاء الراشدين والأطفال، إلاّ أنّ الأول صمم لسن ١٦ سنة فما فوق، والثاني لسن ١٥ سنة وما تحتها، وتضمن المقياسان نوعية الأسئلة والأنشطة نفسها التي استخدمها بينيه وتيرمان في قياس الذكاء، إلاّ أنّ ويكسلر ينتظمها بطريقة مختلفة، وبدلاً من أن يجمعها حسب مستويات الأعمار فقد جمعها حسب نوع الأسئلة أو الأنشطة، ورتب البنود النوعية في كل مجموعة بحسب درجة الصعوبة، وعلى سبيل المثال فقد جمع كل أسئلة الحساب في اختبار فرعي واحد، وكل بنود المكعبات في اختبار واحد، وهكذا. وكذلك نجد أنّ كل الاختبارات الفرعية قد جمعت في صنفين رئيسيين هما الاختبارات اللفظية والاختبارات الأدائية. وتتضمن الاختبارات اللفظية في مقياس ذكاء الراشدين إختبارات في مجالات المعلومات، والفهم، وتذكر الأرقام والمتشابهات، والحساب، والمفردات. وأما الاختبارات الأدائية فهي ترتيب الصور وإكمال الصور، وبناء المكعبات، وتجميع الأشياء ورموز الأرقام. والاختبارات الفرعية في الاختبار الخاص بالأطفال تشبه ذلك مع تعديلات طفيفة. وأعد ويكسلر معايير لكل اختبار، بحيث يمكن مقارنة الراشد أو الطفل في كل فئة من الأسئلة بمجموعة من الأفراد تمثل المجتمع ككل، بالإضافة إلى أنه يمكن جمع الدرجات المعيارية على كل اختبار لفظي لنحصل على درجة كلية في المقياس اللفظي، وعلى كل اختبار أدائي

لنحصل على درجة كلية في المقياس الأدائي، ثم لنحصل على درجة كلية في المقياس الكلي، وبمقارنة هذه الدرجات الثلاث الكلية بجداول المعايير الخاصة بعمر المفحوص يمكن تحديد نسبة ذكاء المفحوص اللفظي، وذكائه الأدائي، وذكائه الكلي. وليست نسبة الذكاء هذه كنسبة الذكاء على مقياس ستانفورد بينيه، بين العمر العقلي والعمر الزمني، وإنما هي تشير إلى مدى العلاقة بين المفحوص والفرد المتوسط في توزيع مجموعته العمرية باستخدام وحدات الانحراف المعياري.

وقد كان نشر ويكسلر لمقاييسه لتغطية جوانب القصور في مقياس ستانفورد بينيه وغيرها من مقاييس الذكاء الفردي. ويبني ويكسلر مقياسه للذكاء على أساس أنّ ما يقيسه ليس مجرد العامل العام، ولكنه هذا العامل العام بالإضافة إلى القدرة على استخدام العقل في مواقف لها مضمون وغرض وشكل ومعنى. ويُعرِّف ويكسلر الذكاء بأنه القدرة الكلية للفرد على القيام بالفعل الهادف، والتعامل بعقلانية وفاعلية مع البيئة. ولا يقوم استخراجه لنسبتين للذكاء، لفظية وأدائية، على افتراض وجود نوعين من الذكاء اللغوي والعلمي، بل على افتراض أنّ البعض قد تصبح لهم عادات نتيجة المران والتدريب والموهبة تجعلهم أقدر على التعامل مع الأشياء عن التعامل مع الكلمات. وللخبرات التعليمية والمهنية تأثيرها في تحديد كمية الفرق بين النسبتين، والمتوقع مثلاً أن تكون نسبة الذكاء اللفظي عند المتعلمين مرتفعة عن نسبة الذكاء الأدائي، في حين أنّ نسبة الذكاء الأدائي ترتفع غالباً عن نسبة الذكاء اللفظي عند العمال. وهذا الفرق بين النسبتين له دلالته الكلينيكية، لارتباطه بأنواع من الاضطرابات النفسية والعقلية والعضوية وتأثر الوظائف العقلية بها.

وتثبت البحوث أنّ تدهور الوظائف العقلية يكون مردوده أكثر على الأداء منه على الاستجابات اللفظية، وتزيد نسبة الذكاء العملي على نسبة الذكاء اللفظي عند السيكوباتيين وضعاف العقول. ويرتبط الذكاء المرتفع بنسبة أعلى في الذكاء اللفظي عن الذكاء العملي أو

الأدائي. ويقيس كل اختبار من المقياس وظيفة عقلية أو وظيفتين على الأكثر، فاختبار المعلومات يقيس مدى معرفة الفرد وذاكرته البعيدة. وتدل الدرجة على الاختبار على مدى تنبه الفرد لما يجري حوله في العالم. ويعوق اكتسابه للمعلومات لجوؤه الكثير إلى ميكانيزم الكبت وميله إلى الانعزال. ويقيس «اختبار الفهم (apperception test) قدرة الفرد على تقويم خبراته الماضية، ومن ثم فإنّ هذا الاختبار يقترب في مفهومه من «اختبار الواقع reality test، وهو عندما يطبق على الأطفال فإنّ الدرجة عليه ترتبط بسن الطفل ونضجه الاجتماعي. ويقيس «اختبار المتشابهات (similarities test) تكوين المفهوم اللفظي والقدرة على التعبير اللفظي عن العلاقة بين شيئين أو موضوعين. وأما «اختبار تذكر الأرقام number recall test فإنّ القياس به يتعدى اختبار الذاكرة حيث يرتبط إنخفاض الدرجة عليه بتشتت الانتباه، وبخاصة بالنسبة لاستعادة الأرقام بالعكس، وذلك مؤشر على نقص الضبط العقلي. وأيضاً فإنّ اختبار الحساب arithmetic test لا يقيس الاستدلال الحسابي وحده ولكنه يقيس كذلك القدرة على تركيز الانتباه للقيام بالعمليات الفكرية التي تدخل في الاستدلال الحسابي، وتتأثر الدرجة فيه بالحالات الانفعالية وبسوء التوافق. ويرى ويكسلر أنّ «اختبار المفردات vocabulary test لا يقيس مقدار الألفاظ التي نتعلمها فقط، ولكنه أيضاً مقياس للذكاء العام حيث أنّ عدد ما نتعلمه من ألفاظ هو مقياس للقدرة على التعلم ومساحة ما يذهب إليه الذهن من أفكار. وقد تبين أنّ اختبار المفردات هو أكثر الاختبارات ثباتاً على المقياس، لانه لا يتأثر كثيراً بتقدم السن وبالعمليات العقلية المرضية. «واختبار ترتيب الصور» هو اختبار للتنظيم البصري وللتوقع، ويقيس قدرة الفرد على تقدير المواقف ككل، وفهم الفكرة العامة منها قبل الاستجابة لها. ويرى ويكسلر أنّ الاختلاف في الاستجابات على اختبار ترتيب الصور ليس بسبب الفروق الثقافية فقط، ولكنه نتيجة العوامل الشخصية، مما يجعل هذا الاختبار أقرب إلى الاختبارات الإسقاطية.

وأما «اختبار تكملة الصور» picture completion test فهو مقياس للتنظيم البصري والقدرة على تمييز التفاصيل والكشف بصرياً عن النقائص في الصورة نتيجة الحذف. وكذلك يمكن إعتبار «بناء المكعبات» مع «اختبار تجميع الأشياء ورموز الأرقام» إختبارات للتناسق البصري الحركي، وهي تهيئ الفرصة لملاحظة المفحوص ورصد أدائه عليها، من حيث تردده وحذره واندفاعه، وتحصل الإحباط السريع له أو مثابرته، والتحليل إلى الأجزاء، والقدرة على الخلق وعلى التجريد. ويبين «اختبار تجميع الأشياء object assembly test أسلوب الفرد في حل المشاكل، كما أنّ «اختبار رموز الأرقام» يكشف عن السرعة والدقة في الأداء.



مراجع:

Rapaport et al: Diagnostic-Psychological Testing.

The Measurement of: Wechsler-Adult Intelligence.



- ٥١ -
مقياس آرثر الأدائي
Arthur Performance Scale



صدرت الصورة الأولى من هذا المقياس سنة ١٩٣٠ واشتملت على عشرة اختبارات، منها ثمانية إختبارات لبنتنر Pintner وباترسون Paterson، بالإضافة إلى متاهات بورتيوس Porteus Mazes، و«مكعبات كوهس (Kohs Cubes). وفي سنة ١٩٤٧ صدرت الصورة الثانية المعدلة من خمسة إختبارات هي مكعبات نوكس Knos Cubes، ولوحة أشكال سيجان Seguin Form-board، ومتاهات بورتيوس، واختبارات الستنسل Stencil Tests، واختبار إكمال الصورة لهيلي Healy Picture Completion Test.

واختبار المكعبات هو اختبار للذاكرة الفورية لسلسة من الحركات، حيث يدق الممتحن على مكعب من المكعبات الأربعة التي يتكون منها الاختبار دقات محسوبة، وبنظام معين،

ويطلب من المفحوص أن يحذو حذوه. وتتكرر العملية مع تتابع سلاسل الدقات وزيادة مدتها وصعوبتها. ويعطى هذا الاختبار مرتين، وتحسب درجته بمتوسط درجات المرتين.

وأما لوحة سيجان فهي عبارة عن لوحة خشبية بها أماكن لعشر قطع من أشكال هندسية فيها، وهذه الأشكال عددها عشرة، هي الدائرة، والمربع، والمستطيل، ونصف الدائرة، ونجمة، وصليب، ومثلث، وشكل سداسي، وشكل بيضاوي، ومعين، وعلى الطفل أن يصفها في أماكنها بسرعة على اللوحة، وتعطى له ثلاث محاولات، وتحسب له المحاولة الأقل في الوقت.

وفي اختبار متاهة بروتيوس يطلب من الطفل أن يضع قلمه على أول المتاهة، ويسير به عبر ممراتها حتى الخروج، دون أن يلمس جدران الممرات أو يخطئ فيدخل مكاناً غير مطروق. ويسمح للطفل بمحاولتين في كل متاهة، والمتاهات تتدرج في الصعوبة بحسب السن، وتحسب للطفل المحاولة الناجحة فقط، ويسجل عليه أنه فشل في المستوى الذي تمثله المتاهة.

واختبار إكمال الصورة لهيلي يمثل مشاهد من الحياة اليومية للطفل على لوحات بها جزء فراغ، وعلى الطفل أن يختار من بين ستين قطعة مكملة لتلك القطعة المناسبة لتكملة المشهد الناقص. ويعتمد اختيار الطفل للقطعة على فهمه لمحتويات المشهد.

وأما اختبارات الستنسل فهي الشيء الجديد الذي يميز الصورة المعدلة من مقياس أرثر، وهي عبارة عن عشرين شكلاً هندسياً ملونة على بطاقات، ويطلب من الطفل الاختيار من قصاصات ستنسل مختلفة تلك التي تناسب الأشكال الهندسية ويلصقها عليها. ويوقف الاختبار حالما يتعثر الطفل في عمل ثلاثة نماذج متتالية.



مراجع:

R. Meili: Arthur Scale. In- Incyclopedia of Psychology. Search Press. Vol. 1.



- ٥٢ -
مقياس بنتنر وباترسون الأدائي
Pintner-Paterson Performance Scale



يقيس هذا الاختبار ذكاء الصم أو أصحاب العيوب السمعية، ويصلح لمن في حكمهم من الأجانب الوافدين الذين يعيب تواصلهم بالناس عدم معرفتهم باللغة المحلية، وقد وضعه المؤلفان سنة ١٩١٧ واستخلصا من نتائجه أنّ الصمم ينشأ عنه تدني في الذكاء، وذلك عكس نتائج بحوث أخرى أظهرت أنه لا فرق بين الأصم والسوي في الذكاء، أو بين الأصم وضعيف السمع. والاختبار يتألف من خمسة عشر اختباراً فرعياً، عبارة عن تجميع قطع من أشكال هندسية وتثبيتها في أماكنها من اللوح الذي يحتويها، أو إكمال صور من لوحات بواسطة قطع خشبية، أو إختبار مكعبات. وتختزل هذه الاختبارات في الصورة المختصرة من المقياس إلى عشرة إختبارات، هي: إختبار الفرس والمهير Mare and Foal Test، وهو إختبار متاهات مصورة، عبارة عن لوحة ملونة بها صورة لفرس ومهر يعدو إلى جواره داخل منظر ريفي، وتنتزع أجزاء من الشكل العام للفرس كالساقين الأماميين، ومن المهر كالرأس، كبداية للاختبار، ثم يطلب من المفحوص إعادتها إلى أماكنها في اللوحة، وتحتسب الدرجة على زمن الإجابة وعدد الأخطاء. واختبار لوحة أشكال سيجان Seguin Formboard Test، عبارة عن لوحة بها أماكن لعشر قطع هندسية كالدائرة والمربع والمثلث، إلخ، ويطلب من المفحوص إعادتها إلى أماكنها، وتحسب له الدرجة على أساس الزمن الذي تستغرقه ثلاث محاولات. واختبار لوحة الأشكال الخمسة Five-Figure board Test، ويتضمن خمسة أشكال هندسية مجزأة إلى قطعتين أو ثلاث، ويطلب من المفحوص تجميع أجزاء كل شكل في مكانه من اللوحة، وتؤخذ الدرجة على الوقت وعدد الأخطاء. واختبار لوحة

الشكلين Two-figure board Test، ويتكون من شكلين هندسيين، الأول مجزأ إلى أربعة أجزاء، والثاني إلى خمسة، والمطلوب تجميع كل شكل في مكانه من اللوحة، وتحسب الدرجة على الزمن وعدد الحركات اللازمة في الأداء. واختبار لوحة التقديرات Casuist Board Test، وهو عبارة عن لوحة بها أربعة أماكن تتسع لأشكال موزعة على اثنتي عشرة قطعة، والمطلوب ملء الأماكن بالقطع المناسبة، وتحسب الدرجة على زمن الأداء وعدد الأخطاء. واختبار متاهة هيلي Healy Puzzle Test، وهو عبارة عن خمسة مستطيلات مطلوب وضعها في لوحة مستطيلة، وتحسب الدرجة على زمن الأداء والحركات اللازمة له. واختبار المانيكان Manikin Test، ويتكون من قطع خشبية تجميعها يصنع جسم رجل، وتمثل القطع الرأس والجسم والذراعين والساقين، وتعطى الدرجة على السرعة وعدد الأخطاء. واختبار ملامح الوجه Feature Profile Test، وهو عبارة عن أجزاء خشبية تجميعها يصنع ملامح وجه رجل، وتحسب الدرجة على السرعة.

واختبار الباخرة Ship Test ويشتمل على صورة لمركب مجزأة إلى عشر قطع، والمطلوب تجميعها في لوحة مستطيلة، وتحسب الدرجة على السرعة وعدم الأخطاء. واختبار هيلي لتكميل الصورة Healy Picture Completion Test، وهو عبارة عن صورة انتزعت منها عشرة مربعات صغيرة، والمطلوب فرز ٤٨ مربع مشابه، وتجميع مربعات الصورة منها وتثبيتها في مكانها، وتحسب الدرجة على الزمن وعدد الأخطاء. واختبار المكعبات Cube Test، ويتكون من أربعة مكعبات يدق الممتحن عليها بمكعب خامس بنظام معين، ثم يطلب من المفحوص أن يقلده، وتتزايد مرات الدق ويتعقد النظام، وتعطى الدرجة على ما يستطيع المفحوص تقليده من الدقات.



مراجع:

Encyclopedia of Psychology: – Search Press. Vol. 1.



- ٥٣ -
مقياس بينيه للذكاء
Binet Intelligence Scale



أول مقياس للذكاء، وضعه بينيه وسيمون سنة ١٩٠٥، ويطلق عليه لذلك أحياناً إسم «مقياس بينيه وسيمون Binet-Simon Scale ونشره المؤلفان بالمجلة السنوية لعلم النفس L'Année psychologique، وكانت أول مجلة علم نفس تنشر بالفرنسية، وكان أول إصدارها سنة ١٨٩٤، ونشر بها بينيه بحثاً باسم «طرق مستحدثة في تحديد المستوى العقلي لضعاف العقول»، وكانت وزارة التربية الفرنسية قد كلفته، على رأس لجنة للبحث في طريقة لتمييز الأطفال المتخلفين عقلياً الذي لا يصلحون للدراسة العادية شأن الأطفال الأسوياء. وفي أقل من سنة أعلن بينيه ومساعده وسيمون عن مقياسهما هذا الذي اشتمل على ثلاثين بنداً لاختبار الجوانب العقلية، كالتذكر البصري، وتذكر الأرقام، وإدراك التشابه، والتقدير اللمسي، وإكمال الجمل، وغير ذلك مما يعتمد للإجابة عليه على الذكاء وليس على المعلومات، وبحسب المرحلة العمرية على مدى عمري من الثالثة حتى الحادية عشرة. وكانت عينة التقنين للاختبارات محدودة، لا تتعدى الخمسين طفلاً من متوسطي الذكاء بتقديرات معلميهم. وقد شجع النجاح الذي لاقاه المقياس المؤلفين على تطويره، وجاء تعديل سنة ١٩٠٨ مختلفاً عن المقياس الأول، إذ لم يكن هذا المقياس لتمييز ضعاف العقول كالمقياس الأول، بل كان لقياس ذكاء التلاميذ في مختلف الأعمار، وتم تقنينه على عينة أكبر بلغت مائتين وثلاثة أطفال من أبناء الطبقة العاملة في مدارس باريس. ويمتاز هذا المقياس بأنه قد تم وضع الأسئلة فيه وترتيبها حسب توالي الأعمار، بوضع السؤال للسن الملائمة تبعاً لنسبة عدد الأفراد الذين يجيبون عليه في كل عمر، فإذا نجح ثلثا أو ثلاثة أرباع الأفراد في سن معينة في الإجابة على سؤال، إعتبر هذا السؤال مقياساً مناسباً لسنهم. وكذلك جعل

المؤلفان متوسط العمر العقلي مساوياً لمتوسط العمر الزمني. ويحسب العمر العقلي بأخذ العمر الذي ينجح الطفل في الإجابة على كل أسئلته، واعتباره العمر القاعدي basal age للطفل، ثم يضاف إلى هذا العمر القاعدي سنة عن كل خمسة أسئلة يجيب عليها الطفل بعد ذلك. وتميز تعديل سنة ١٩٠٨ كذلك بسعة المدى العمري عن مقياس سنة ١٩٠٥، فأصبح من سن الثالثة حتى سن الثالثة عشرة. ومع ذلك أُخذ على هذا المقياس أنّ بعض أسئلته لم تتحرر من تأثير المواد الدراسية للتلاميذ، كما أنها لم تكن متساوية في العدد بالنسبة للأعمار المختلفة، وكانت سهلة جداً بالنسبة للأعمار الأكبر، واقتضى ذلك تعديل المقياس مرة أخرى سنة ١٩١١، بزيادة عدد الأسئلة لتصبح ٥٤ سؤالاً بدلاً من ثلاثين، وليصبح عددها في كل مستوى عمري خمسة أسئلة، ما عدا سن أربع سنوات فظلت أسئلته أربعة، ولم توجد أسئلة للأعمار ١١ و١٢ و١٤، إعتماداً على تقدير الذكاء من خلال العمر القاعدي كما أسلفنا، وإضافة سنة عن كل خمسة أسئلة يجيب عليها الطفل بعد ذلك. ومع ذلك لم تلق الصورة المعدلة لسنة ١٩١١، النجاح الذي لاقته الصورة المنشورة سنة ١٩٠٨، والتي ترجمت إلى عدة لغات، وأدخلت عليها عدة تعديلات كان أهمها تعديل تيرمان سنة ١٩١٦، والذي اشتهر باسم «مقياس ستانفورد بينيه Stanford-Binet Scale، نسبة إلى جامعة ستانفورد التي كان تيرمان وزملاؤه يجرون من خلالها التعديلات لتناسب طبيعة الشعب الأمريكي وثقافته، وهي تعديلات كانت ضرورية، ومن الكثرة والشمول حتى لقد أتت المراجعة للمقياس بحيث أصبح شيئاً جديداً يكاد لا يبين فيه تأثير مقياس بينيه. (أنظر مقياس ستانفورد بينيه).



مراجع:

Binet, A. B.: L Etude expérimentale – de l'intelligence.

Binet, A. B.: Le développement de – l'intelligence chez les enfants.



- ٥٤ -

مقياس ستانفورد بينيه للذكاء

Stanford-Binet Intelligence Scale



هو تعديل على مقياس بينيه سيمون Binet-Simon لسنة ١٩٠٨ توفر عليه تيرمان Terman وآخرون من خلال جامعة ستانفورد التي ينسب إليها، ونشروه سنة ١٩١٦ ثم أجريت عليه مراجعات لسنوات ١٩٣٧ و١٩٦٠ و١٩٧٢، والتزم المؤلفون له الأسس نفسها التي قام عليها مقياس بينيه، سوى أنّ التعديل والمراجعات إستهدفت ملاءمة المقياس لظروف المجتمع الأميركي وثقافته، وفيما عدا ذلك فإنّ اختبار ستانفورد بينيه يقيس الذكاء باعتباره قدرة عامة تتمثل في نشاطات عقلية موقفية، ويذهب تيرمان إلى تعريف بينيه نفسه للذكاء، بأنه قدرة عامة على الملاءمة مع الظروف المستجدة، والأسئلة التي يضعها المؤلفون يأخذون ثلثيها تقريباً من مقياس بينيه. وتتدرج الأسئلة في الصعوبة بحسب المراحل العمرية، ويحدد الأداء على الاختبار بالمقارنة بأداء الأسوياء في الأعمار المختلفة. ويزيد مقياس ستانفورد بينيه على مقياس بينيه أنّ الأسئلة فيه تزيد إلى ٩٠ سؤالاً بعد أن كانت في مقياس بينيه ٥٤، كما أنّ عينة التقنين زادت كثيراً حتى بلغت ألف طفل، وأربعمائة راشد من كافة طبقات وشرائح المجتمع الأمريكي وليس من خلال أبناء الطبقة العاملة الفرنسية في باريس وحدها كما في مقياس بينيه. وزاد المدى العمري إلى ١٦ سنة بعد أن كان من ٣ إلى ١٣ سنة، ولأول مرة تستخدم معادلة شتيرن للتعبير عن المستوى العقلي للمفحوص باستخراج نسبة الذكاء من خلال قسمة العمر العقلي على العمر الزمني وضرب النتيجة في مائة للتخلص من الكسور. ويزيد من أهمية تعديل تيرمان التعليمات المفصلة لطريقة التطبيق والتصحيح، ثم استخدامه لنسبة الذكاء، وتلك مزايا يخلو منها مقياس بينيه. ورغم ذلك فقد ظهرت للمقياس الجديد عيوب، منها عدم تمثيل الأعمار المتطرفة، وانخفاض

صدق بعض الاختبارات، وتشبع الاختبار بالعامل اللفظي في السنوات الباكرة، وبالذاكرة الصماء rote memory في المستويات الأعلى، ولعلاج ذلك وضعت نتائج المقياس ضمن برنامج ضخم للبحوث إستغرق عشر سنوات وأدى إلى التعديل باسم ستانفورد بينيه ١٩٣٧، أو تعديل تيرمان وميريل Terman and Merrill، وروعي فيه أن يكون إختبار الأسئلة على أساس إرتباطها بمحكات مستقلة للذكاء، وأفضل الاختبارات من هذا النوع هي اختبارات الفهم العام والمفردات والمتماثلات وإكمال الجمل والأضداد والمتناقضات. ووضعت صورتان للمقياس وانتخبت للصورة L ٢٠٩ أسئلة، وللصورة M ١٩٩ سؤالاً، بحيث يتنوع مضمونها ويسهل تصحيحها وتطبيقها. كما روعي في عينة التقنين تمثيلها للمراحل العمرية حتى ١٦ سنة، مناصفة بين الذكور والإناث من ١٧ تجمع سكاني من ١١ ولاية أمريكية. وقد اقتضى الأمر إجراء تعديل آخر على المقياس ظهر بعد ٢٣ سنة من تعديل ١٩٣٧ واشتهر لذلك باسم مقياس ستانفورد بينيه لسنة ١٩٦٠. وجاء هذا التعديل نتيجة تقادم مضمون بعض الاختبارات والصورة التي تشتمل عليها، وظهور مقاييس ذكاء فردية جديدة تنافس الصورة L وتعفو عليها، بالإضافة إلى أنّ اختبارات تعديل سنة ٣٧ كانت تقف عند سن ١٦، بينما أظهرت بحوث الذكاء نمواً فيه بعد هذه السن. واستهدف التعديل إنتخاب أفضل الأسئلة من الصورتين L و M والاكتفاء بصورة واحدة، وإصلاح عيوب بعض الاختبارات، وإعادة حساب صعوبتها، وتوفير إختبار إحتياطي لكل مستوى عمري. واقتضى الأمر بعد اثنتي عشر عاماً من صدور مقياس سنة ١٩٦٠ أو الصورة L-M أن يجرى تقنين له، حيث لم يكن قد أجري هذا التقنين في حينه، ولقد نشر التقنين الجديد سنة ١٩٧٢ واستهدف وضع معايير جديدة، ولكن مقياس سنة ١٩٦٠ إستُخدم في هذا التقنين دون تعديل عليه، وتم التقنين على عينة بلغ حجمها ٢١٠٠ فرد في المراحل العمرية من سنتين إلى ثماني عشرة سنة، على أساس من التمثيل

الجغرافي والاقتصادي لسكان الولايات المتحدة. ويتحدد العمر القاعدي على الاختبار بالمستوى العمري الذي يستطيع المفحوص فيه الإجابة على كل الأسئلة، ثم يستمر الاختبار بعد ذلك إلى أن يصل المفحوص إلى المستوى العمري الذي لا يتمكن من الإجابة على أي من أسئلته فيصبح هذا المستوى العمري هو سقف الاختبار، ويحسب العمر العقلي بإضافة الشهور أو السنوات بين العمر القاعدي وسقف الاختبار.



مراجع:

Terman, L. M.: The Measurement of - Intelligence. An Explanation and a Complete Guide for the Use of the Stansford Revision and Extension of the Binet-Simon Intelligence Scale. (1916).



- ٥٥ -
مقياس السلوك التوافقي
The Adaptive Behavior Scale
(A.B.S.)



وُضع أساساً لاختبار المتخلفين عقلياً، إلاّ أنّ نسخته المعدلة سنة ١٩٧٤ تصلح أيضاً لاختبار الأطفال غير المتوافقين إنفعالياً وغيرهم من المعوقين. والمقياس من جزأين، الأول: للسلوك الارتقائي، من أمثال استقلال الأداء والأنشطة المنزلية والمهنية، والتعامل بالنقود، وارتقاء اللغة، ونمو الجسم، واستخدام الأرقام والوقت، والشعور بالمسؤولية، والتطبيع الاجتماعي، والاعتماد على النفس؛ والثاني: للسلوك غير التوافقي العنيف أو الانسحابي أو الزائد، ويمكن رصد كل هذه المجالات في شكل بروفيل تلخيصي للدرجات.

❖ ❖ ❖

مراجع:

Adaptation Level Theory. In S. Kosh - (Ed.): Psychology. A Study of a Science. Vol. 10.



- ٥٦ -
مقياس ذكاء سنيجدرز-أومن غير اللفظي
Snijders-Omen Non-verbal Intelligence Scale

❖ ❖ ❖

مقياس ذكاء غير لفظي لا تستخدم فيه اللغة، سواء من جانب الفاحصين أو المفحوصين، واختباراته مصممة للمصابين بالصمم، وقد راعى فيه المؤلفان عندما وضعاه سنة ١٩٣٩ أن لا يقتصر على جانب واحد كمعظم الاختبارات المماثلة، فضمّا إليه إختبارات للتفكير التجريدي والفهم لمواقف الحياة والتصميمات المكانية، واستبعدا منه السرعة كمحك للأداء.

ويتكون المقياس من ثمانية إختبارات مقسمة إلى أربع فئات تقيس القدرات على التشكيل والتركيب والتجريد والتذكر. وتتضمن إختبارات التشكيل تحليل وتصميم الأشكال المكانية باستخدام المربعات والمكعبات في تقليد الأشكال، أو تقليدها بالرسم وتكملة الأجزاء الناقصة. وتتضمن إختبارات التركيب فهم العلاقات بين أجزاء الشيء الواحد أو بين الأشياء المختلفة، وترتيب سلاسل الصور أو تكملتها بالاختيار بين بدائل، أو تكملة أنصاف الصور بعضها ببعض. ويعتمد إختبار التجريد على المتشابهات والتصنيف للأشكال، والمتشابهات ليست ألفاظاً ولكنها أيضاً أشكال، ويقوم التصنيف على أساس اللون والشكل. ويتألف إختبار التذكر من صور ومكعبات يحاول المفحوص أن يتذكر شكل الصور الصغيرة ضمن صور أكبر، وتذكر أصوات الطرق بالمكعبات وتقليدها بنفسه.



- ٥٧ -
مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي
The Vineland Social Maturity Scale



وضعه دول Doll سنة ١٩٣٥ لقياس القدرة الاجتماعية والارتقاء فيها من الميلاد وحتى سن الخامسة والعشرين، وهو يصلح أكثر للأطفال في سني المهد والأطفال الذين يعانون نقصاً عقلياً، ويمكن أن يميز بين الطفل المتخلف عقلياً والكفوء إجتماعياً، وبين الطفل المتخلف عقلياً وغير الكفوء إجتماعياً. ويختبر المقياس الوظائف العقلية نفسها التي يختبرها أي مقياس ذكاء، كاتباع التعليمات، واستخدام البسيط من الأدوات، والتعرف على أسماء الأشياء القريبة من الطفل. وقد ثبت من مقارنة نتائجه على نتائج إختبارات الذكاء الأخرى إرتباط الكفاءة الاجتماعية بالذكاء والقدرات العقلية. وللاختبار دالة ثبات حيث أنّ أسلوبه يقوم على الحصول على المعلومات عن الطفل من المصادر المباشرة، مثل الأم أو الممرضة أو غيرهما ممن يعتمد عليهما الطفل في تلبية حاجاته، ولذلك ينبغي تنبيه المسؤول عنه عند الإجابة على بنود الاختبار أن يذكر ما يفعله الطفل فعلاً، لا ما يمكن أن يفعله، أو ما يستطيع أن يفعله. ويتضمن الاختبار ١١٧ بنداً مرتبة بحيث يناظر كل بند مستوى إرتقائياً من مرحلة عمرية معينة تحسب بالشهور، ويساوي مجموع الشهور على الاختبار العمر الاجتماعي social age (SA)، وبذلك تحسب نسبة الارتقاء الاجتماعي بقسمة العمر الاجتماعي social quotient (SQ) على العمر الزمني والضرب في مائة. وتغطي البنود ثمانية جوانب من نضج السلوك الاجتماعي، من حيث المهنة أو العمل، والتواصل بالناس، والحركة في الحياة، والتطبيع الاجتماعي، والاعتماد على النفس عموماً، والاعتماد عليها خصوصاً في الأكل، وفي الملبس، وفي توجيه الفرد لنفسه بنفسه.

❖ ❖ ❖

- ٥٨ -

مقياس كاتل لذكاء الأطفال في سني المهد

Cattell Infant Intelligence Scale



أُعد سنة ١٩٤٧ ليكون امتداداً للمرحلة العمرية التي لا يغطيها اختبار ستانفورد بينيه لسنة ١٩٣٧ الصورة L، من شهرين إلى ٣٠ شهراً، ويتضمن بنوداً من ستانفورد بينيه، ومن قوائم جيزيل، ومن اختبارات الأطفال الأخرى المتاحة، بالإضافة إلى بعض البنود الجديدة. وقد صنفت البنود في مجموعات عمرية من شهر إلى شهر على امتداد السنة الأولى، ومن شهرين إلى شهرين على امتداد السنة الثانية، ثم من ثلاثة شهور إلى ثلاثة شهور بدءاً من سن ٢٤ شهراً وحتى ٣٠ شهراً، فإذا اجتاز الطفل أي اختبار عند المستوى ٣٠ شهراً إستمر الاختبار بمقياس ستانفورد بينيه عند مستوى ثلاث سنوات، وابتداء من ٢٢ شهراً إلى ٣٠ شهراً تختلط في المقياس البنود من ستانفورد بينيه بالبنود من مقياس كاتل، وعدد البنود في كل مستوى عمري هو خمسة، بالإضافة إلى اختبار احتياطي أو إختبارين. وقنن المقياس، ويتم التصحيح بأسلوب ستانفورد بينيه، غير أنه لا يحدد وقتاً للاستجابة للبنود، ولا يحدد ترتيباً لها، حيث قد لا يوافق ذلك ظروف كل طفل في هذه الأعمار.



- ٥٩ -

مقياس ليتر الأدائي الدولي

Leiter International Performance Scale



إستغرق تأليف هذه السلسلة من الاختبارات عدة سنوات بتجريبها على عدد من المجموعات العرقية المختلفة من هاواي، من طلبة المستويين الابتدائي والثانوي، ثم طبقت من قبل باحثين آخرين على مجموعات عرقية إفريقية وغيرها، وأخيراً أجري تعديل ونشرت

سنة ١٩٤٨ بعد تجربة تطبيقها على الأطفال الأميركيين وصغار المجندين. ولعل أبرز ما يمكن أن تذكر به هذه الاختبارات هو استغناؤها بالكلية عن التعليمات، سواء كانت لفظية أو بالإشارة، مما يدرجها ضمن الاختبارات غير المتحيزة حضارياً، والتي يمكن من ثم تطبيقها على أية مجموعة عرقية دون حرج.

ولكل اختبار مقدمة سهلة تمهد للجزء الأصعب منه ومع ذلك فهي من الاختبار، والمطلوب من المفحوص إستخراج الألوان والصور والأشكال المتماثلة، وأن يقلد بالمكعبات تنفيذ بناء نماذج مصورة، وأن يكمل الصور الناقصة وسلاسل الأرقام، ويستخرج المتشابهات، ويتعرف على الفروق في الأعمار والعلاقات المكانية، ويتذكر سلاسل الأرقام، ويصنف الحيوانات بحسب بيئاتها الطبيعية. وتتناسب الاختبارات والمستويات العمرية إبتداءً من السنتين حتى الثمانية عشرة، وتقدم فردياً بدون حدود للوقت.



- ٦٠ -
مقياس ليكرت للاتجاهات
Likert Attitude Scale



يُعتبر هذا المقياس تبسيطاً لمقياس ثيرستون للاتجاهات Thurstone Attitude Scale، ويفضله الكثيرون لسهولته، بالنظر إلى أنّ ليكرت فيه لا يستعين بمن يسميهم ثيرستون القضاة أو المحكمين ليصنفوا العبارات المتضمنة للاتجاهات نحو موضوع من الموضوعات. وليكرت يضع درجات المقياس من قبل وليس من بعد كما عند ثيرستون، وهو العمل الذي يقوم به المحكمون بعد ترتيب العبارات على الميزان، من الأقوى إلى الأقل قوة. وعند ليكرت تتحدد شدة الاتجاه، حيث أنّ كل عبارة تتضمن الاستجابات عليها بدائل هي «أوافق بشدة»، و«أوافق»، و«لم أقرر بعد»، و«لا أوافق»، و«لا أوافق بشدة»، على عكس طريقة ثيرستون التي لا يستطيع المفحوص فيها أن يعبر عن شدة

اتجاهه. ودرجات ليكرت على الميزان بسيطة، وهي إما ٥ أو ٤ أو ٣ او ٢ أو ١. وتأخذ الإجابة المؤيدة ٥ سواء كانت موافقة جداً لبعض البنود، أو معارضة جداً لبعضها الآخر، بينما الإجابة المعارضة للاتجاه تعطى درجة واحدة. وتمثل الدرجة الكلية للفرد مجموع درجاته على المقياس.



مراجع:

Lickert, R.: A Technique for–Measurement of Attitudes.



– ٦١ –

نموذج بحث الشخصية لجاكسون

Jackson Personality Research Form (P.R.F.)



وضعه جاكسون على أساس من نظرية موراي Murray في الشخصية، وهو مجموعة إختبارات تقيس المتغيرات في الشخصية ويتحدد بها نحو من عشرين متغيراً مثل: تجنب الأذى، والاندفاعية، ، واللعب، والاعتراف الاجتماعي، والتفهم، والبناء المعرفي، والحساسية. وينقسم النموذج إلى صورتين متكافأتين قصيرتين، تستخلص منهما درجات لأربع عشرة سنة، وصورتين متكافأتين طويلتين تستخلص منهما درجات ليست سمات إضافية، بالإضافة إلى مقياسين لقياس الجاذبية وعدم التكرار، وهما مقياسا صدق، غير أنّ مقياس الجاذبية بالإضافة إلى أنه مقياس صدق فهو أيضاً يقيس سمة الجاذبية، وهي من سمات الشخصية الهامة.

❖ ❖ ❖



